

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْظَاوِيِّ

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٨٣

خطب الشيخ القرضاوي

٢٠

إعداد

المكتب العلمي للشيخ



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥١].

﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ
الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾
[الأعراف: ٢٠٥].

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ
فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾
[النحل: ١١٢].

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿ يَصَلُّونَهَا
يَوْمَ الدِّينِ ﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ثُمَّ
مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [الأنفطار: ١٣ - ١٩].

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم». رواه أحمد والترمذي والنسائي.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب، في اليوم إليه مائة، مرة». رواه مسلم.

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «تبشُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإمادتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة». رواه الترمذي، والبخاري في الأدب المفرد.





الإيمان باعتباره مصدرًا للأمن والاطمئنان

الخطبة الأولى

أما بعد، أيُّها الإخوة المسلمون:

حاجة الإنسانية إلى الأمن:

اقترح عليّ بعض الإخوة أن أتحدّث عن الإيمان باعتباره مصدرًا للأمن والاطمئنان؛ أمن الفرد، وأمن المجتمع، وهذا بمناسبة الاحتفال بيوم الشرطة.

ولا شكَّ أنَّ من أعظم نعم الله تعالى على النَّاسِ نعمة الأمن، ولهذا امتنَّ الله تعالى على قريش وأمرهم بعبادته وتوحيده، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ * قُرَيْشٍ * إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ * [قريش: ١-٤]، الطعام الذي به بقاء الحياة مقرون بالأمن الذي به الشعور بنعمة الحياة.

سُئِلَ أحد الحكماء: فيم السعادة والسرور؟

قال: في الأمن؛ فإنِّي رأيتُ الخائف لا يعيش له^(١).

(١) إحياء علوم الدين (١٠٤/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

الخائف لا يهناً بعيش، لا يهناً بالخائف بطعام ولا منام، يقولون: الخائف لا ينام، لا يستطيع أن يهناً بالنوم، ولو نام لحظات لرأى الكوابيس في نومه، وذلك من خوفه وقلقه.

الإيمان نعمة عظيمة، ولهذا علّمنا النبي ﷺ إذا رأينا الهلال أول كل شهر أن نقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربّي وربك الله»^(١).

الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، وذلك لأنّ الأمن نعمة عظيمة، امتنّ الله بها على من منحها من الناس من عباده، قال عن أهل سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

كما امتنّ على أهل مكة بأن جعل لهم حرماً آمناً، ويتخطف الناس من حولهم، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وكان ذلك استجابة لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فقدّم الأمن على الرزق؛ لأهمية الأمن في الحياة.

وحينما استدعى يوسف عليه السلام أباه وإخوته إلى مصر قال: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، ولم يقل: ادخلوا مصر طاعمين ناعمين مكتسين؛ لأنّ الأمن مقدّم على الطعام والشراب.

(١) رواه أحمد (١٣٩٧)، وقال مخرّجوه: حسن لشواهد. والترمذي في الدعوات (٣٤٥١)، وقال: حسن غريب. عن طلحة بن عبيد الله.

ولهذا كانت الجنة دار أمن وسلام، لا خوف فيها، كما لا حزن فيها، أهلها لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأول ما يدخل أهل الجنة الجنة يقول لهم خزنتها: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]؛ فهي دار السلام ودار الأمان.

الأمن نعمة عظيمة.

أعظم نعمتين على أي مجتمع: الكفاية والرخاء، ونعمة الأمان والاطمئنان، هذا معنى: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾.

وشر ما يُصاب به بلد، أو يُصاب به مجتمع، أن يُبتلى بالجوع الذي يفقده الرخاء والكفاية، أو يُبتلى بالخوف الذي يفقده الأمان والاطمئنان، فإذا ابتلي بالأميرين معًا كانت نكبة فوق نكبة: الجوع والخوف، وقد قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وقد تعيش بعض المجتمعات في رخاء مادي، ورفاهية حسيّة، ولكنها مبتلاة بالخوف، وهذا ما نراه في المجتمعات الغربيّة اليوم.

المجتمعات التي تعيش على التكنولوجيا المتطورة، والتي استطاعت أن تصل بالإنسان إلى سطح القمر، ولكنها لم تستطع أن تهبه الطمأنينة والأمن النفسي على سطح الأرض.

في أمريكا لا يستطيع الإنسان أن يأمن على نفسه، هو مُهدّد في رزقه، مُهدّد في حياته، مُهدّد في أهله، مُهدّد في نفسه، في أيّ وقت من الأوقات، هناك شوارع في المدن الكبرى في أمريكا لا يستطيع الناس أن يمشوا فيها

في وضح النهار، يمكن أن تُسرق، ويمكن أن تُقتل، ولا يستطيع أحد أن يدفع عنك، رغم وجود الشرطة، ورغم قوّة السلطة، ورغم أجهزة الإنذار، ورغم النّجدة، ورغم هذا كلّه لا يستطيع أحد أن يسعفك.

حينما ندخل الفنادق يحذروننا، انظر في العين السحرية، لا تفتح لأيّ طارق، احرص على كذا وكذا. وإذا خرجت لا يكن معك نقود كثيرة، وأيضاً احرص أن يكون معك بعض النقود، بعض الدولارات؛ لأنّ هذا اللص المسلح الذي يُسرّع إلى مسدسه أو إلى سيّنه بأسرع من البرق الخاطف إذا لم يجد معك شيئاً ربّما قتلك من غيظه، ليكن معك قليل من النقود؛ حتّى تستطيع أن تُسكّته، لا تأخذ معك كثيراً من المال، وإياك أن تتجرّد من المال تماماً.

هذا المجتمع الراقي لا أمن فيه، في كلّ عدة ثوانٍ تحدث جريمة: جريمة قتل، جريمة اغتصاب، جريمة سرقة.

هناك عصابات مُنظمة، تستخدم العلم والتكنولوجيا في السرقات، ولهذا النّاس هناك في حاجة إلى الأمن.

الإيمان مصدر الأمن الداخلي:

يبدأ الأمن بالأمن الداخلي، الأمن النّفسي، الأمن الروحي، أن يحس الإنسان أنّه آمن مطمئن في داخل ذاته، وهذا لا يأتي إلّا من العقيدة، من الإيمان الحقّ، من التوحيد الصادق، أن يشعر أنّ البشر لا يملكون له ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وإنّما أمره كلّ بيد الله، النّاس يخافون على الأرزاق، والأرزاق مقسومة، ويخافون على الآجال، والآجال محتومة، الرزق والأجل بيد الله، لا يستطيع أحد أن يأكل من

رزقك لقمة، أو ينقصك من رزقك درهمًا، ولا يستطيع أحد أن يقدم أجلك دقيقة أو ثانية، فلهذا يعيش الإنسان مطمئنًا في داخله، في حصانة التوحيد، هذا معنى قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

هذا هو الأمن النفسي، ﴿ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، فسر النبي ﷺ الظلم في هذه الآية بأنه الشرك، فقال: «ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟»^(١).

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، أي: لم يخلطوا توحيدهم بشرك، توحيد خالص لا شرك فيه لأحد.

هذا التوحيد الخالص يعطي الإنسان الأمن الداخلي، وهذا جاء في القرآن تعقيبًا على قول قوم إبراهيم لإبراهيم، حينما دعاهم إلى التوحيد وحذّره من الشرك، فخوّفوه أن تصيبه آلهتهم بسوء، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]، من الذي يخاف؟ الموحّد أم المشرك؟

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].
المُوحّد سدّ منافذ الخوف كلّها.

أمّا غير المؤمن وغير الموحّد يخاف من كلّ شيء، ويخاف على كلّ شيء، الشاب يخاف من الشيوخوخة، والغني يخاف من الفقر، والسليم

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٢٩)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن عبد الله بن مسعود.

يخاف من المرض، والحي يخاف من الموت، وكلُّ إنسان يخاف من المجهول، يخاف من الغد، ممّا يُخَبِّأُ له ولا يدرّيه.

ولكن المؤمن لا يخاف إلّا الله، وهو خوف ممزوج بالرجاء، خوف يملأ النفس ثقة، ولا يملؤها قلقًا ولا رعبًا.

هؤلاء المادّيّون والملاحدة والمُرتابون والشاكّون في وجود الله ووحدانيّته وقدرته وحكمته وعدالة جزائه يعيشون في خوفٍ ورعبٍ دائم، كما قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١]، رعب يمتلكهم دائمًا.

أمّا المؤمن الموحّد فقد سلّم من هذا، ولم يُعذّ يخاف إلّا الله، حتّى الموت لا يخافه؛ لأنّه يعلم أنّ الموت ليس عدماً صرفاً، ولا فناء محضاً، إنّما هو انتقال من دار إلى دار، ومن حياة إلى حياة، كما قيل:

لا تَظُنُّوا الْمَوْتَ مَوْتًا إِنَّهُ لَحَيَاةٌ، وَهُوَ غَايَاتُ الْمُنَى
لا تَرْعَكُم هَجَمَةُ الْمَوْتِ فَمَا هِيَ إِلَّا نَقْلَةٌ مِنْ هَاهُنَا^(١)
وكما قيل أيضًا:

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا رَحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِنْ الْمَنْزِلِ الْفَانِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْبَاقِي^(٢)
ولذلك قال بشرّ الحافي: لا يكره الموت إلّا مريب، فهو الذي يُقَرِّبُ الحبيب من الحبيب^(٣).

(١) البيتان منسوبان إلى أبي حامد الغزالي، وقيل لأبي الحسن المسفر، انظر: النبوغ المغربي في الأدب العربي (١٧٩/٣)، ط ٢، ١٣٨٠هـ.

(٢) من شعر أبي العتاهية. انظر: الإعجاز والإيجاز ص ١٥٠، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

(٣) إحياء علوم الدين (٣٣٠/٤).

حَدَّثَنَا الْقُرْآنُ عَنِ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أي: عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿[فَصَّلَتْ: ٣٠، ٣١].

هذا هو الأمن الأول، الأمن الداخلي، الذي يعطي الإنسان الطمأنينة التي حرم منها أولئك الذين يعيشون في الترف والنعيم، ولكنهم لا يشعرون بلذة الحياة، يعيشون في سعار دائم، وفي صراع مستمر، الحياة عندهم غابة، القوي يفترس الضعيف، أو بحر، الكبير من أسماكه يأكل الصغير، فهم دائماً يتطلعون ويتلفتون إلى ما حولهم ومن حولهم، من يستطيع أن يتلعبهم، من أين تأتي الضربة والطعنة؟

أمّا المؤمنون فلهم شأن آخر، حكى الأستاذ محمد أسد - وهو رجل نمساوي اهتدى إلى الإسلام، وألف كتاباً اسمه: «الطريق إلى مكة» وذكر فيه قصصاً ممّا شاهده في بلاد المسلمين - ما شاهده في دمشق فقال: كنت أذهب إلى الأسواق، وأرى التجّار، فأرى نوعاً من الناس غير الناس في أوربا، الدكان بجوار الدكان، التاجر بجواره تاجر، والمفروض أنهما يبيعان شيئاً واحداً، وبضاعة واحدة، وأن يكون بينهما التنافس والتزاحم، وأن يخاف كلاهما الآخر، ولكنني أشعر أنّ الناس مطمئنون.

بل كنت أرى التاجر من هؤلاء يذهب - أحياناً - إلى أمر ما فيقول لجاره التاجر: إنني ذاهب إلى مكان كذا، فانتبه للدكان، فيتحمّل الجار هذه الأمانة، وقد يأتي من يريد أن يشتري فينظر في الدكان فلا يجد فيه أحداً، فيخرج التاجر من دكانه ويدخل دكان جاره ويخرج للمشتري البضاعة ويعرضها عليه، ويرغبه فيها، ويبيع بضاعة الرجل في غيبته، فإذا رجع صاحب الدكان قال له جاره: بعث لك بكذا، وبعث لك بكذا.

يقول الكاتب: كنتُ أتوقع أن يقول له: جاري ليس موجودًا، تعال خذ من عندي؛ فعندي البضاعة نفسها التي عند جاري، ولكنه لم يفعل، بل يدخل دكان جاره ويبيع من بضاعة جاره للمشتري، حتّى يأتي جاره فيقول له: بعث بكذا وكذا، وهو منافس له^(١).

وحكي كذلك الأستاذ أبو الحسن الندوي عن بعض المعمّرين من أهل مكة قديمًا، قال: كان بعض التجّار إذا وجد نفسه قد باع كثيرًا في بعض الأيام، ونظر إلى جاره فلم يجد عنده إلا القليل من الناس، الواحد بعد الواحد، ففي آخر النهار كلّما جاءه زبون قال له: اشتر من جاري؛ إنّ البضاعة التي عنده هي نفسها البضاعة التي عندي، ونحن نشترى من مصنع واحد أو من تاجر واحد، وقد رأيتُه لم يبع هذا اليوم، فاشتر منه. وهكذا.

انظروا إلى هذه الرّوح، هذه هي النّفس الآمنة الْمُطْمَئِنّة، ليست نفس التنافس والصراع، كلّ يريد أن يدوس على الآخرين، أن يبنى نفسه من جماجم البشر، وأن يزخرف قصره من دماء البشر، وأن يعلو على أنقاض الآخرين.

الرقابة الذاتية مصدر أمن المجتمع:

هذا هو المصدر الأوّل للأمن، الأمن النّفسي.

وهناك أمن المجتمع نفسه، وأمن المجتمع يأتي - أيضًا - من أمن الفرد، إذا تكوّن المجتمع من أفراد آمنين مطمئنين سادت فيه الطمأنينة.

(١) انظر: الطريق إلى مكة ص ١٩٠، ترجمة د. رفعت السيد علي، نشر مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض.

وهناك شيء آخر، هذا الفرد عنده رقابة ذاتية، هو شرطي على نفسه، يراقب نفسه بنفسه، لقد قال بعض الغربيين: جربنا كل أنواع الرقابات فلم نجد هناك رقابة أحكم ولا أفضل من الرقابة الذاتية. تحكّم ذاتي، كوابح ذاتية، الإنسان يراقب نفسه بنفسه.

وهذا شأن أهل الإيمان، القوانين واللوائح والتنظيمات والقرارات وحدها لا تكفي، كم من أناس استطاعوا أن يتلاعبوا بالقوانين، القوانين يمكن الاحتيال عليها، وخصوصاً إذا كان هذا الاحتيال من واضعي القانون أو حراس القوانين أنفسهم، إذا كان «حامياً حرامياً» كما يقولون، أو كما يقول الشاعر:

وراعي الشاة يَحْمِي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب^(١)

كثيراً ما توجد عصابات تخترق القوانين، وتتحايل عليها بالقوة حيناً، وبالحيله حيناً، وبالرشوة حيناً، وقلماً يُضبط إلا الصغار من المجرمين، الذي يسرق المائة والألف هو الذي يُضبط، والذي يسرق الملايين لا يُضبط؛ لأنّ القوانين لا تستطيع أن تناله، هو في مأمن من القانون.

لكن هناك ما هو أعلى من القانون، هناك هذه الرقابة، رقابة المؤمن لنفسه، حينما يشعر أنّ الله ﷻ مطلع عليه، يسمع ويرى، ورسله لديه يكتبون، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُحُف: ٨٠]، ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

إذا قال الناس بأنّ للحيطان آذاناً، وتلفّتوا هنا وهناك، فإنّ المؤمن قد علم أنّ الله تعالى يسمع، وأنّ الله تعالى يرى، وأنّه سيُسأله يوم القيامة

(١) ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ. ولم ينسبه.

عن كلِّ ما يعملُه خيرًا أو شرًّا، وعن كلِّ ما يقوله جهراً أو سراً، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٦، ٧].

هذه الرقابة الذاتية هي التي تجعل الناس جميعاً شرطة على أنفسهم، هذه الرقابة هي التي جعلت الفتاة الصغيرة تقول لأُمِّها التي تريد أن تخلط اللبن بالماء: إذا كان عمر لا يرانا فإنَّ ربَّ عمر يرانا^(١).

هذه الرقابة هي التي جعلت ذلك الراعي حينما قال له ابن عمر: «يا راعي الغنم، هل من شاة؟».

قال الراعي: ليس هاهنا ربُّها.

فقال له ابن عمر: «تقول له: إنَّه أكلها الذئب».

قال: فرفع الراعي رأسه إلى السماء، ثمَّ قال: فأين الله؟

قال ابن عمر: «أنا - والله - أحمق أن أقول: أين الله؟».

فاشترى ابن عمر الراعي، واشترى الغنم فأعتقه وأعطاه الغنم^(٢).

هذه هي الرقابة، الرقابة الذاتية.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٢/٧٠)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) رواه الطبراني (٢٦٣/١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٢٥٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨٦٦): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن الحارث الحاطبي، وهو ثقة.

منذ سنوات كانت هناك قضية في بريطانيا لأحد الوزراء الكبار مع عشيقته، فضيحة هزت المجتمع البريطاني والمجتمع الغربي، وقضى فيها أحد القضاة، ظلّ ثلاثة أشهر معتكفاً في قريته يكتب التقرير، تقرير من ثمانمائة وخمسين ألف كلمة، وتكلّم هذا القاضي الذي حكم في القضية وقال كلمته الشهيرة: بدون قانون لا يستقرّ مجتمع، وبدون أخلاق لا يسود قانون، وبدون إيمان لا توجد أخلاق.

هكذا، لا بدّ من القانون، ولكن قانون من غير أخلاق لا قيمة له، وأخلاق من غير دين من غير إيمان لا توجد، الأخلاق من غير دين عبث، ولهذا لا بدّ من الإيمان، القوانين لا بدّ منها، ولكنّها وحدها لا تكفي ولا تردع، لا بدّ من هذه الرقابة الداخلية الذاتية، وهذا ما يجعل الناس في راحة وأمان من كلّ مؤمن، ولهذا يقول النبي ﷺ: «المسلم من سلّم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دماءهم وأموالهم»^(١).

فالإسلام منبع السّلام، والإيمان مصدر الأمان، المؤمن من آمنه الناس على دماءهم وأموالهم وكلّ حرّماهم وأعراضهم؛ لأنّه يأبى أن يأكل المال الحرام، أو يقبل الجاه الحرام، أو يستبيح الدم الحرام، أو العرض الحرام، بينه وبين الحرام مراحل ومراحل، إنّه يخشى الله، يخشى الحساب، يخشى النّار، فيريد أن يكتفي بحلال الله تعالى عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عمّن سواه.

من الأدعية الماثورة: «اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمّن سواك»^(٢).

(١) رواه أحمد (٨٩٣١)، وقال مخرّجوه: إسناده قويّ. والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٩٩٥)، وابن حبان (١٨٠) ثلاثتهم في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣١٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي =

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، لا تمتدُّ يده إلى مال غيره، ولا إلى ملك غيره، ولا إلى حُرْمَاتِ غيره، بل لا تمتدُّ عينه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

إنَّه يعتبر نفسه حارسًا على حُرْمَاتِ النَّاسِ وحقوقهم وأموالهم، وما وقع في يديه منها أدّاه إلى أهله، غير خائن ولا منتقص منها ذرّة واحدة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

في فتح فارس غنم المسلمون غنائم كبيرة، فجاء بعض الجنود إلى أحد القادة بحقّ فيه نفائس وجواهر، وقال: عثرتُ على هذا، ففتحته القائد فوجده شيئًا هائلًا، فقال: هذا أعظم من كلّ ما رأيناه قبل ذلك!

فقال بعض الحاضرين لهذا الجندي: لعلّك أخذت منه شيئًا؟

قال الجندي: وَيَحَكَ، والله لولا الله ما أتيتكم به^(١).

وأرسلت بعض هذه الأشياء إلى أمير المؤمنين عمر بالمدينة ممّا خفّ حملة وغلا ثمنه، فنظر إليها عمر وهو يبكي ويقول: إِنَّ قَوْمًا أَدَّوْا هذا لأَمْنَاءَ^(٢). لأنّها أشياء غالية القيمة، ويمكن إخفاؤها بيسر وسهولة، ولكنّهم عرفوا أنّ هذا ممّا ينبغي أن يُقسَمَ، وأنّ يتولّى الإمام قسمته، ويأخذ كلّ ذي حقّ حقّه، «إِنَّ قَوْمًا أَدَّوْا هذا لأَمْنَاءَ».

= في الدعوات (٣٥٦٣)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الدعاء (٥٣٨/١)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي. عن علي بن أبي طالب.

(١) تاريخ الطبري (١٩/٤)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٦/١٠، ١٧)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار

هجر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.



المؤمن مصدر أمن المجتمع:

المسلم المؤمن مصدر لأمن المجتمع كله؛ لأنه حارس على حُرَمَات هذا المجتمع، وإذا وجد مَنْ يعتدي على هذه الحُرَمَات فهو يقف له بالمرصاد، ليس سلبياً، كما نرى - للأسف - النَّاس في عصرنا كلُّ يقول: نفسي نفسي، كان النَّاس قديماً يعتبرون المجتمع أسرة واحدة، البلدة كانت عائلة واحدة، المعتدي على أي منها معتدٍ على البلدة كلها.

الآن النَّاس قد انفصل بعضهم عن بعض، قلَّدوا الآخرين، كلُّ إنسان في بيته أو في شقَّته لا يدري عمَّن حوله شيئاً، وربما كان بجواره أحد، ولكنه لا يبالي، لو رأى جاره يُسرق يقول: ما دام هذا بعيداً عن بيتي فلا يهمني.

كنتُ في القرية قديماً إذا حدث حريق في منتصف الليل أو قبيل الفجر وصرخ صارخ قامت القرية على بكرة أبيها، رجالها ونساؤها، النِّساء يحملن جرار الماء، والرجال يحملون التراب ويقومون بصب الماء، حتَّى تطفأ النَّار في أسرع وقت ممكن، وهي بعيدة، ربَّما كانت في الطرف الشرقي في البلد وأهل الطرف الغربي بعيدون جدًّا، لكنهم يرون أنَّ البلد بيت واحد، وأنَّ النَّاس أسرة واحدة.

كثيراً ما يرى النَّاس الجريمة تُرتكب، ولا يكلف أحد نفسه أن يلاحق المجرم أو يحاصره أو يقبض عليه.

لا، هذا - للأسف - ليس من أخلاق الإيمان، «من رأى منكم منكراً فليُغيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان»^(١).

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

المجرم خطر على الجميع، ولهذا ينبغي أن يكون الناس كلهم شرطة ضد أي مجرم يعتدي على المجتمع، يعتدي على أمنه، يعتدي على حُرِّيَّاته، يعتدي على حقوقه وحُرُماته، يعتدي على دماء أهله أو أعراضهم أو أموالهم، فينبغي أن يقف الجميع ضدَّ هذا.

هذا هو منطق الإيمان - أيُّها الإخوة، لو أنَّ الإيمان استقرَّ في مجتمعاتنا حقًا لطارد الجريمة واقتلعها من جذورها، وعاشت في مجتمعاتنا كما كانت - قديمًا - آمنة مُطمَئِنَّة، لا خوف فيها ولا رعب ولا قلق.

يجب أن نطارد المجرم أيًّا ما كان نوع جريمته، الذي يعاكس الفتيات في الطريق أو في الأسواق، أو الذي يسرق من الناس، أو الذي يُهدِّد الناس بأيِّ وسيلة كانت، وبأي صورة تكون، فلا بدَّ للمجتمع كُله أن يقف ضدَّ هذا النوع من الإجرام، ف«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»^(١)، و«المسلمون كرجلٍ واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كُله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كُله»^(٢).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يرزقنا الأمن والطمأنينة في أنفسنا وفي أهلينا وفي مجتمعاتنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصَّلَاة (٤٨١)، ومسلم في البرِّ والصَّلَاة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البرِّ والصَّلَاة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَأَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبدٌ مسلمٌ يدعو الله بخيرٍ إلَّا استجاب له^(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا يَهْوُونَ عَلَيْنَا مِصَابَ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَبْقَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا غَايَةَ رَغْبَتِنَا، وَلَا تَسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا.

اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا، وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أنَّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلَّا أعطاه إياه» وأشار بيده يُقَلِّلُهَا. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.



اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِذَا طُغِيَ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *





حدّد مصدر معرفتك بدينك^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تزكية النفوس لا تكون إلّا بإصلاح القلوب:

لا زال حديثنا موصولاً عن تزكية الأنفس، عن تزكية هذه المضغة، التي «إذا صلحت صلح الجسد كلّهُ، وإذا فسدت فسد الجسد كلّهُ، ألا وهي القلب»^(٢).

الإنسان ليس هو هذا الهيكل من: اللحم والدم والعظم، والأعصاب والأجهزة والخلايا.

هذه توجد عند الحيوانات، كما توجد عند الإنسان.

إنّما الإنسان هو ذلك الجوهر الروحاني الذي به تميز، وصار به إنساناً، والذي من أجله أسجد الله له الملائكة تكريماً وتشريفاً،

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطّاب بالدوحة في ١٩ صفر ١٤٢٥هـ، الموافق ٩ أبريل ٢٠٠٤م.
(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ - بعد أن خلقه من طين، أو من صلصال من حمأ مسنون - قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

من أجل ذلك نُنِى كل العناية بإصلاح هذه المضغة، أو هذا الجوهر، أو هذا الساكن في هذا الغلاف الظاهري: القلب، النفس، الروح، الفؤاد، العقل، سمّه ما تسمّيه، فعليه مدار صلاح الإنسان أو فساده، مدار حياة الإنسان أو موته، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

الحياة أو الموت هنا: هو حياة القلوب وموتها، وإنما ينجو الإنسان في الآخرة بهذا القلب إذا كان قلباً سليماً، وقلباً منيباً، له الحق أن يفوز بالجنة، وأن ينجو من النار ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. سيدنا إبراهيم حينما دعا ربه قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

قلب سليم من الشرك، قلب سليم من النفاق، قلب سليم من الرذائل. القلب السليم: هو الذي ينجو من النار، والقلب المنيب هو الجدير بأن يدخل الجنة، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * [ق: ٣٣، ٣٤].

من هنا كانت عنايتنا بهذه التزكية.

محطتنا السابقة: «العلم»:

وذكرنا فيما ذكرنا أن أول محطة في هذا الطريق، الطريق إلى الله، الطريق إلى الجنة، الطريق إلى الرضوان، الطريق إلى التزكية، أول محطة

هي: محطة العلم والمعرفة، أول ما يجب عليك أن تتفقه في دينك؛ «من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»^(١)، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ لأنك إذا لم تتفقه في دينك، إذا لم تسر في طريقك على بينة ربما شرقت وأنت تريد الغرب، أو غربت وأنت تريد الشرق، ربما عملت العمل تظنه عبادة وهو بدعة، تظنه حلالاً وهو حرام، تعتقده حقاً وهو باطل.

لا بد من العلم، ليعرفك هذا كله، لا بد أن تكون على بينة من ربك، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

هذا ما يريده الإسلام؛ أن تبدأ بالعلم أولاً حتى لا تضلّ وأنت لا تدري، ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

قال الحسن البصري: اطلبوا العلم طلباً لا يضرُّ بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضرُّ بالعلم؛ فإنَّ قومًا طلبوا العبادة قبل أن يطلبوا العلم؛ فخرجوا بأسياهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم أولاً لدلَّهم على غير ما فعلوا^(٢). طالب العبادة بغير علم يفسد أكثر ممَّا يصلح، هذا أمر مهم، يريد بهؤلاء الذين خرجوا بأسياهم على أمة محمد ﷺ الخوارج، وقد كانوا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٢)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٠٥)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

قومًا صَوَامًا قَوَّامًا عَبَادًا قَرَاءً للقرآن، ولكن آفتهم في فقههم، لم يُحسنوا الفقه للإسلام، لم يُحسنوا فهم القرآن، كانوا يقرؤونه ولم يتجاوز حناجرهم، يتلونه بالحناجر ولم يدخل في أعماق العقول والقلوب، فلهذا فعلوا ما فعلوا^(١).

حدّد مصادر معرفتك بدينك:

أول ما يجب عليك أن تحدّد مصادر معرفتك، من أين تأخذ دينك؟ قال السلف عليهم السلام: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ^(٢). يقولون هذا لطلاب الحديث، انظر عَمَّنْ تأخذ دينك، لا تأخذ كحاطب الليل؛ يحمل الحزمة من الحطب وفيها أفعى - حية - وهو لا يدري. ميّز عَمَّنْ تأخذ دينك؛ هناك أناس يأخذون أحاديث موضوعية، وأحاديث واهية ومنكرة، وأحاديث لا أصل لها، لا زمام لها، يبنون عليها أفكارهم وسلوكهم وتصرفاتهم ويؤسسون عليها علاقاتهم، وهي لا تستحق شيئاً من هذا.

أفكار بعض الصوفيّة المنحرفة:

هناك أناس يفهمون القرآن فهمًا معوجًا، يقيمون عليه حياتهم، ولم يأخذوا ذلك عن الثقات.

(١) جاءت الأحاديث الصحاح بوصف الخوارج، ومن ذلك قوله ﷺ لمن اعترض على قسمته: «يخرج قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه مسلم في المقدمة (١٤/١)، عن محمد بن سيرين.



لا بدّ إذن أن تحدّد مصدرك.

بعض الصوفيّة المنحرفين قالوا: نأخذ عن قلوبنا ولا نأخذ عن العلماء، نحن في غنى عن العلماء. أخذ «حدثني فلان عن فلان».

فيقول له: أنا لست في حاجة إلى فلان ولا إلى فلان، كان يقول: ماذا يصنع بعد الرزاق من يأخذ عن الخلاق؟ يقول: حدّثنا عبد الرزاق عن فلان عن فلان، فهو يتصل برّبنا مباشرة، ولذلك يقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي^(١).

هذا مرفوض، لا بدّ لنا من واسطة، لماذا أرسل الله رسله مبشرين ومنذرين، وألزم الناس أن يتبعوهم؛ لأنّ العصمة في اتباعهم، والنّجاة في السلوك وراءهم؟

قال الجنيد رَحِمَهُ اللهُ: كلُّ الطرق مسدودة إلّا من سار وراء محمّد ﷺ^(٢).

كان شيخ الصوفيّة والمربين في عصره «الجنيد» يقول: من لم يقرأ القرآن ويسمع الحديث فليس منّا^(٣).

لا بدّ أن تأخذ من القرآن، ومن الحديث، ولا تكن من أولئك الذين يحكمون أذواقهم؛ فكثيراً ما تؤدّي إلى الضلال، حتّى انتهى هذا إلى

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٦٤/١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (٧٩/١)، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٣) انظر: المصدر السابق.

بعضهم فقالوا: من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم^(١).

إذا نظرت إليهم بعين الشريعة تقول: هذا صالح، وهذا فاسد، هذا مؤمن وهذا كافر، هذا برّ وهذا فاجر، وهذا معروف وهذا منكرو، وهذا حلال وهذا حرام.

شريعة مميزة؛ فتقول: أحبُّ الصالح وأبغض الطالح، كن مع البرّ ولا تكن مع الفاجر.
هذا نظر الشريعة.

لكن أهل الحقيقة يقولون: من نظر إلى الخلق بعين الحقيقة عذرهم؛ لأنهم جميعاً ينفذون إرادة الله!

هل يحدث شيء في الكون بغير إرادة الله؟

كفر فرعون نفسه بإرادة الله، كفر إبليس نفسه بإرادة الله، الأمريكان في العراق ينفذون إرادة الله، الصهاينة في فلسطين ينفذون إرادة الله، صدام حسين نفذ إرادة الله، كل هؤلاء ينبغي أن تعذرهم!

وهذا هدمٌ للدين بالكلية؛ لأنَّ الدين قائم على أنَّ هناك طاعة ومعصية، وإيمانًا وكفرًا، وبرًّا وفجورًا، وأشياء يحبُّها الله، وأشياء يبغضها الله، وأنَّ هناك ثوابًا، وأنَّ هناك عقابًا، وأنَّ هناك جنّة وأنَّ هناك نارًا.

لا بدّ من معرفة الحقّ من الباطل، ومعرفة الحسن من القبيح، ومعرفة الخير من الشرّ، ومعرفة الهدى من الضلال، ومعرفة الحلال من الحرام.

(١) ذكر ابن القيم كلام هؤلاء، وردّ عليهم في مدارج السالكين (٢٠٧/١) وما بعدها، فليراجع.

وهذا لن يكون إلا إذا أخذنا عن رسول الله ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا خِدًى وَمَا نَهَيْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠]، ولذلك تلخص الإسلام في كلمتين حوتهما، الإخلاص، كلمة التوحيد، كلمة الشهادة؛ حوتهما تلك الكلمة: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

أشهد أن لا إله إلا الله: تعرّفك من المعبود، تعرّفك من الذي يستحق العباد؟

هو الله الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر للأمر.

وعمّن تأخذ العباد له؟ كيف تعبده؟ كيف ترضيه؟ كيف تسلك الطريق التي ترضيه؟

عن طريق رسوله محمّد، محمّد رسول الله، فكلتا الشهادتين تلازم الأخرى وتكملها.

أدعياء لتضليل عقل المسلم:

أول ما ينبغي للإنسان: أن يحدّد المصدر الذي يأخذ عنه.

هناك طوال التاريخ أناس يحاولون أن يخرقوا هذا الجدار الحاجز، أن يدخلوا إلى عقل المسلم ويضلّوه عن سبيل الله، وفي كلّ عصر أدعياء.

هناك من يريد أن يأخذ الإنسان عن طريق العقل أو الفلسفة، ظهر في الحياة الإسلامية، وفي الحضارة الإسلامية فلاسفة أخذوا أفكارهم من الحضارة الغربيّة، أو من الفلسفة الغربيّة، فلسفة الإغريق واليونان، لم يعد محمّد ﷺ هو معلّمهم الأوّل، بل كان معلّمهم الأوّل: أرسطو طاليس،

فما جاء به أرسطوطاليس هو الحقُّ، وهو الصواب، وما خالفه من تعاليم القرآن والسُّنة يجب أن يؤوَّل.

هذا ضلال مبين.

المبالغة في الإيمان بالعقل تضرُّ:

افتتن بذلك أناس كبار من عباقرة المسلمين، وظنُّوا أنَّ هذه الفلسفة التي برعت في الرياضيات والهندسة والعلوم الكونية لا يمكن أن تخطئ في الإلهيات، وكان هذا موطن الضلال، ليس كلُّ من أصاب في الرياضيات أو الطبيعيات يصيب في الإلهيات، الإلهيات يجب أن تؤخذ عن الوحي المعصوم، ولذلك أوَّلوا القرآن، وأوَّلوا السُّنة، وأوَّلوا البعث الجسماني، وأنكروا أنَّ هناك بعثًا للأجسام، وأنَّ هناك جنَّة فيها أكل وشرب وحوار عيني، وأنَّ هناك نارًا فيها عذاب وزُقُوم وحميم، وكذا وكذا.

وقد تبين فيما بعد أنَّ كثيرًا ممَّا ظنوه حقائق علمية لم تعد حقائق علمية، كانوا يقولون: العناصر التي يقوم عليها الكون أربعة: الماء والهواء والتراب والنَّار، ثمَّ أصبح التلميذ في المدارس الابتدائية يعرف أنَّ العناصر أكثر من مائة، وأنَّ التراب ليس عنصرًا؛ فهو مركَّب من عناصر كثيرة، والماء مركَّب من عنصرين، والهواء من عدَّة عناصر، وهكذا.

كانوا يقولون: الأفلاك أجسام لا تقبل الخرق ولا الالتئام، والآن انظروا كيف وصل الإنسان إلى القمر، وكيف ذهب إلى المريخ، وكيف يطمع فيما هو أبعد.

الفتنة بالعقل لا ينبغي أن تضلَّ المسلم على أن يعرف طريقه.

في عصرنا هذا أناس اتخذوا الغرب معبودًا لهم، اتخذوه صنمًا كما اتخذ الوثنيون من قبل الأصنام يعبدونها، ويسألونها أن تجلب لهم النفع، وأن تدفع عنهم الضرر، وأن تشفي لهم المرضى إلى آخره، هؤلاء اتخذوا من الغرب إلها؛ يسرون وراءه شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع^(١).

دعاة العلمانية في بلادنا هؤلاء يتعبدون، ولكن معبودهم ليس هو الله؛ الذي يؤخذ منه الأمر والنهي، والتحليل والتحريم، ولكن اتخذوا هؤلاء أربابًا من دون الله، فما أحلُّوا لهم أحلُّوه، وما حرَّموا عليهم حرَّموه.

لا بدَّ أن يُحدد الإنسان عمَّن يأخذ طريقه.

البرمجة العصبية وما وراءها:

هناك أناس في عصرنا يريدون أن يدخلوا على المسلمين بطرق شتى، من هؤلاء غربيون يدخلون على بعض المثقفين المسلمين عن طريق ما يسمَّى: البرمجة اللغوية العصبية، وهذا يعني أنَّهم يريدون أن يدخلوا على المسلم ليغسلوا دماغه، ويلقنوه أفكارًا في عقله اللاواعي، ثمَّ في عقله الواعي بعد ذلك، مفادها: أنَّ هذا الوجود وجود واحد، ليس هناك ربٌّ ومربوب، وخالق ومخلوق، هناك وحدة في الوجود، الأفكار القديمة التي قال بها دعاة وحدة الوجود يقول بها هؤلاء، عن طريق هذه البرمجة التي تقوم على: الإيحاء والتكرار، وغرس الأشياء في النفوس.

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «لتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟! قال: «فمن؟!». متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

وهم يقولون: نحن لا علاقة لنا بالدين، نحن عندنا برامج نعلمها للناس، ولكن وراءهم أهدافاً خبيثة، ومقاصد بعيدة، كل هذه ألوان من الغزو؛ يراد بها غزو العقل المسلم.

الغاية هي الله:

ولذلك أول ما ينبغي أن نحرس عليه، وأن نؤكد: أن تعرف - أيها المسلم - غايتك، وتعرف طريقك، الغاية هي: الله، الغاية هي: رضوان الله، الغاية هي: مثوبة الله ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، الله هو المعبود بحق، ولا معبود سواه، وبهذا بُعث الرسل، وأنزلت الكتب، وحقَّت الحاقَّة، ووقعت الواقعة، وقامت سوق الجنة والنار.

كل رسل الله جاءت تنادي بهذه الحقيقة: أن لا إله إلا الله، ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

لا بد من توحيد الألوهية:

الإيمان بوجود الله فطرة، لم يعرف في التاريخ قوم أَلحدوا وأنكروا وجود الله إلا فئات نادرة، ولكن الذي أضلَّ البشرية طوال تاريخها هو الشُّرك، النَّاس الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، فمنهم من عبدَ الشمس والقمر، ومنهم من عبدَ النُّجوم، ومنهم من عبدَ الأشجار، ومنهم من عبدَ الأبقار، ومنهم من عبدَ الشيطان، ومنهم من عبدَ الجن، ومنهم من عبدَ البشر.

هذا طوال التاريخ، ضلَّ النَّاس عن هذه الحقيقة، ولذلك كانت مهمَّة الرسل الأولى: أن يردُّوا النَّاس إلى التوحيد ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

هذه هي الحقيقة الكبرى، ولذلك كان من أوّل الأشياء التي حرص القرآن على أن يعلمها للناس حقيقة التوحيد ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

هذا أمر من الله لرسوله: أن يعلم؛ أوّل ما ينبغي للإنسان أن يعلمه: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، أن يعلم الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

هذا العلم مهمّ جدًّا، أن تعلم من تعبد، وصفات من تعبد، وأسماء من تعبد، وأن تعلم حقارة الدنيا التي تغرّ الناس، التي تعمي الناس عن رؤية مصايرهم، رؤية مستقبلهم، الناس يبحثون عن المستقبل، ولكن كلّ المستقبل الذي يبحث عنه الناس مستقبل هذه الدنيا، ماذا ستكون في المستقبل؟ في أي مركز؟ وفي أي وظيفة؟ وكم تجمع من المال؟ وكم تبني من القصور؟

المستقبل الحقيقي هو الجنة:

المستقبل الحقيقي يتمثّل في دار الخلود، في مصيرك: أهو جنة أم نار؟

هذا هو المصير العظيم، هذه هي القضية المصيرية، والقضية المستقبلية الأولى، إلام تصير أيّها الإنسان؟ إلى دار نعيم، أم إلى دار جحيم؟

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٩].

اعرف مستقبلك، اعمل لمستقبلك، فكر في مستقبلك، ماذا أعددت لغدك؟

ماذا أعددت لغدك؟

النبي ﷺ وعظ بعض الشباب فقال: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك»^(١)، خمسة أشياء، اغتنم هذه قبل هذه.

اعمل لمصيرك، اعمل لمستقبلك، إذا عرفت غايتك، وعرفت أنها الله، وحددت غايتك؛ فقد سلكت نصف الطريق. أكثر الناس يضيعون؛ لأنهم لا يعرفون لهم غاية، لا يعرف المرء له هدفاً في الحياة، إنه يعيش لأشياء تافهة لا تساوي شيئاً.

أيها الإنسان الذي ملّكه الله العقل، وملّكه المواهب والقدرات، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وبعث له الرسل، وأنزل عليه الكتب.

أيها الإنسان ما هي غايتك؟

اعرف أن غايتك الأولى: هي الله، أن تصل إلى رضوان الله، أن تحب الله ويحبك، أن تتقرب إلى الله بما يرضيه.

إذا عرفت هذه الغاية، فقد بدأت الطريق الصحيح، بدأت تسلك الطريق الصحيح، أهم شيء: أن تعرف هذه الغاية، يقول الشاعر:

(١) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.

لكل شيء إذا فارقتَه عوض وليس لله إن فارقت من عوض^(١)

كل شيء يمكن أن يعوّض؛ المال يعوّض، المناصب تعوّض، إلا معرفة الله؛ إذا ذهبت منك ذهب كل شيء، ولذلك يقول ابن عطاء الله ينجي ربّه: إلهي! ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي بك بدلاً، وخسر من بغى عنك حولاً^(٢). عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً قريباً، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبّك نصيباً.

اكسب رضا الخالق تسترح وتُرح:

اجعل الله غايتك، اجعل رضا الله نصب عينيك، ولا يهْمُك بعد ذلك رضي الناس أم سخطوا، قربوا أم بعدوا؛ فقد كسبت الغاية الأولى.

كان الصالحون ينشدون قول أبي فراس في مدحه لسيف الدولة الحمداني، فقالوا: أولى من يخاطب بهذا هو الله تعالى يقول له:

فليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
وليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
إذا صحّ منك الود فالكُلُّ هين وكلُّ الذي فوق التراب تراب^(٣)

ضع يدك في يد الله، حدّد غايتك؛ أن ترضي الله تعالى، بهذا تستريح، إنّما يتعذّب الناس حينما تتنازع غاياتهم، ينازع بعضها بعضاً، أيشرق أم

(١) البيت للشيخ أيّوب الخلوتي، كما في نفحة الريحانة للمحبي (١/٥٥٠)، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢) انظر: حكم عطاء الله الإسكندري بشرح الشيخ زروق ص ٥١٨.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٤٨، شرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

يَغْرَب؟ أيرضي زيدًا أم يرضي عمرًا؟ أيكسب المال أم يكسب الجاه؟
أيرضي هذا الأمير أم ذاك الأمير؟

ورضا النَّاس غاية لا تُدرَك، وكما قال الشاعر:

إِذَا رَضِيتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فلا زال غَضَبَانَا عَلَيَّ لِئَامُهَا^(١)

وقال آخر:

ومن في النَّاس يرضي كلَّ نَفْسٍ وبين هوى النُّفوس مَدَى بَعِيدٍ^(٢)

دعك من إرضاء الخلق، واكسب رضا الخالق، اكسب رضا الخالق، وبذلك تستريح وتُريح، من عرف هذه الغاية استراح وسعد، وشعر بحلاوة الإيمان تخالط بشاشته القلوب، شعر بهذه السعادة التي قال فيها بعض الصالحين: إنَّما نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف^(٣).

السعادة الروحية، سعادة الإيمان، قالوا: لو الملوك يعرفون قدرها لقاتلونا عليها بالسيوف، إنَّما من فضل الله عليهم أنَّ الملوك في شغل عنها، في غفلة وعمى عنها، لا يعرفون قدرها، ولذلك تركوها لهم، يستمتعون بها وحدهم دون منافس أو منازع.

هذه هي السعادة.

(١) هو محمد بن القاسم، المعروف بأبي العَيْنَاء، قاله للمتوكل العباسي، كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/١٧٧).

(٢) البيت لناصر اليازجي.

(٣) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/٣٧٠)، من قول إبراهيم بن أدهم، نشر مكتبة السعادة، مصر، ١٣٧٤هـ - ١٩٩٤م.

الطريق واحدة لا تتعدد:

اعرف الغاية، ثم اعرف الطريق للوصول إلى هذه الغاية.

الطريق طريق واحد، خذه من الوحي المعصوم، هو الذي يبين لك الطريق، يعرّفك الحلال من الحرام في التصرفات، يعرّفك المسنون من المبتدع في العبادات، يعرّفك الحق من الباطل في المعتقدات، يعرّفك هذا ويعرّفك أقدار الأعمال ومراتبها؛ أي شيء يأتي أولاً، وأي شيء يأتي آخرًا، النبي ﷺ يقول: «الإيمان بضغ وسبعون شعبة أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى من الطريق»^(١).

لا بد أن تعرف الأعلى والأدنى والوسط، ولا تخلط الأمور بعضها ببعض، لا تنشغل بالنوافل وتضيّع الفرائض، لا تنشغل بالفروع وتضيّع الأصول، لا تنشغل بالمختلف فيه، وتضيّع المتفق عليه، لا تنشغل بالمكروهات والناس يقعون في المحرّمات، بل في الكبائر.

اعرف الأمور بمستوياتها ومراتبها، اعرف «فقه الأولويات»^(٢)، واعرف فقه الموازنات، وازن بين المصالح بعضها وبعض، وبين المفسد بعضها وبعض، وبين المصالح والمفسد إذا تعارضت^(٣)، وليكن عندك معيار

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) من أنواع الفقه التي غنينا بها: فقه الأولويات، وقد كتبت فيه كتابات كثيرة، أهمها: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، وفي فقه الأولويات، ونعني بهذا الفقه: وضع كلّ شيء في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدّم الأولى فالأولى؛ بناء على معايير شرعية صحيحة؛ يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل. انظر: في فقه الأولويات ص ٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) لمنهجنا مرتكزات دعوية عُرف بها، ودعا إليها، هذه المرتكزات هي: الفقه بمعناه القرآني الذي يشتمل على ألوان الفقه، ويشمل أول ما يشمل: فقه آيات الله في الكون والمجتمع والأسرة، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه المقاصد، وفقه الاختلاف.

صحيح، معيار من الشرع الحقيقي، لا من الثقافة المغلوطة؛ التي تأخذها عن عوام الناس، وعوام الوعّاظ، ولا تأخذها عن المتشدّدين المغلقين؛ الذين يريدون أن يحرّموا عليك كلّ شيء؛ وأن يشدّدوا عليك كلّ شيء، ولا من المتسببين؛ الذين يريدون أن يبيحوا لك كلّ شيء، وأن يسهّلوا لك كلّ شيء. خذها من العلماء المعتدلين الراسخين الذين يردّونك إلى الأصول الصحيحة، إلى الشرع المعتبر من كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله.

قل: آمنت بالله ثم استقم:

اعرف غايتك، واعرف طريقك، وقل: «آمنت بالله، ثم استقم»، هكذا قال النبي ﷺ ذلك للصحابي حينما سأله، وقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. فقال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»^(١)، وكما قال القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠ - ٣٢]، لمن هذا كله؟ لمن قال: ربُّنا الله، ثم استقام.

«ربي الله» منهج حياة:

وكلمة ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ليست مجرد كلمة تلاك باللسان؛ إنها التزام. إذا قلت: ربي الله فمعناها: أنك تلتزم بمنهجه، وتعمل على ما يرضيه، وتجنّب ما يسخطه، هذا معنى: ربي الله، وتلاقي في ذلك ما تلاقي، وتصبر عليه، ولذلك نجد الذين قالوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أصابهم ما أصابهم.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، وأحمد (١٥٤١٦)، عن سفيان بن عبد الله.

سيدنا موسى حينما قال: ربي الله، أراد فرعون أن يقتله، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] من أجل إعلان هذه الحقيقة تسفكون دمه.

وحينما جهر النبي ﷺ، وجهر أصحابه معه بهذه الكلمة ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] ليس الأصنام، ليس الطواغيت، ليس هبل ولا مناة، ولا اللات ولا العزى، ولا البشر الذين يحلّون ويحرّمون على الناس ما يريدون، كالذين ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، حينما قال الرسول وأصحابه: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أصابهم ما أصابهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠] لا ذنب لهم إلا أنهم قالوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، أعلنوها صريحة، رفضوا كلّما سوى الله وقالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فأخرجوا من ديارهم وأموالهم، وصبّت عليهم سيّاط العذاب صبّا.

الاستقامة: أن تسلك الصراط المستقيم:

ولذلك قل: ربي الله، أي: اعرف غايتك، وتمسك بها، تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، واعرف طريقك وهو: الاستقامة على مقتضى هذه الكلمة؛ كلمة التوحيد، كلمة ربي الله.

اسلك طريق الاستقامة، لا تتوقف في هذا الطريق، ولا ترد عن هذا الطريق، ولا تنحرف يمينًا ولا شمالًا.

الاستقامة أن تسلك الصراط المستقيم؛ الذي تدعو الله أن يهديك إياه في كل يوم سبعة عشرة مرة على الأقل، إذا اقتصرت على صلاة الفرائض ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧]، المغضوب عليهم: الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، والضالون: الذين تاهوا عن طريق الحق ولم يعرفوه.

أنت تدعو الله أن يهديك إلى طريق غير طريق هؤلاء، بل إلى طريق الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين هداهم الله بهداه، والذين أشرقت عليهم أنوار الهداية من الله، فهذا هو الطريق.

العلم إمام والعمل تابع:

اعرف غايتك، واعرف طريقك، هذا ما ينبغي أن يطلبه المسلم، الذي يريد أن يسلك الطريق إلى الله، وأن يزكي نفسه للوصول إلى مرضاة الله، وبغير هذا لن يصل إلى ما يريد، مهما أكثر من العمل، إذا لم يكن عملاً مبنياً على علم صحيح، فإن «العلم إمام، والعمل تابعه»^(١) كما قال معاذ رضي الله عنه.

العلم عندنا - نحن المؤمنين - إمام العمل، وهو دليل الإيمان، ليس هناك عندنا انفصال بين العلم والإيمان، العلم هو دليل الإيمان، الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

انظر إلى هذا التعبير القرآني ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فيترتب على هذا أن يؤمنوا بالله، ويترتب على هذا الإيمان

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٨/١).



أَنْ تَخْبِتَ قُلُوبَهُمْ، «الفاء» في اللغة العربيّة تدلُّ على الترتيب والتعقيب، أي أَنَّ العلم يُوَثِّرُ فيحدث الإيمان، والإيمان يُوَثِّرُ فيحدث إكبات القلوب، وخشوع القلوب، ورقّة القلوب، وخشية القلوب.

هذا هو العلم، فتمسّكوا بالعلم أيّها الإخوة، وسيروا في الطريق المستقيم، واسألوا الله تعالى أن يتمّ عليكم نعمته، ويُنزل عليكم سكينته، وأن ينشر عليكم فضله ورحمته، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

أقول قولي هذا أيّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ذكرى سقوط بغداد ومذبحة الضلّوجة:

نحن اليوم في التاسع من نيسان، أو التاسع من أبريل سنة (٢٠٠٤م)، وهذا هو اليوم الذي يمثّل الذكرى الأولى لسقوط بغداد؛ عاصمة الرشيد والمأمون، ودار السلام، سقوطها في يد الاحتلال الأمريكي وحلفائه، مرّت سنة كاملة اثنا عشر شهراً على هذا الحدث، على الحرب في العراق؛ التي انتهت بعد ثلاثة أسابيع، وانتهت فجأة بغير مقدمات، وأصبح الأمريكيان هم السادة؛ الذين يحكمون هذه الديار!

أكذوبة أسلحة الدمار الشامل:

وقد تبينت حقائق في هذا العام، من هذه الحقائق: أنّ الأمريكيان زعموا أنّهم دخلوا العراق، ليتخلّصوا من أسلحة الدمار الشامل، التي كان يملكها العراق، وقد مضى اثنا عشر شهراً ولم يجد الأمريكيان، ولا حلفاء الأمريكيان، من أسلحة الدمار شيئاً، والبلد بأيديهم يجوبونها شبراً شبراً، لم يجدوا فيها شيئاً، وأصبح هناك أناس يحاكمون من أجل هذه القضية؛ في أمريكا، وفي بريطانيا، وهناك من استقال، وهناك من انتحر، وهناك، وهناك.

ظهرت الأكذوبة الكبرى: أنّ الأمريكيان ما دخلوا من أجل هذا الأمر، وقبل ذلك كان هناك فريق تفتيش دولي لأمريكا فيه نفوذ؛ أي نفوذ، ما عثر على شيء.



أمريكا دخلت بقرار فرعوني:

تبين إذن أنّ دخول الأمريكان لم يكن له مبرر في ميزان القانون الدولي، وعلى كلّ حال الأمريكان لم يدخلوا بقرار دولي، بل دخلوا بقرار فرعوني، بقرار شخصي، بالقوة الغالبة، «بالعافية»، لم يوافق مجلس الأمن على دخول الأمريكان، ولم توافق بعض الدول الكبرى مثل: فرنسا وألمانيا والصين على دخول الأمريكان.

ولكن الأمريكان دخلوا بدعوى تخليص العراق من أسلحة الدمار، وما وجدت أسلحة الدمار، ثمّ قال الأمريكان: إنهم دخلوا ليخلصوا العراقيين من طغيان صدام حسين.

الأمريكان قوم تفيض قلوبهم رقة ورحمة! رقة ورحمة بالعراقيين المساكين! جاؤوا ليخلصوا شعب العراق من صدام حسين.

سلمنا وصدقنا يا معشر الأمريكان، وتخلصتم من صدام حسين، وخلصتم الشعب العراقي من صدام حسين، الذي طالما أيّدموه وآزرتموه وعاونتموه، وأسلحة الدمار الشامل أنتم الذين أعطيتموه إيّاها، يقول رامسفيلد: نحن الذين أعطيناه هذه الأسلحة.

أنتم الذين عاونتموه ليضرب بهذه الأسلحة إيران، ويضرب بهذه الأسلحة الأكراد في حلبجة، ويوم ضرب هؤلاء وأولئك لم تقولوا كلمة، ولم تنكروا عليه.

خلصتم الشعب العراقي من صدام، شكرًا جزيلاً!

يا أمريكا ارجعوا إلى دياركم، أريحونا من وجودكم، أدّيتم مهمّتكم.

ما بقاؤكم في هذا البلد؟

يقولون: بقينا في هذا البلد لنقرّ فيه الأمن والاستقرار والطمأنينة، مضت السنة كاملة ولم نر أمناً، ولا استقراراً، ولا اطمئناناً؛ الوضع يزداد سوءاً، الطين يزداد بلّة، والداء يزداد علّة، ووجودكم نفسه هو الذي يحدث هذا الخلل، هو الذي يمنع الاستقرار ويمنع الأمان.

اخرجوا من العراق، واتركوا العراق لأهله.

هذا ما ينادي به العراق جميعاً؛ عربيه وأكراده، سُنته وشيعته، مسلموه ومسيحيوه، يقولون للأمريكان: اخرجوا من بلادنا، اتركونا نتصرّف في أمرنا.

العراقيون ليسوا في حاجة إلى أوصياء:

هل الأمريكان معلّمون للعراقيين؟!!

العراقيون بلد ورث حضارات عمرها آلاف السنين، الأمريكان حضارتهم بنت مائتي سنة، مائتي سنة سوف تعلّم آلاف السنين؟

اتركوا - أيّها الأمريكان - العراق لأهله، العراق أهل لأن يقود نفسه بنفسه.

وجودكم هو الخطر، وجودكم هو الشرّ، ما دمتم موجودين ستظلّ الأمور على ما هي عليه، وتزداد كلّ يوم سوءاً، وآخر ما رأيناه هذه المجزرة الهائلة، نحن نرى في كلّ يوم قتلى، وفي كلّ أسبوع ضحايا وشهداء، في المناطق المختلفة، كانت مناطق أهل السنة أولاً، ثمّ أضيف إليها الآن مناطق الشيعة بدخول الصدر وجيشه في المعركة، الشيعة تحرّكوا.

لا بدّ لهذا الشَّعب مهما صبر أن يتحرَّك، كلُّهم يريد الحرية، كلُّهم يريد الاستقلال، في كلِّ يوم نرى ضحايا وشهداء.

هؤلاء الأمريكيان لا يعرفون أقدار النَّاس، لا يعرفون القيم التي تسود النَّاس، لا يعرفون التقاليد التي تحكم النَّاس، يدخلون البيوت، ويفتشون النَّاس، ويكشفون النِّساء، ويكشفون على هذا وذاك، لا يراعون حُرمة ولا يراعون عورات، ولا يراعون قِيَمًا، وليس عندهم شيء من الحياء؛ النَّبي ﷺ يقول: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١).

التمثيل بالجثث منهي عنه، ولكن!

هذه الأعمال المستفزة تدفع العراقيين أن يدفعوا عن أنفسهم، ولقد حدث أن قتل بعض النَّاس عددًا من الأمريكيين، ومثَّلوا بأربعة جنود منهم، وجُن جنون الأمريكيان، كيف يمثِّل بجنودهم؟

هنالك أرادوا أن ينتقموا من شعب الفلُّوجة جميعًا بسبب هؤلاء الأفراد. إنَّه منطق الإرهابيين أنفسهم، إنَّهم يحاربون الإرهابيين بدعوى أن الإرهابيين لا يفرِّقون بين مدني وغير مدني، ويحاربون جماعات كاملة من أجل فرد أو فردين.

هم يفعلون هذا.

الإرهابيون ربَّما فعلوا ذلك لعجزهم عن الأخذ بحقوقهم، وليأسهم من الاقتصاص من الظلمة.

أمَّا أنتم الدولة الكبرى، كيف تفعلون ما يفعل الإرهابيون؟! كيف تعاقبون شعبًا كاملاً من أجل التمثيل بأربع جثث؟

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١٢٠)، عن أبي مسعود الأنصاري.

نحن ننكر التمثيل بالجثث؛ الإسلام لا يرضى التمثيل بالجثث،
النبي ﷺ في وصاياه يقول: «لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا،
ولا تقتلوا وليدًا...»^(١).

هذه وصاياه لأصحابه ولقواده، وكذلك الخلفاء الراشدون في
وصاياهم، الكل يرفض التمثيل بالجثث، لا انتقام من الإنسان بعد موته.

الإسلام يحترم الإنسان بعد موته؛ مسلمًا أم غير مسلم، أبو بكر رضي الله عنه
حينما جيء له بضرة ففتحها، فوجد فيها رأسًا، فسأل: ما هذا؟

قال له المبعوث الذي جاء بها: هذه رأس أحد قوّاد الفرس.

فقال له: لا يُحمل إليّ رأس بعد اليوم.

قال: يا أمير المؤمنين، إنهم يفعلون ذلك بقوّادنا، إذا قتلوا قائدًا بعثوا
برأسه إلى ملكهم، أو كبير قوّادهم، فقال: آستنان بفارس والروم؟
- يعني: أتستنون بسنتهم وتقتدون بهم وتتخذونهم أئمة لكم - والله
لا يحمل إليّ رأس بعد اليوم، إنّما يكفي الكتاب والخبر^(٢).

تكفي رسالة: أننا قتلنا القائد الفلاني.

رفض أبو بكر رضي الله عنه أن نستنّ بهم ونفعل ما يفعلون بنا.

هذا هو الإسلام، لا قانون الغاب.

هذا هو الإسلام.

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأحمد (٢٣٠٣٠)، عن بريدة.

(٢) رواه سعيد بن منصور في الجهاد (٢٦٤٩)، والبيهقي في السير (١٣٢/٩)، وقال ابن الملقن في
البدر المنير (١٠٧/٩): إسناده صحيح. وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند (٢٣١/٤٥):
إسناد رجاله ثقات. عن عقبة بن عامر.

كيف يحمل شعب الفلوجة جمعيه وزر هؤلاء ولا نعرف من أين جاؤوا؟

ربّما جاؤوا من الخارج.

هذا منطق الغابة، قانون الغاب هو الذي يسيّر الأمريكان، قانون الظفر والناب، القوّة هي التي تحكم وليست المنطق، وليست الأخلاق. هذا ليس عالمًا متحضّرًا؛ هذا عالم متخلّف، العالم المتخلّف هو الذي يحكمه قانون الظفر والناب.

نحن ننكر على القوات الأمريكيّة هذه الهجمات الوحشية على شعب الفلوجة، وعلى قتلهم النّساء والصبيان، والشيوخ والمدنيّين بغير مبالاة. الدماء تُسفك، والحرّات تُتّهك، والمساجد تدمّر، والمنازل تخرب، كأننا في حرب عالميّة؛ بالطائرات الأباتشي، والطائرات المقاتلة إف (١٦)، والدبّابات والمجنزرات.

ما هذا؟ علام تستأسدون؟!

على أناس عزل، لا سلاح معهم، الآن أصبح كلّ أهل الفلوجة في مقاومة هذا العدوان الوحشي، هذه الهجمات التي لا ترعى لأحد حرمة، ولا ترقب في مؤمن إلّا ولا ذمّة.

إننا ننكر هذا العدوان الوحشي، وندعو العالم المتحضّر كلّ أن يقف معنا، وندعو العرب والمسلمين؛ ندعو جامعة الدول العربيّة، وندعو منظمّة المؤتمر الإسلامي، وندعو كلّ المؤسسات: أن تقف ضد هذه الهجمات الوحشية، وندعو مجلس الحكم الانتقالي والأحزاب الوطنية

والإسلامية أن تقف موقفًا، أن ترفض هذا وتنكره، وتحدّد للأمريكان موقفًا؛ إما أن تفعلوا هذا أو نستقيل، لا بدّ من تهديد هؤلاء، لا يجوز أن يستسلم الناس أمام الطغيان؛ فإنّ الطاغية إذا استسلمت له شبرًا، أراد لك أن تستسلم ذراعًا، وإذا استسلمت ذراعًا أراد أن تستسلم باعًا، وإذا استسلمت باعًا أراد أن تستسلم كيلو متر.

وهكذا لا نهاية للتنازلات؛ إذا سرنا في طريق التنازلات.

تحية لشعب العراق الباسل:

إنّنا نحیی الشعب العراقي الباسل الكريم، ونحیی كلّ من وقف في تأييد هذه القوّة المقاومة، التي تقاوم الاحتلال، وتدافع عن أرضها، وتريد الاستقلال لأوطانها.

نحیی هؤلاء، ونحیی وزير حقوق الإنسان، الذي قدّم استقالته احتجاجًا على هذا العدوان الوحشي.

ننادي الشعب العراقي أن يلتفت جميعًا بسنته وشيعته، بعربه وأكراده، بمسلميه ومسيحييه، بكلّ فئاته الوطنية والإسلامية، بكلّ قواه المدنية، نريده أن يلتفت حول إخوانه وأن يدافع عنهم، وأن يقف صفاً واحداً، كالبنیان المرصوص.

ونريد من حكام العرب والمسلمين أن يحتجّوا على هذا، وأن ينادوا الأمريكيان: أن كفّوا عن إخواننا، كفّوا أيديكم عن هذا الإيذاء، كفّوا أيديكم عن هذا العدوان، عن هذا التجبر.

إنّ الأمريكيان يتصرّفون تصرّف المتجبر الجبار، والله تعالى يخيب آمالهم ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].



أيُّها الإخوة المسلمون، لقد كثرت مصائب الأُمَّة، ولا ندري أي مصيبة ندفع؛ المصائب من هنا ومن هناك، المصائب عن يمين وشمال، يحترار من يتحدَّث عن مصائب المسلمين ومآسي المسلمين بأيها يبدأ، وبأيها ينتهي، كثرت علينا المآسي، وكثرت علينا النكبات، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

ولكن أملنا في هذه الأُمَّة أنَّها ستنتصر، وأنَّ بعد هذا الظلام فجرًا، وأنَّ بعد هذا العسر يسرًّا، وأنَّ الله غالب على أمره، ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

أسأل الله تعالى أن يهيئ لهذه الأُمَّة من أمرها رشدًا، وأن يجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.





التوبة إلى الله

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نتحدث عن النفس الإنسانية، عن القلب البشري، عن هذه المضغة التي «إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١)، عن هذه التزكية التي هي أساس الفلاح في الدنيا والآخرة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ [الشمس: ٩، ١٠]، فالنفس هي أساس صلاح الفرد، والفرد هو أساس صلاح المجتمع.

تحدثنا عن تلك البواعث التي لا بدَّ منها لتنبعث النفس إلى الطاعة، وتترك المعصية، بواعث الخوف والرجاء، الخوف من عذاب الله تعالى وعقوبته، والرجاء في فضل الله تعالى ورحمته، فلا يُخرج الهوى من القلب إلا خوف مزعج، أو شوق مُقلق، خوف يزعج النفس ويبعدها عما يسخط الله ﷻ، أو شوق يُقلقها ويحركها إلى ما يحب الله ﷻ.

إذا سيطر الخوف والرجاء على قلب الإنسان، فخشي ربه، ورجا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

رحمته، فلا بدّ أن ينبعث إلى الخيرات، ويستبق إلى الطاعات، ويسلك الطريق إلى الله تعالى، يسلك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

التوبة إلى الله:

وأول ما ينبغي أن يسلكه وهو سائر في الطريق إلى الله وَعَلَى هو التوبة، فأول منازل السائرين إلى الله تعالى منزلة التوبة.

والتوبة في لغة العرب تعني الرجوع، تاب أي: رجع، فالتائب كأنما شرد عن الطريق الصحيح ثم رجع، ضلّ ثم اهتدى، انحرف ثم استقام، الأصل في الإنسان أن يكون في طريق ربه، فإنه مولود على الفطرة، والفطرة أن تكون مع الله فارًّا إليه، لا فارًّا منه، ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

الانتصار على الشيطان:

ولكن الإنسان إذا وسوست له نفسه الأمّارة بالسوء فاستجاب لوساوسها، أو أغواه الشيطان فاستجاب لغوايته فإنه يدع الطريق الصحيح، والطريق الطبيعي، والطريق المنطقي، يترك طريق الله ليسير في طريق عدوه، طريق الشيطان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

الواجب على الإنسان أن يحذر من هذا العدو المتربص، الذي لا يغفل عن الإنسان لحظة، قيل لأبي سعيد الحسن البصري: يا أبا سعيد، هل ينام الشيطان؟ قال: لو نام لاسترحنا^(١). إنه يعمل ليل نهار، لا يأخذ إجازة.

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣١).

بل أقسم هذا اللعين على أن يغوي أبناء آدم، فقال: ﴿لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، ﴿لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. سيعمل بكل وسيلة، ويأتي من كل جهة، مغريًا بالسيئات، مُعَوِّقًا عن الحسنات، مُرَغِّبًا في الدنيا، مُنْفِرًا عن الآخرة، سيعمل بكل ما يستطيع من تزيين وإغواء: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]، ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].

إذا سار الإنسان في طريق المعصية فقد سار في ركاب الشيطان، وبعد عن طريق الرحمن، فإذا أدركته الصحو، هذه اليقظة القلبية التي تقع في أي وقت من الأوقات بفضل الله ﷻ، إذا سرى إلى قلبه هذا النور، هنالك يفكر في التوبة.

ولا بد للإنسان أن يفكر في التوبة، لا بد أن يخلص نفسه من أسر الشيطان، العاصي أسير في يد الشيطان، سجين عنده، يتحكم فيه ويتمكن منه، ويُصِرِّفه كيف يشاء، أصبح لعبة بيديه، كيف يفك هذا الأسر؟ كيف يفر من هذا السجن؟ إنما يفعل ذلك بالتوبة، بأن يرجع إلى ما ينبغي أن يكون عليه حقًا، رجوع من الباطل إلى الحق، من الشيطان إلى الرحمن، من المعصية إلى الطاعة، من الانحراف إلى الاستقامة، هذه هي التوبة.

التوبة مطلوبة من جميع الناس:

والتوبة مطلوبة من النَّاسِ، كل النَّاسِ، الله تعالى يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وفي آية أخرى يقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. إياك أن تقول: أنا

على ما يُرام، أصلي وأصوم، وأؤدي الواجبات، وأترك المحرمات؛ فممّ أتوب؟ لو قلت ذلك؛ فهذا هو الغرور بعينه.

وانظر إلى مَنْ هو أفضل منك، وأقرب إلى الله تعالى، وهو رسول الله ﷺ الذي زكّاه ربه ﷻ، وأدّبه فأحسن تأديبه، وصنعه على عينه، واضطنعه لنفسه، وأنزل عليه آخر الكتب، وختم برسالته الرسالات، الرسول ﷺ الذي كانت تنام عيناه وقلبه لا ينام، والذي كان لا يغفل عن ربه طرفة عين، ولا أقلّ من ذلك، والذي كان يراقب ربّه في غدواته وروحاته، وحركاته وسكناته، الرسول ﷺ الذي كان يقوم الليل حتّى تتفطر أو تتشقق أو تتورّم قدماه؛ فتقول له زوجته عائشة: رفقا بنفسك يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر! فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»^(١)

هذا الرسول الكريم يقول: «يا أيّها النّاس، توبوا إلى الله فإنّي أتوب إليه في اليوم مائة مرّة»^(٢). إذا كان هذا شأن الرسول العظيم فكيف يكون شأننا؟ مَنْ منا يدعي أنّه سالم من العيوب، مُبرأ من الذنوب؟! مَنْ ذا الذي ما ساء قط؟ وَمَنْ له الحُسنى فقط^(٣)؟

مَنْ منا يدعي أنّه نبيّ معصوم، أو ملك مطهّر؟

الأنبياء سألوا الله المغفرة، نوح يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]. وإبراهيم يقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]. وسليمان يقول:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢) (٤٢)، وأحمد (١٧٨٤٧)، عن الأغر المزني.

(٣) مقامات الحريري ص ٢٢٩، ٢٣٠، نشر مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]. وموسى يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وقد روي عن محمد ﷺ من صيغ الاستغفار ما لم يرو عن نبي قط، كان يقول: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي». ما أعظمك يا رسول الله! «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»^(١).

ولهذا قالوا: إن على الإنسان أن يستغفر ممّا يعلمه من الذنوب، ومما لا يعلمه، وقد روى ابن حبان في صحيحه، أن النبي حذر من الشرك وقال: «الشرك في أمتي أخفى من ديب النمل». فقال أبو بكر: وكيف نفعل يا رسول الله؟ وقد لا نحس به. فقال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفر لك لما لا نعلم»^(٢). وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وسره وعلايته، وأوله وآخره، ما علمت منه وما لم أعلم»^(٣). يسأل الله الخير كله، ما علم منه وما لم يعلم، ويستعيذ به من الشر كله، ما علم منه وما لم يعلم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

(٢) رواه أحمد (١٩٦٠٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في الأوسط (٣٤٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٦٩): رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان. عن أبي موسى الأشعري.

(٣) رواه مسلم (٤٨٣)، وأبو داود (٨٧٨)، كلاهما في الصلاة، عن أبي هريرة.



التوبة المطلوبة على الفور:

كما أنَّ التوبة المطلوبة على الفور دون تأخير، من كل الذنوب: كبيرها وصغيرها، حتَّى الصغائر، فإن الصغيرة تجر إلى الكبيرة، والقليل يجر إلى الكثير، ولهذا قالوا: المعصية بريد الكفر. لأنَّ صغائر المعاصي تدفع إلى كبائرها، وكبائرها تدفع إلى الكفر والعياذ بالله، إلى سوء الخاتمة، وهذا هو الخطر كل الخطر.

إذا لم يتب الإنسان سريعاً من معصيته فيمكن أن يمتلأ قلبه بالمعاصي، يُنكت فيه نكته سوداء، فإذا سارع بالتوبة صُقلت ومُحيت، و«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(١).

ولكن الخطر إذا لم يسارع بالتوبة، الخطر في التسويف، وسوف جند من جنود إبليس، كما قال بعض السلف. تقول: سوف أفعل، سوف أتوب، سأَتوب فيما بعد. وما يدريك أن تعيش فيما بعد؟ هل أخذت صكاً بأن ملك الموت لن يأتيك إلا بعد سنة أو بعد عشر؟

كُلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ^(٢)

من أين لك أن تعيش إلى الغد؟ بل من أين لك إذا أصبحت أن تعيش إلى المساء؟ بل من أين لك إذا خرجت من البيت أن تعود إليه سالمًا؟ وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء^(٣).

(١) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٠)، والطبراني (١٥٠/١٠)، والبيهقي في الشهادات (١٥٤/١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة موقوفاً على أبي بكر، في قصة مرضه.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، عن ابن عمر.

كم من أناس وافاهم الأجل، وكانت آمالهم بعيدة، وطموحاتهم كبيرة! ولكن أخذهم الموت أخذًا، واغتالهم اغتيالًا، ما أكثر من يموتون بالذبحة الصدرية، أو بالسكتة القلبية، أو بحادثة من الحوادث، التي لا تخطر للإنسان على بال، كثيرًا ما يصاب الإنسان بحادث وهو ماشٍ في الطريق لا يركب سيارة ولا شيئًا، من يضمن أن الموت متأخر عنك؟ ولهذا فإن التسويف خطر كل الخطر.

من الحزم والكيس والعقل أن تبادر إلى التوبة، ولا تدع الذنوب تتراكم عليك، كما يفعل الإنسان إذا كان عليه دين، أن يبادر بقضائه والوفاء به، ولا يتركه حتى يأتي دين ثم دين ثم دين، ثم تتراكم عليه الديون؛ فيعجز عن الوفاء، فيُشهر إفلاسه، وهذا هو الخطر.

يمكن التخلص من الذنوب بالمبادرة بالتوبة، قبل أن تتراكم الذنوب، وتملأ القلب بالسواد والرّين، الذي ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]. فلا ينبغي تأخير التوبة.

وقد قال المحققون: المعصية ذنب، وعدم التوبة منها ذنب آخر، وتأخير التوبة ذنب ثالث. ولذلك ينبغي إذا تاب الإنسان ينبغي أن يتوب من أمرين: من الذنب نفسه، ومن تأخير التوبة عنه، فالتأخير ذنب آخر قد لا يخطر ببال الإنسان حينما يتوب: أن يتوب عن التأخير أيضًا، لأن تأخير توبته من هذا الذنب ذنب يضاف إلى الذنب، فالتوبة مطلوبة على الفور.

التوبة مطلوبة من جميع الذنوب:

كما أن التوبة مطلوبة من جميع الذنوب، التوبة من الكبائر، والتوبة من الصغائر، والتوبة من الشبهات، والتوبة من الغفلات، والتوبة من تضييع الأوقات.



١ - التوبة من الكبائر:

ينبغي أن يتوب الإنسان من كبائر الذنوب، والكبيرة قد تكون فعل محظور أو ترك مأمور، عليه أن يُفتش: هل له كبيرة من الكبائر؟ هل عقّ والديه، أو قطع رحمًا، أو أساء إلى جار؟ هل اغتاب مسلمًا، أو نمّ على مسلم؟ هل آذى إنسانًا بيده أو بلسانه؟ هل قسا على عبد من عباد الله، أو أكل مالا بالباطل؟ هل أدخل جوفه لقمة من حرام، أو أدخل جيبه درهمًا من حرام؟ إذا حاسب الإنسان نفسه هذا الحساب سيجد أن رصيده من السيئات كثير، ولهذا ينبغي أن يتوب من الكبائر.

٢ - التوبة من الصغائر:

وينبغي أن يتوب الإنسان من الصغائر. حتّى الصغائر؛ لأن الصغيرة يمكن أن تكبر بأشياء معينة.

تكبر بالمدائمة عليها والإصرار عليها، ولهذا قال السلف: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار. الإصرار على الصغيرة والمدائمة عليها ينقلها أو يقربها من درجة الكبيرة.

وهذا ما حذر منه النبي ﷺ فقال: «إِيَّاكُمْ وَمَحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَالِبًا»^(١). وضرب النبي ﷺ مثلاً لهذه المحقّرات من الذنوب التي يحتقرها الإنسان؛ بالقوم يريدون أن يوقدوا نارًا ليصنعوا طعامًا، وليس معهم الحطب، فيذهب الرجل فيجيء بالعود، والرجل فيجيء بالعود، والرجل فيجيء بالعود، حتّى يجمعوا حطبًا ويؤجّجوا نارًا.

(١) رواه أحمد (٢٤٤١٥)، وقال مخرجه: إسناده قوي. وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٣)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٥١٣)، عن عائشة.

تأججت النيران من مجموع العيدان الصغيرة المفردة، عود على عود، وغصن على غصن، وحطبة على حطبة، كذلك صغائر المعاصي، تكبر بالإصرار عليها والمداومة عليها، وضم بعضها إلى بعض.

كما تكبر الصغائر أيضًا بالاستهانة بها، إذا استهان الإنسان بالصغائر وقال: هذه معصية صغيرة. لا، لقد قال الصالحون والعارفون: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى كبرياء من عصيته.

وروى الإمام البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: المؤمن يرى ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا وهكذا^(١). ذبابة أطارها بيده وانتهى الأمر، أمّا المؤمن فيرى ذنبه كالجبل، دائماً يستحضر ذنبه ويستشعره ويستكبره، لأنّه ينظر إلى عظمة من عصاه، فالإنسان المؤمن يتوب من الكبائر والصغائر على السواء.

٣ - التوبة من الشبهات:

بل إنّ على الإنسان المؤمن أن يتوب من الشبهات أيضًا، ما يشبهه في حِلّه وحرمة يتوب منه، «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه»^(٢)، فإذا وقع بالفعل؛ فإن عليه أن يتوب من هذه الشبهات.

بل قال بعض الصالحين من أهل المعرفة: العوام توبتهم من الذنوب، والخواص توبتهم من الغفلات. فالناس درجات كما جاء في القرآن

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن

بشير.

الكريم، هناك أهل اليمين، وهناك المقرَّبون، ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿[الواقعة: ١٠، ١١]، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وحسنات الأبرار سيئات المقرَّبين، هناك من المقرَّبين من السابقين من لا يتوب من الذنب؛ بل يتوب من الغفلة، إذا شعر أنَّه غفل عن الله ﷻ، أن قلبه قد أصابته غفلة فلم يذكر ربه بقلبه، ولا بلسانه. يرى أن ذلك أمرًا يجب التوبة منه، إنَّها مراتب ودرجات، وهم يتوبون من الغفلة.

والله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. ويقول: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

هناك من يتوب من هذه الغفلة إذا غفل عن الله ولم يذكره؛ بل هناك من يتوب من تضييع الأوقات، مجرد أنه أضاع وقته فيما لا ينبغي - ولو لم يكن ذلك في معصية - يرى أن هذا أمرًا يُتاب منه. ذلك أن الأوقات نعمة من الله على الإنسان، بل هي رأس مال الإنسان، بل هي حياة الإنسان.

ما هي حياتك أيُّها الإنسان؟ حياتك هي الأوقات التي تقضيها من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، هذا الوقت هو حياتك، فإذا أنت ضيّعت وقتك فقد ضيّعت حياتك، وضيّعت رأس مالك.

والله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ يَخْلِفُ النَّهَارَ وَالنَّهَارَ يَخْلِفُ اللَّيْلَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، فمن فاتته شيء في الليل استدركه في النهار، ومن فاتته شيء في النهار استدركه في الليل.

٤ - التوبة من معاصي القلوب:

إذا كان الخواص يتوبون من الغفلات، ويتوبون من تضييع الأوقات، فنحن على الأقل نتوب من الذنوب، وما أكثر ما يحيط بنا من الذنوب، ذنوب اللسان، وذنوب العين، وذنوب الأذن، وذنوب اليد، وذنوب البطن، وذنوب الفرج، وذنوب الجوارح.

والذنوب الأشد من ذلك كله هي ذنوب القلوب، معاصي القلوب أخطر من معاصي الجوارح: الكبر، والغرور، واحتقار عباد الله، والرياء، وحب الدنيا، وحب المال، وحب الجاه، والحسد، والغضب، والبغضاء، إلى آخر هذه الأمور التي سمّاها الإمام الغزالي (المهلكات)، وقد جاء في الحديث: «ثلاثٌ مُهلِكَات: شحٌّ مطاع، وهوى متَّبَع، وإعجاب المرء بنفسه»^(١). الشح، والهوى، والإعجاب بالنفس، كلها أمور معنوية.

كثير ما يتوب بعض الناس من ذنوب الجوارح، وينسون ذنوب القلوب، وهي أشدَّ خطرًا، وقد يظن بعضهم نفسه تائبًا، وينظم نفسه في سلك التائبين وهو في الواقع يحمل من هذه المعاصي الخطيرة ما لا تُقبل معه توبة. يحمل العُجب، أو يحمل الغرور، أو يحمل القسوة على عباد الله، أو يحمل اليأس والقنوط من رحمة الله، أو يحمل الأمن من مكر الله، يحمل هذه المعاصي بين ضلوعه وفي سويداء قلبه، وهو يظن أنه من التائبين لأنه لا يزني ولا يشرب خمرًا!

يقول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَر»^(٢). ويقول: «بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم»^(٣). من

(١) رواه البزار (٧٢٩٣)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

أعلى درجات الشر أن ينظر إلى الآخرين بعين الازدراء والاحتقار، وينظر إلى نفسه بعين الاستعلاء والاستكبار، درجات في الشر والمعصية.

ولهذا ينبغي للإنسان إذا أراد أن يسير في الطريق إلى الله أن يختبر نفسه، أن ينظر في أمر نفسه، أن يجعل نفسه بين يديه، يضعها على مشرحة التحليل، يحلل نفسه، ينقدها نقدًا ذاتيًا كما يقولون اليوم، يعرف خباياها، لا يضحك على نفسه، لا يزور على نفسه، كُن صريحًا مع نفسك، إذا نافقت الناس فلا تنافق نفسك، واعلم ما تصنعه: هل هو الله أم لغير الله؟

هذه كلها بعض المعاصي التي ينبغي للإنسان أن يتوب منها توبة نصوحًا، كما أمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].

أمّا ما هي حقيقة التوبة النصوح؟ وما أركانها؟ وما شروطها؟ فلذلك حديث مقبل إن شاء الله، نسأل الله أن يتوب علينا توبة نصوحًا، وأن يجعلنا من التوابين ومن المتطهرين، وأن يغفر لنا ما نعلم وما لا نعلم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



٤

التوبة وأركانها

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن التوبة، وضرورة التوبة، وأن المؤمنين جميعاً مطالبون بأن يتوبوا إلى الله، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ويقول الله وَجَّكَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

من لم يتب فقد ظلم نفسه:

من لم يتب من معاصيه وذنوبه؛ سواء كانت مما يتعلق بحقوق الله، أم بحقوق الناس، كالسخرية بالناس، والتنازع بالألقاب، وعيب الناس في وجوههم، أو من وراء ظهورهم: فقد ظلم نفسه! لا بد من التوبة من هذا كله، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، والظالمون هم أصحاب النار، والظلم ظلمات يوم القيامة. لهذا كان على كل مؤمن أن يتوب، أن يتوب من ذنوبه، وبخاصة الكبائر؛ فإن الذنوب الصغائر قد يكفرها الصلاة

والصيام والصدقة، كما جاء في الحديث الصحيح: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجْتُنِبَتِ الكبائر»^(١).

كفارات الذنوب:

جعل الله لنا كفارات يومية، وأسبوعية، وسنوية، مطهرات ومغاسل يغتسل فيها الإنسان، مصفاةً بعد مصفاة، فهناك المصفاة اليومية: الصلوات الخمس، ذلك الحمام الروحي الذي يغتسل فيه كل مسلم في كل يوم خمس مرات، فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟! إذا صحت هذه الصلوات، وصدقت فيها النية، وأسبغ المؤمن وضوءها، وأتم ركوعها، وسجودها، وخشوعها. هذه هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر. فإن فرط منه شيء من الصغائر، من الهفوات، من الهنات التي لا يسلم منها أحد، فإن هذه الصلوات الخمس اليومية جديرة أن تكفرها.

وهناك مصفاة أسبوعية: الجمعة إلى الجمعة، هذا اللقاء الأسبوعي، هذا المؤتمر الإسلامي، هذا العيد الأسبوعي الذي يأتي الناس فيه ساعين إلى ذكر الله، تاركين البيع والشراء وأمور الدنيا، هذا اللقاء مطهرة أخرى، مصفاة أخرى مكفرة للصغائر.

ويأتي بعد ذلك المصفاة السنوية: رمضان بما فيه من صيام وقيام، على أن يصومه إيماناً واحتساباً، لا لمجرد العادة المتبعة، ولا لمجرد الجري وراء المألوف، فإن النبي ﷺ يقول: «من قام ليلة القدر إيماناً

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٨٧١٥)، عن أبي هريرة.

واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(١).

إياكم ومحقرات الذنوب:

أرأيتم إلى هذا الفضل العظيم من الله ﷻ؟ أنه جعل لنا فرصة بعد فرصة، نتطهر فيها من سيئاتنا وأوزارنا، وما أكثرها! ولكن هناك أشياء تكبر صغائر الذنوب وتزيد كبائرهما كُبراً وضخامة، الإصرار على الصغائر والمواظبة عليها تنقلها إلى درجة الكبائر، وهذا ما جعل النبي ﷺ يحذر من محقرات الذنوب ويقول: «إياكم ومُحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»^(٢). وفي حديث آخر حذر من محقرات الذنوب، وشبهها بالقوم ينزلون في سفر؛ فيريدون أن يُنْضِجُوا طعامهم، فيذهب كل منهم في طريق؛ فيأتي هذا بعود، وهذا بعود، وهذا بعود حتى يجمعوا حطباً كثيراً ويؤججوا ناراً^(٣). من أين كانت هذه النار؟ من عود بعد عود، والجبال من حصيات، والبحار من قطرات، وكذلك إذا تكاثرت الذنوب - وإن كانت صغائر - فإنها تهلك صاحبها في النهاية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٣٨١٨)، وقال مخرجه: حسن لغيره. والطبراني في الكبير (٢١٢/١٠)، والأوسط

(٢٥٢٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤٥٩): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجالهما

رجال الصحيح؛ غير عمران بن داود القطان، وقد وثق. وصححه الألباني لغيره في صحيح

الترغيب والترهيب (٢٤٧٠). عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (٢٢٨٠٨)، وقال مخرجه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. والطبراني

في الكبير (١٦٥/٦)، وفي الأوسط (٧٣٢٣)، وفي الصغير (٩٠٤)، وقال الهيثمي في مجمع

الزوائد (١٧٤٦٢): رواه أحمد عن سهل بن سعد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه «الطبراني»

في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير عبد الوهاب بن الحكم وهو

ثقة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦). عن سهل بن سعد.

من هنا كان الحذر من محَقَّرات الذنوب، ومن هنا جاء في الأثر: لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار^(١). إذا أصر على الصغيرة وواظب عليها وعقد عليها بقلبه، ظل متعلقًا بها، وظل مواظبًا عليها، فهذا ينقل درجتها فيجعلها كبيرة.

التبجح والمجاهرة بالذنوب:

وكذلك الفرح بالصغائر، والتباهي والمفاخرة بها: أنه فعل كذا وكذا! هذا التبجح بالذنوب يُضَخِّمها ويكبرها، وكذلك المجاهرة؛ كما جاء في الحديث: «كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح، وقد ستره الله، فيقول: يا فلان؛ عملت البارحة كذا وكذا! وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(٢). وهو بهذا يرتكب عدة معاصي، من هذه أنه يُجرِّئ الآخرين على الذنوب، وأنه يكشف ستر الله تبارك وتعالى، وأنه لم يعرف قدر نعمة الله تعالى عليه في ستره، إذا بُليت فاستتروا، ولكن هذا يتبجح ويجاهر!

الاستهانة بالمعاصي:

هناك أشياء تجعل الصغائر كأنها كبائر، وتزيد الكبائر ضخامة وعظمًا، من ذلك استصغار المعصية والاستهانة بها، كما جاء في حديث ابن مسعود: «المؤمن يرى ذنبه كالجبل، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا وهكذا»^(٣)، المؤمن يرى ذنبه كالجبل، يحس بثقل الذنوب وثقل وطأتها،

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد (١٩١٩)، من قول ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم في الزهد (٢٩٩٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨).

يستحضر الذنب دائماً ويخافه، والمنافق يستصغر أي ذنب، يراه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا وهكذا، ولذلك قال بعض السلف: إنَّ الذنب الذي يُخشى ألاَّ يُغفر هو الذي يقول فيه صاحبه: ليت كلَّ ذنبٍ فعلته مثل هذا! من هنا قالوا: لا تنظر إلى صغر المعصية؛ ولكن انظر إلى كبرياء من عصيته بها!

الذنوب صغائر وكبائر:

هناك صغائر وهناك كبائر، الصغائر تُكفَّر بالصلوات الخمس، وبالجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، وبالصدقات، وخاصة صدقة السرِّ التي تطفئ ظلمة المعصية كما يطفئ الماء النار، والحج كذلك والعمرة، لكن الخطر في الكبائر، فالكبائر هي الموبقات إذا لم يتب الإنسان منها، كما قال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(١).

وليست الموبقات محصورة في هذه السبع، فقد جاءت أشياء أخرى: الزنى، وشرب الخمر أم الخبائث، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، وغير ذلك من الكبائر كلها، ينبغي للإنسان أن يتوب منها، وأن يعجل بالتوبة ولا يؤخرها، وأن تكون توبته توبة نصوحاً، بأن يتوب توبة حقيقية؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَتَائِبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.



التوبة النصوح:

التوبة النصوح: هي الخالصة الصادقة، والنصح يقابله الغش، فهناك توبة خالصة، لا شائبة فيها ولا غش ولا دخل، وهناك توبة مغشوشة؛ كهؤلاء الذين يتوبون بمجرد اللسان، يقول أحدهم: تبتُ إلى الله، ورجعت إلى الله، وندمتُ على ما فعلتُ، وعزمتُ على ألا أعود إلى المعاصي أبدًا. يقول ذلك بلسانه؛ ولكن قلبه مُصرٌّ على المعصية! أو الذي يذهب إلى شيخ من الشيوخ يقول له: (تَوْبُنِي يا سيدي الشيخ). ومعنى تَوْبُنِي: أن يقول له الشيخ: قُل: تبتُ إلى الله. فيقول خلفه: تبتُ إلى الله. وهكذا، لا، التوبة لها حقيقة، ليست مجرد كلام باللسان، كما قالت رابعة رحمها الله: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار! أي أن مجرد الكلام: تبتُ إلى الله، أو أستغفر الله باللسان فقط هذا نفسه يحتاج إلى استغفار آخر؛ لأنه استغفار ليس معه صدق مع الله، ولا نية مع الله.

التوبة علاقة بين العبد وربّه:

التوبة علاقة بين العبد وربّه، في أديان أخرى لا بد في التوبة من وسيط، لا بد من سمسار يقف بين الإنسان وبين ربه! فمن أراد أن يتوب؛ فلا بد أن يذهب إلى الكاهن، أو إلى القسيس ويجلس أمامه ذليلاً خافض الرأس، ويعترف له بكل ذنوبه، ويفضي إليه بدخيلة نفسه، هذا الذي يسمونه (كرسي الاعتراف)! ولكن الإسلام لم يشرع شيئاً من هذا، لا وساطة بين الله وعباده، ليس هناك أناس يحتكرون هذه الوساطة، ويتاجرون بها، ليس هنا من يصدر قرارات الحرمان، أو يبيع صكوك الغفران، لا، إنك تستطيع أن تدخل إلى الله مباشرة، وأن تقرر بابه تائباً مستغفراً، وأن تقول: يا رب، يا رب! فيقول لك: لبيك عبدي وسعديك.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، حينما سأل بعض الأعراب: أقریب ربنا فنناجیه، أم بعيد فننادیه؟ نزلت الآية الکریمه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]^(١).

وهنا - كما يقول المفسرون - لطيفة من اللطائف القرآنية: أن الذي جرت به العادة في الأسئلة التي وردت في القرآن إذا سألوا عن شيء يؤمر النبي ﷺ أن يقول لهم: الإجابة كذا وكذا، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّامَّةِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وهكذا، ولكن لما سألوا عن الله؛ لم يقل الله له قل لهم كذا، إنما أجاب الله بنفسه؛ ليدل على أن الأمر لا يحتاج إلى وساطة، الباب مفتوح، ليس عليه حاجب ولا بواب يرد الناس عن باب الله، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فمن أراد أن يتوب؛ فليقرع باب ربه في الليل أو في النهار، في السحر أو في الفجر، أو في الظهر، في أي وقت كان، وعلى أي حال كان، وقد جاء في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

الله ينادي الناس، ويبسط إليهم يده الکریمه، يناديهم أن يتوبوا؛ وخاصة في أواخر الليل في ساعات السحر، حينما ترق القلوب، وحينما

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٠/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.

يتجلى الله على عباده، ويتنزل عليهم بفضله ورحمته، ويقول في الثلث الأخير من الليل: «هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من كذا؟ هل من كذا؟ حتى يطلع الفجر»^(١).

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ:

الله ينادي عباده دائماً: توبوا، توبوا قبل أن تموتوا، هل من تائب فأتوب عليه؟! والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فلا يُتصور أن يغلق الباب في وجوههم؛ مهما كانت ذنوبهم، فإن عفو الله أعظم من ذنوبهم، لا يُسد الباب في وجه تائب أبداً، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

بل جاء في حديث النبي ﷺ: أَنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ فَرَحًا لَا حَدَّ لَهُ، صَوْرَهُ النَّبِيُّ ﷺ تَصْوِيرًا أَخَذًا يَهْزُ الْقُلُوبَ هَزًّا، تَصْوِيرًا مَتَزَعًا مِنَ الْبَيْئَةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذَا كَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ مَعَهُ نَاقَتُهُ، عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ لِمُدَّةِ سَفَرِهِ، وَفِي الصَّحْرَاءِ الْقَاحِلَةِ نَامَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَجِدْ رَاحِلَتَهُ، وَحَيَاتِهِ كُلُّهَا مَرْهُونَةٌ بِهَذِهِ الرَّاحِلَةِ، فَعَلِيهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَزَادُهُ. بَحَثَ عَنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْحَثَ فَلَمْ يَجِدْهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ لِيَنَامَ وَيَبْقَى هُنَاكَ حَتَّى يَمُوتَ، فَلَا طَعَامَ وَلَا شَرَابَ، وَلَا زَادَ وَلَا شَيْءَ، فَنَامَ عَلَى أَسَاسٍ أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَمُوتَ هُنَاكَ، فَلَا أَمَلَ لَهُ فِي شَيْءٍ، وَلَا أَنْيَسَ وَلَا جَلِيسَ وَلَا أَحَدَ، نَامَ الرَّجُلُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فَإِذَا بِهِ يَجِدُ رَاحِلَتَهُ أَمَامَهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَزَادُهُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضِ فَلَاةٍ»^(٢).

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، وأحمد (٩٥٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٤٧)، عن أنس بن مالك.

الله تعالى يفرح بتوبة العائدين إليه، يفرح بهم، من أقبل عليه منهم تلقاه من بعيد، ومن أعرض عنه ناداه من قريب، إنه يحب التوابين ويفرح بهم؛ فلماذا لا يتوب الناس؟! ولماذا يؤخرون التوبة؟!

أركان التوبة النصوح:

التوبة الحقيقية هي التوبة النصوح، ما معنى التوبة النصوح؟ التوبة النصوح هي التي تجمع عدة أركان وعناصر أساسية، هي مقومات التوبة.

العنصر الأول الندم:

حتى جاء في الحديث، عن النبي ﷺ أنه قال: «الندم توبة»^(١)، ومعنى هذا أن الركن الأعظم في التوبة الندم، كما جاء في حديث: «الحج عرفة»^(٢)، أي الركن الأعظم في الحج هو الوقوف بعرفة، فكذلك الندم.

ما معنى الندم؟ الندم هو الحسرة والحزن، وغليان القلب أسفًا على التفریط فيما مضى. أن يستحضر الإنسان التائب ذنوبه، وأن يجعلها نُصْب عينيه؛ فتكدر عليه حياته كلما ذكرها، وتؤرق عليه ليله، وتنغص عليه نهاره، وأن يغسل ذنوبه بدموعه! هذا معنى الندم.

ليس الندم مجرد أن يقول: تبتُ إلى الله. لا، لا بد من عملية احتراق داخلي على ما فرط من الإنسان من تقصير، ومن ضياع للفرائض، أو ارتكاب للمحارم، أو انتهاك للحرّمات، لا بد أن يكوي قلبه الحزن كيّا على ما فرط منه في جنب الله، هذا معنى الندم، وقد صور الله لنا نفسية

(١) رواه أحمد (٤٠١٢)، وقال مخرّجوه: صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٢)، وابن حبان في الرقائق

(٦١٤)، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٣/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٨٧٧٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)،

والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥)، أربعتهم في الحج، عن عبد الرحمن بن يعمر.

جماعة من التائبين من الصحابة حينما تخلفوا عن الجهاد يوماً بغير عذر: عن غزوة تبوك، فندموا وشعروا بالخطأ، يقول الله تعالى عن هؤلاء حينما تابوا: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

هكذا كانت نفسية هؤلاء الثلاثة، كعب بن مالك وصاحبيه، وهكذا حدثنا كعب بن مالك في حديث الصحيح، أنَّهم قُوطعوا مدة وتركوا؛ تأديباً لهم من النبي ﷺ ومن الصحابة. قال: حتى ضاقت علينا الأرض بما رحبت؛ كما وصف الله ﷻ، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾^(١). هذه هي نفسية التائب، ليست التوبة مجرد كلام، لا، التوبة حال، التوبة أمر نفسي قبل كل شيء؛ يتمثل أول ما يتمثل في الندم، هذا هو العنصر الأول.

العنصر الثاني العزم على ألا يعود للذنوب:

العنصر الثاني يتعلق بالمستقبل، بالعزم، بالتصميم على أن يبدأ صفحة بيضاء نظيفة، أن يبدأ حياة جديدة، أن يتدارك ما فات، ويصلح ما هو آت، هذا العزم المصمم هو الركن الثاني للتوبة، ألا يعود إلى المعصية كما لا يعود اللبن إلى الضرع؛ كما قال الصحابة رضوان الله عليهم^(٢)، هل يعود اللبن إلى الضرع بعد أن يخرج منه؟ لا، كذلك يصمم على ألا يعود إلى المعصية، حتى وإن ضعف يوماً وزلت قدمه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالك.

(٢) قال القرطبي: روي عن عُمر، وابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم، ورفع معاذ إلى النبي ﷺ. انظر: تفسير القرطبي (١٩٧/١٨)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

المهم أنه حين التوبة يكون عازماً عزمًا أكيداً، ويعقد مع الله عقداً لا رجوع عنه، ويعاهده عهداً وثيقاً؛ على ألا يعود إلى المعصية، فإن ضعف بعد ذلك ورجع فقد قال الله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

والأوابون هم الذين يكثرون الأوبة والرجعة إلى الله، كلما ارتكبوا ذنباً ندموا، وعزموا مرة أخرى من جديد، مهما ضعفوا لا ييأسون من روح الله ويعودون، المهم ألا يكون ساعة العودة وساعة التوبة معلق القلب بالذنب، لا بدّ أن يكون ساعتها مصمماً ألا يعود إليه أبداً، هذا هو الركن الثاني.

الركن الأول يتعلق بالماضي، وهو الندم على ما فات، والركن الثاني يتعلق بالمستقبل، وهو العزم على ألا يعود إلى المعصية.

العنصر الثالث الإقلاع عن الذنب:

وأما الركن الثالث فيتعلق بالحاضر، وهو الإقلاع الفعلي عن المعصية، وهو تغيير حياتي، وذلك بأن يغير معالم الحياة من حوله: يغير أصحابه، ويغير بيئته؛ بل في بعض الأحاديث أنّ النبي ﷺ أخبر أن بعض التائبين هجر بلد المعصية إلى بلد الطاعة، كما في حديث الرجل الذي قتل مائة نفس^(١).

لا بدّ أن يظهر علامات التوبة، أمّا أن يتوب وأصحاب السوء هم هم، ومجالس السوء هي هي؛ فليست هذه توبة، عليه أن يتبع السيئة الحسنة:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٦)، عن أبي سعيد الخدري.



فإذا كان يخالط الأشرار عليه أن يخالط الأخيار والصالحين، وإذا كان يجلس مجالس اللهو عليه أن يجلس مجالس الذكر، وإذا كان يلوث لسانه بالخنا والكلام الفارغ عليه أن يطهره بتلاوة القرآن وبذكر الله وبال دعوة إلى الخير، وإذا كان يؤذي الناس بلسانه - يغتابهم مثلاً - عليه أن يستغفر لهم ويثني عليهم، وهكذا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [هود: ١١٤]، وكما جاء في الحديث النبوي: «وَأَتَبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ تَمْحُهَا»^(١).

رد المظالم إلى العباد:

لا بدّ لمن يريد التوبة أن يستوفي أركانها: من الندم، ومن العزم، ومن الإقلاع الفعلي، ولا بدّ إذا كانت عليه حقوق أن يؤديها، وبخاصة حقوق العباد، فقد ورد أنّ الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وظلم لا يتركه الله، وظلم لا يبالي به الله! فأما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، والظلم الذي لا يتركه الله هو ظلم العباد بعضهم لبعض^(٢).

إنّ العباد فيهم شح وخاصة يوم القيامة، لا يتنازل أحد لأحد، كل إنسان يتمسك بحقه، كل إنسان يقول يوم القيامة: نفسي نفسي! لا يدع أحد لواحد حسنة واحدة يعطيها له، أو يتنازل له عن سيئة واحدة ظلمه

(١) رواه أحمد (٢١٤٠٣)، وقال مخرّجه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال:

حسن صحيح، والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

(٢) رواه البزار (٦٤٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣٧٩): رواه البزار عن شيخه:

أحمد بن مالك القشيري؛ ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٦١)، عن أنس.

بها؛ لأن ميزانه قد يحتاج إلى هذه الحسنة، ولأن تلك السيئة قد تُرَجَّح كِفَّة سيئاته، ولهذا يقول: نفسي نفسي!

التعامل يوم القيامة بالחסنات والسيئات:

الناس يوم القيامة لا يتعاملون بدرهم ولا دينار، وإنما يتعاملون بعملة واحدة هي الحسنات والسيئات، فأصحاب المغارم يأخذون من حسناتك حتى يستوفوا حقوقهم، فإذا نفدت حسناتك وفرغ رصيدك وأصبح صفرًا؛ قالوا: يا ربنا نفدت حسناته ولم نأخذ حقنا. فيقول الله وَجَّكَ - وهو الحكم العدل -: اطرحوا من سيئاتكم على سيئاته!

هذه هي العملة المتداولة يوم القيامة: الحسنات، والسيئات! فمن كانت عنده مظلمة لأخيه ظلمه في شيء، خاصة ما كان من شؤون المال: الديون والحقوق المالية، وأكل أموال الناس بالباطل، هذه يجب أن ترد إلى أهلها. من سرق من أحد شيئًا، أو غصبه أرضًا أو مالا، أو أخذ منه رشوة، أو أكل ماله بالغش، أو بأي طريقة كانت؛ فلا بد أن يرد عليه ما أخذ منه، فإن مات صاحب الحق؛ فليرده إلى ورثته.

فإن لم يعرف صاحب الحق، أو لم يعرف له ورثة فماذا يصنع؟! تاجر طالما غش الناس وظلمهم، وعدد الذين تعاملوا معهم ألوف لا يستطيع أن يحصيهم، كيف يرد إليهم حقوقهم؟! موظف كان يأخذ من هذا وذاك رشاي، ماذا يفعل ولا يعرف من أخذ منهم؟! هذا

واحد أكل الربا وأصبح ماله مخلوطًا بالحرام؛ لا بد أن يتحرى ويعرف ماذا عليه، إذا لم يجد أصحاب هذا الحق ولا ورثتهم: يتصدق بهذا المال.

ابن مسعود رضي الله عنه اشترى من رجل جارية، ثم ذهب يأتيه بالثمن، فلما جاء لم يجد صاحب الجارية، سأل عنه بعد ذلك فلم يعثر عليه، ولما أيس منه تصدق بالثمن، وقال: اللهم هذا عن رب الجارية، فإن رضي وإلا فالأجر لي^(١).

لا سبيل له إلا هذا: إما أن تدفع، وإما أن تتحلل. ومعنى تتحلل: تطلب السماح، وتطلب العفو من صاحب الحق. تقول له: أنا ظلمتك في كذا وكذا، فهل تسمح لي؟ فإذا سمح لك فقد تنازل عن حقه، وإلا فلا بد أن تتصدق، وإذا لم تستطع أن تتصدق لأنك عجزت، بعثت المال ولم يبق منه شيء، فاعزم على أن تظل حياتك ساعياً في هذا، كلما جاءك منه شيء تصدقت به.

التطهر من المال الحرام:

هذا لمن يريد أن ينجو من النار، الأمر ليس سهلاً، الذين يأكلون الأموال بالباطل: يأكلون في بطونهم النار، لا يبالون أخذوا من حلال أو من حرام، ثم يريدون أن يضحكوا على الله وعلى الناس بحجة يحجونها، أو عمرة يعتمرونها، أو مسجد يبنونه، لا يغنيهم ذلك شيئاً ما لم يردوا المال الخبيث إلى أصحابه، «لا يقبل الله صدقة من غلول»^(٢)، أي: من خيانة.

لا بدّ من التطهر من المال الحرام؛ برده إلى أصحابه، أو التحلل منهم إن عرفهم. بل هناك من العلماء من قال: يتحلل من الحقوق المعنوية الأخرى، إذا اغتاب إنساناً أو أساء إليه في عرضه؛ فليذهب إليه

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية (٣٢١/٢٩)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٤)، وأحمد (٤٧٠٠)، عن ابن عمر.

ويستسمحه. ولكن المحققين من العلماء قالوا: إذا كان الآخر لا يعرف هذا؛ فليس من الضرورة أن يذهب إليه، ويوغر صدره من جديد، وليستغفر له، وليتب فيما بينه وبين ربه.

حقوق العباد، الظلم الذي بين الإنسان وأخيه الإنسان، هذا لا يتركه الله. أمّا ما بينك وبين الله؛ فحقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة، تُب فيما بينك وبين الله من الذنوب، التي لا يتعلق بها حق مخلوق.

قبول التوبة:

يا أيُّها الإخوة هذه هي التوبة، التوبة النصوح المقبولة عند الله، إذا فعلتها فإنها ولا شك مقبولة غير مردودة، حتى إن رابعة لما سُئِلت، سألها سائل: إذا تبتُ تاب الله عليّ؟ قالت له: يا غافل، بل إذا تاب الله عليك تبت، أمّا سمعت قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

ما دام قد وفقك للتوبة فهذا علامة القبول، هو لا يوفقك للتوبة ثم يردك، لا، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، أسأل الله وعجل أن يتوب علينا توبة نصوحًا، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقي، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد:

يحتار الإنسان حينما يريد أن يعلق على ما يحدث في ديار العرب والمسلمين، ماذا يقول؟ وبماذا يبدأ؟ وإلى أين ينتهي؟

أحداث تونس:

فيم نتحدث؟ أنتحدث عمّا فعلته إسرائيل في تونس؟ أنتحدث عن هذا التحدي في أمة العرب والإسلام؟

لم تكتفِ إسرائيل بإخراج الفلسطينيين من بيروت؛ فلاحقتهم في كل مكان، إنّها تريد أن تمحوهم من الوجود، لم تعد تقنعها تلك التحديات لدول المواجهة، فذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك، لم تكتفِ بديار العرب في المشرق، حتى ذهبت إلى ديار العرب في المغرب، هكذا هُنا على أعدائنا؛ لأننا هُنا على أنفسنا.

لو كنّا أمة - كما أمر الله ﷻ - معتصمة بحبل الله، متحدة على كلمة الله، مقيمة لشرع الله، مربية أبناءها على الجهاد في سبيل الله. لو حيننا حياة إسلامية كما يريد الإسلام، لو عشنا عيشة المهزومين المغلوبين حتى نتصر، لو ذكرنا هزيمتنا باستمرار، وذكرنا ما نحن فيه، لو نشأنا أبناءنا على أننا أمة مظلومة مهضومة، وكانت الأجيال الجديدة تعرف ذلك، وتعرف أن سبيلها هو سبيل الجهاد لإعلاء كلمة الله، والانضواء تحت راية محمد بن عبد الله.

لو أننا فعلنا ذلك ما جرّأت إسرائيل أن تفعل ما تفعل، ولكن إسرائيل

تفعل ذلك، وستفعل أكثر منه، وسنفاجأ في كل حين بما ينسينا ما مضى، هكذا ضربت المفاعل العراقي من قبل، وقلنا إنّ العراق قريبة، ولكن الآن تذهب إلى ما هو أبعد من العراق، وما هو أبعد من دول المواجهة، فأين العرب؟ أين المائة وخمسون مليوناً؟ أين المتحدثون والمصرحون والمتكلمون؟ أين هؤلاء جميعاً؟!

أحداث طرابلس اللبنانية:

أتحدث عن هذه؟ أم أتحدث عمّا يجري في مدينة إسلامية تُهدّم تهديماً، وتُسحق سحقاً، تُضرب براجمات الصواريخ، تتقاتل عليها كل الفئات من هنا وهناك، ولا أحد يتكلم، طرابلس الإسلامية السنية، هذا المَعْقِل الإسلامي السني الآن يريدون الفراغ منه، ويريدون إنهائه وتحطيمه، حتى لا تبقى قلعة للإسلام في تلك الديار، ولا أحد يتكلم، لا أحد يصرخ! حتى الاستنكار الذي جربناه من قادة العرب والصراخ، حتى هذا لم نسمعه، لا نسمع صوتاً عالياً يستنكر، ويضع النقاط فوق الحروف، ويرد الأمور إلى نصابها، لا نرى هذا.

هكذا تزول وتُهدم المدن الإسلامية واحدة بعد الأخرى، ولا نجد من يتحدث، ولا نجد من يغار، أين أمة العرب؟ أين أمة الإسلام؟ أين المسلمون؟ الأمر يحتاج إلى أن نعيد حساباتنا من جديد، الأمر يحتاج إلى وعي جديد، وإلى بعث جديد، وإلى تربية جيل جديد: جيل النصر المنشود لهذه الأمة، الجيل الذي لا يمكن أن تتحرر فلسطين، ولا أن يتحرر غيرها من ديار الإسلام، ولا أن يردع أعداء الله عن ديار الله في فلسطين، أو في لبنان، أو في أفغانستان، أو في أي مكان إلّا بتربية هذا الجيل، وبتكوين جيل المؤمنين الصادقين المجاهدين، الملتزمين



بحدود الله، هؤلاء وحدهم هم الذين ينتصر بهم الإسلام، وتعلو بهم كلمة القرآن.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنهلك، ولا إلى أحد من خلقك فنضيع، واجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صل محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وأقم الصلاة.





استقبال العام الجديد بتوبة نصوح

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نحن نستقبل عامًا جديدًا، كما ودعنا عامًا انسلخت أيامه وشهوره، وخير ما نستقبل به العام الجديد توبة: توبة نصوح، نتخفف بها من أثقالنا وأوزارنا، ونتطهر بها من سيئاتنا ومعاصينا، نؤوب بها إلى ربنا، ونعرف بها طريقنا، وقد أمرنا الله تعالى في كتابه فقال: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. وقال عزّ من قائل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

معنى التوبة:

وكلمة التوبة في لغة العرب: تعني العودة والرجوع، تاب وآب وأتاب وعاد، كلها بمعنى واحد: الرجوع.

فكأنَّ الإنسان إذا عصى ربه، وخالف منهج الله؛ فارتكب المحظورات، وترك المأمورات، وسار في درب الشيطان، إذا عصى المرء ربه، فقد شرد عن طريقه، وضلَّ عن سبيله، وجهل غايته! فإذا تاب

عاد إلى وضعه الحقيقي، كما يعود الصبي الذي شرد عن أهله، وضلَّ عن بيته، أو كما يعود العبد الأبق إلى سيده.

التوبة تعنى عودة إلى الله، عودة إلى الطريق الصحيح. والتوبة مطلوبة من الناس جميعًا كما هو صريح القرآن: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

الإنسان غير معصوم من الذنوب:

التوبة تكون من الذنوب: من المعاصي، سواء كان الذنب يتمثل في فعل محظور، أو في ترك مأمور. وَمَنْ مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّهُ مَلِكٌ مَقْرَبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مَعْصُومٌ؟! مَنْ مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّهُ مَطْهَرٌ مِنَ الذَّنْبِ؟ لَا أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ ذُنُوبُهُ: ذُنُوبُ اللِّسَانِ، وَذُنُوبُ الْعَيْنَيْنِ، وَذُنُوبُ الْأَذْنَيْنِ، وَذُنُوبُ الْيَدَيْنِ، وَذُنُوبُ الرِّجْلَيْنِ، وَذُنُوبُ الْبَطْنِ، وَذُنُوبُ الْفَرْجِ، وَذُنُوبُ الْقَلْبِ. الذَّنُوبُ الظَّاهِرَةُ، وَالذَّنُوبُ الْبَاطِنَةُ، الذَّنُوبُ الَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ اللَّهِ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ النَّفْسِ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ الْأُسْرَةِ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ الْجِيرَانِ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ الْأَرْحَامِ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ الْأَصْحَابِ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ الْمُسْلِمِينَ عَامَةً، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ الْبَهَائِمِ الْعِجَمَاوَاتِ، وَالَّتِي تَتَعَلَقُ بِحَقِّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، مَا أَكْثَرَ الذَّنُوبَ، وَمَا أَكْثَرَ الْمَعَاصِي!

مَنْ فِي النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا مَعْصِيَةَ لَهُ؟ مَنْ فِي النَّاسِ؟! وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ قَدِيمًا:

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ؟!

ضعف الإنسان أمام المعصية:

من هذا الذي يزعم أن صحيفته خالية من كل سيئة؟ وأنها بيضاء ناصعة من غير سوء، والنبى ﷺ يقول: «كل ابن آدم خطاء»^(١). كل بني آدم خطاء، الإنسان خلق من طين، والطين لا يخلو من الكدرة؛ ولهذا كثيرًا ما يحنُّ الإنسان إلى أصله، وينزع إلى الطين، ويخلد إلى الأرض، هذه هي طبيعة الإنسان، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ضعيفًا أمام غرائزه، ضعيفًا أمام شهواته، ضعيفًا أمام غضبه، ضعيفًا أمام متطلباته، ضعيفًا أمام أصدقاء السوء، أمام وساوس شياطين الإنس وشياطين الجن، خلق الإنسان ضعيفًا، وضعفه هذا كثيرًا ما يورطه في المعصية!

كل الناس في حاجة إلى التوبة:

ولهذا كل الناس في حاجة إلى التوبة، وإذا كان سيد الخلق ﷺ وهو أعرف الناس بربه، وأخشاهم له، وأتقاهم له، وأحرصهم على ابتغاء رضاه، الذي كانت تنام عيناه وقلبه لا ينام، والذي كان يراقب ربه في حركاته وسكناته، وغدواته ورؤحاته، في ليله ونهاره، في حياته كلها، كان يصلي بالليل حتى تتورم قدماه، أو تتفطر قدماه وتتشقق من طول القيام، وكان يبكي حتى تبلل دموعه لحيته، ومع هذا كان يقول مرشدًا ومعلمًا: «يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم، فإنني أتوب إلى الله ﷻ في اليوم مائة مرة»^(٢) ولهذا وردت عنه صيغ في الاستغفار، تهز القلوب هزًّا، فيها ضراعة إلى الله، وابتهاال لمولاه، أن يغفر له ذنوبه!

(١) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)،

وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٧٠٢) (٤٢)، عن الأغر المزني.

محمد ﷺ يدعو ربّه بمثل هذا الدعاء: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدّنس، اللهم اغسلني بالثلج والماء والبرد»^(١)، كان يقول هذا بين تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة، وكان يقول: «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»^(٢).

وعلمنا هذه الصيغة التي تعتبر سيدة صيغ الاستغفار أن نقول كما كان يقول ﷺ: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت! خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٣).

سيدة صيغ الاستغفار، هذه الصيغة يستحب للمسلم أن يقولها في الصباح ويقولها بالمساء؛ ليشعر دائماً أن نعمة الله تعالى تغمره، وأنه دائماً متورط في المعاصي، وأنه دائماً في حاجة إلى مغفرة ربه، فخير الله إليه نازل، وشر العبد إلى الله صاعد، يتحبب الله إليه بالنعمة، ويتبغض الناس إليه بالمعصية، هذا هو واقعنا مع الله ﷻ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٤٤)، ومسلم في المساجد (٥٩٨)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس.

الشعور بعدم الحاجة إلى التوبة نوع من المعاصي:

من هنا كان الناس جميعًا في حاجة إلى التوبة، إذا شعرت يومًا أنك لست في حاجة إلى التوبة، وأنّ عندك من الطاعات الكثير والكثير، فهذه نفسها معصية، إنّها الغرور المهلك، إنّهُ العجب القاتل، وفي الحديث: «ثلاث مهلكات: شحُّ مَطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»^(١) أن يعجب بطاعته، إذا كان لك طاعة من الطاعات، إذا كان لك صلاة وصوم، وحج وعمره، وزكاة وصيام، وذكر واستغفار، فما يدريك أيها المسكين أنّها في موضع القبول؟! ما يدريك أنّها قد قُبِلت؟ ومن هنا شأن المؤمن دائمًا أنّه يعمل الصالحات ويقول: أخاف ألا تُقبل مني، وشأن المنافق عمل السيئات ويقول: أطمع أن يُغفر لي!

المؤمن بين الخوف والرجاء:

المؤمن خائف، ومشفق دائمًا، لا من المعاصي فحسب؛ بل من الطاعات ألا تكون مستوفية للشروط والأركان، أن تنقصها روحها الحقيقية وهو الإخلاص لله وَعَلَى؛ فما قيمة جسد بلا روح؟! يقول ابن عطاء الله: الأعمال صور قائمة - تماثيل - وروحها هو وجود سر الإخلاص فيها^(٢). فإذا تجردت من الإخلاص كانت هيكلاً، وكانت جسمًا بلا روح، كانت أشباحًا لا حياة فيها، من يدريك إذن أن أعمالك قد قُبِلت؟! ربما حطّمها الرياء، ربما فعلت ما فعلت ابتغاء محمديّة أو جاهٍ أو شهرة عند الناس، وهذا هو الرياء المهلك، وهو الشرك الخفي، إنّهُ أخفى من ديب

(١) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٢) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق ص ٥٩. تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، إنه يتسلل إلى القلوب تسللاً، ويفسد عليها أعمالها الصالحات، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]

احذر أن تظن في نفسك أنك غني عن التوبة. كلنا محتاج إلى التوبة، يقول ابن عطاء الله: ربما فتح لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدر عليك المعصية، فكانت سبباً في الوصول. معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً^(١).

الطاعة التي تورث العجب والاستكبار، والغرور والاستعلاء على الآخرين، هذه شر من المعصية الظاهرة! وقد مرض أحد العلماء الصالحين مرض موته، فزاره بعض تلاميذه، فوجدوه يبكي، فقالوا: مثلك يبكي، وأنت الذي فعلت كذا وكذا - يعددون حسناته وفضائله - فقال لهم: وما يدريني أن شيئاً من ذلك قد تُقبَّل مني، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، والتقوى هاهنا، التقوى في القلوب، محلها القلب، ما يدريني أنني من المتقين، وأن أعمالي قد تُقبِّل!

ضرورة المحاسبة:

من هنا نقول: إنَّ الناس كل الناس في حاجة إلى التوبة، فما بالكم بمن تورط في معاصي كثيرة، لو نظر أحدهم إلى نفسه وحاسبها حساباً دقيقاً؛ كما قال بعض السلف: المؤمن أشد حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح! فالشريك الشحيح لا يسامح في دينار ولا درهم، ولا دائق ولا فلس!

(١) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق ص ٢٢٤.

لو فتش أحدنا تفتيشًا صحيحًا على أعماله، ولو وزنها في ختام يومه، أو ختام أسبوعه، أو ختام شهره، أو ختام عامه، ماذا سيجد في هذا الحساب الختامي؟! سيجد تقصيرًا في واجبات كثيرة، وتضييعًا لحقوق كثيرة، وتورطًا في معاصٍ كثيرة! من منا لا يتكلم بلسانه في أمور الناس وهم غائبون؟ مَنْ مِنَ الناس يسلم لسانه كل يوم من القول عن هذا أو ذاك، أو فلانة وفلان؟ إِنَّ عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعجبك من فلانة يا رسول الله إِلَّا أَنَّهَا - وأشارت بيدها، تعني: أَنَّهَا قصيرة - ولم تكمل الجملة، ذكرت اسم «أن» بدون خبرها، فقال: «لقد قلت كلمة؛ لو مزجت بماء البحر لمزجته»^(١)، كلمة واحدة جديرة أن تكدر بحرًا كاملاً! لو مزجت بماء البحر لمزجته! جملة أو نصف جملة، أو إشارة تعكّر بحرًا! فما بالكم بمن يدع لسانه كالمنشار في أعراض الناس غائبين، وفي سبهم حاضرين؟! بالكذب، بالسخرية، بالغيبة، بالنميمة، وغير ذلك من آفات اللسان، التي وصلها الإمام الغزالي إلى عشرين آفة^(٢)، ووصلها بعض الشيوخ إلى أكثر من سبعين آفة، آفات اللسان^(٣).

كثرة معاصي الجوارح:

لو نظرت إلى ما يرتكبه لسانك وحده كل يوم لوجدت الكثير والكثير، من منا يحفظ عينه من النظر؟ يكفي النظر اليوم إلى ما يشاهده

(١) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرّجوه: إسناده على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٢)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في تخريج الحلال والحرام (٤٢٧)، عن عائشة.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١٠٧/٣ - ١٦٤)، آفات اللسان.

(٣) هو عبد الغني النابلسي في قصيدته التي مطلعها:

تعلم حِفْظَ آفاتِ اللسان لتحظى بالأمانِ وبالأمانِ
وخذها إِنَّهَا سبعون شيئًا حكّت في نظمها عَقْدُ الجَمَانِ

الناس في التلفزيون، من الأفلام والمسلسلات، والنساء اللاتي لا تلبس الزي الشرعي! من في الناس من ينزه أذنه عن الخنا والفحش، والغيبة والنميمة التي أصبحت فاكهة المجالس؟ هل يجلس الناس في مجلس إلا وهم يتحدثون عن هذا وذاك، أو هذه وتلك؟ إنها إدام المجالس، إنها الغيبة، والمستمع شريك المغتاب، ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]. إنكم إذن مثلهم، إذا جلستم مجلسهم، وسمعتهم كلامهم، فقد أصبحتم مثلهم في الإثم؛ لأن المتكلم إذا لم يجد من يسمعه فسيصمت، السامع إذن هو الذي يدعو المتكلم إلى الكلام المحرم، ومن هنا كان حضور المجالس مشاركة لما يصدر عنها من آثام. كل الناس في حاجة إلى التوبة، كل الناس في حاجة إلى التوبة!

خطر المعاصي وشؤمها:

ومن هنا تجب المبادرة إلى التوبة، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ توبوا من الذنوب، الذنوب التي هي مهلكة العباد، ومخربة البلاد، هي أخطر شيء على الفرد، وأخطر شيء على الأسرة، وأخطر شيء على الجماعة، وأخطر شيء على البشرية كلها، يجب على الإنسان إذا أراد أن يتوب أن يستحضر ذنوبه، أن يستحضرها ولا يغفل عنها، ويستحضر آثار الذنوب، وأضرار المعصية، ويتذكر شؤمها على الناس، وعلى الفرد في حياته.

خطر الذنوب على الفرد:

الذنوب هي التي تطفئ النور في قلبه، إنها التي تملأ وجهه بالسواد والعياذ بالله، إنها هي التي تحرمه سكينة النفس، وطمأنينة الفؤاد، إنها

التي تجعله صاحبًا للشيطان، بدل أن يكون جنديًا للرحمن، إنها التي تذله؛ لأنها تجعله في طاعة عدوه، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] إنها هي التي تدمر عليه حياته كلها.

والمعاصي مضرّة للإنسان: مضرّة به بدنيًا، ومضرّة به نفسيًا، ومضرّة به خلقيًا، ومضرّة به اجتماعيًا، ومضرّ به أسريًا، ومضرّة به من كل النواحي.

خطر المعاصي على صحة الفرد:

وقد شاهدنا أهل المعصية وقد جنت عليهم معاصيهم، جنت عليهم في أبدانهم، وفي صحتهم؛ فذبل عودهم، وتحطمت أجسامهم، كم رأينا شبانًا في مقتبل العمر، وفي عمر الزهور، قضت عليهم الخمر، وقضت عليهم المخدرات، وقضى عليهم الإدمان، وقضى عليهم الزنى، وقضى عليهم الشذوذ، كم من زهرات زوت، وكم من أبدان دُمرت!

هذه هي آثار المعصية في البدن وفي الصحة، اسألوا وزارة الصحة، اسألوا المستشفيات عن أسرى الإدمان هؤلاء، عن المدمنين للمسكرات والمخدرات وغيرها، اسألوا العالم الغربي الآن وما يشكوه من أمراض نتيجة التحلل الجنسي بالزنى أو بالشذوذ، اسألوهم عن الأمراض الخطيرة، التي أصبحت تهددهم الآن، المرض الذي يعرف باسم الإيدز، الذي يحطم أجهزة المناعة في الجسم، ويجعل الإنسان معرضًا للإصابة بأدنى مرض، يهلكه ويقتله.

خطر المعاصي على نفسية الفرد:

المعاصي خطر على الفرد في صحته، خطر عليه في نفسه، في نفسيته، الإنسان المؤمن مطمئن، الإنسان المطيع لله والمستقيم على أمره يتمتع بالسكينة: سكينة الإيمان! الدنيا من حوله تموج وتهيج، ولكنه ساكن الفؤاد، مطمئن النفس، يسند ظهره لركن ركين، ويعتصم بحبل متين، ويلجأ إلى حصن وثيق، إنه في معية الله تبارك وتعالى، مهما أذلهت من حوله الخطوب، ومهما اشتدت به الكروب، فإنه مع الله، وإن الله معه، ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

هذه هي السعادة الحقيقية التي تنبع من الداخل، ولا تُشتري من الخارج، لا تُستورد بالدولار ولا بالإسترليني، إنها سعادة ذاتية، إنها تنبع من داخلك، من بين جنبك، من أعماقك، أساسها اليقين بالله وبالدار الآخرة، أساسها الاعتصام بالله، أساسها الاستقامة على طريق الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] لا خوف عليهم في الدنيا ولا في الآخرة، ولا هم لا يحزنون لا هنا ولا هناك.

إنهم لا يخافون؛ لأنهم مع الله! الناس يخافون على أرزاقهم، ويخافون على آجالهم، وهم يعلمون أن الأرزاق والآجال بيد الله، فلا خوف، انتهى الخوف من قلوبهم إلا من الله. لا يحزنون؛ لأنهم يعلمون أن الدنيا أهون من أن يحزن عليها الإنسان، إنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، فلماذا يحزنون على الدنيا، إنهم يستعيدون بالله دائماً من الهم والحزن؛ فالمؤمن السوي مطمئن النفس.

العالم الغربي يفتقد السعادة:

العالم الغربي اليوم الذي وصل إلى الأفلاك، ووضع أقدامه على سطح القمر، وجاء من هناك بنماذج من الأتربة والصخور، هذا العالم الغربي، لم يستطع أن يسعد الإنسان - وهو على ظهر الأرض - لأنه لم يملك المنهج الصحيح، منهج الإيمان والاستقامة، المنهج الذي يُعرّف أبناءه أن يقولوا: ربنا الله. ويستقيموا على هذه الكلمة؛ فلهذا فقد السعادة، فأصبح يشتكي من الأمراض العصبية، ومن الأمراض النفسية، وأصبحت العيادات النفسية بالآلاف!

في بلد مثل أمريكا، أصبح المرض الشهير هناك: مرض القلق، القلق النفسي، كل إنسان قلق على حياته، على مصيره، على نفسه، هؤلاء الناس ليسوا سعداء!

ومن هنا نقول: إنّ الوسيلة الصحيحة والوسيلة الوحيدة للسعادة: هي السكينة والطمأنينة، وهذه لا تأتي إلّا بالإيمان والاستقامة. لما سئل النبي ﷺ: قُلْ لِي قَوْلًا أَعْتَصِمَ بِهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم»^(١).

بهاتين الكلمتين يملك الإنسان طريق النجاة، النجاة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

المعاصي خطر على الأسرة:

الذنوب خطر على الفرد في صحته وبدنه، وخطر عليه في نفسه وخُلُقهِ، وخطر عليه في أسرته، انظروا إلى أسر أولئك المنحرفين،

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

السكاري والزناة والمدمنين، الذين يتركون الصلوات، ويتبعون الشهوات، الذين يدعون أصحاب الخير إلى أصدقاء السوء، ويسهرون بالليل الساعات الطوال، وهم في غفلة عن أسرهم: عن أهلهم، وعن زوجاتهم، وعن أبنائهم، وعن بناتهم! حتى إنَّ الرجل منهم يكون أبًا ولا يعرف ماذا يفعل أبنائه وبناته، في أي سنة هم، في أي صف وصلوا، رسبوا أم نجحوا، أب ولا يشعر بالمسؤولية، المعصية حطّمته، لم تجعل منه إنسانًا سويًّا، هذه آثار المعاصي وشؤم المعاصي.

المعاصي خطر على المجتمع:

المعاصي شؤم على الأسرة، والمعاصي أيضًا شؤم على المجتمع، الذي يدمر المجتمعات هي المعاصي، هي الانحراف عن صراط الله، عن منهج الله، عن أحكام شرعه، عن حدوده ومراسيمه، إذا رأيت مجتمعًا سار وراء المعصية، وأعرض عن حكم الله، فماذا تكون نتيجته؟ أن يتحطم من داخله، أن يتآكل من الداخل، قبل أن يُغزى من الخارج؛ بل إنَّ الغزو من الخارج غالبًا يأتي نتيجة التحلل من الداخل، كما قال الله عن بني إسرائيل لما أفسدوا في الأرض مرتين وعلوا علوًّا كبيرًا، سلّط الله عليهم من يذلهم ويكسر شوكتهم، في عقر دارهم وهكذا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

الذنوب والمعاصي خطر وأي خطر: على الفرد، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع، وعلى الإنسانية كلها، ومن هنا كان على الناس أن يتحرّروا من هذه الذنوب، وأن يتخففوا من أثقالها، وأن يرجعوا إلى الله تائبين

مستغفرين، فليس عجباً أن يعصي الإنسان ربه، فقد عصى من قبل آدم،
بل العجيب أن يستمر في طريق العصيان!

الطريق مفتوح لينقذ الناس أنفسهم في الدنيا والآخرة، وهو طريق
التوبة، أن يقولوا ما قال آدم وحواء من قبل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أما بعد:

فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يوافقها عبد مسلم، يسأل الله فيها خيراً إلاّ استجيب له^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، اللهم هبّ لنا من أمرنا رشداً.

اللهمّ اجعل يوم المسلمين خيراً من أمسهم، واجعل غدهم خيراً من يومهم، وأحسن عاقبتهم في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا. وارضَ عنا وأرضنا.

اللهمّ انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وأيد كلمة الإخوة المجاهدين العاملين للحق في لبنان، اللهم كُن للمسلمين في كل مكان، اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وقُلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

(١) سبق تخريجه ص ٢١.



﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. اللهم آمين.

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





بر الوالدين

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

أرسلت إدارة الأوقاف منشورًا إلى خطباء المساجد، يحمل أمرًا نكِّد عليَّ عيشي، وأقضِّ مضجعي، قالوا: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُدْخِلُونَ آبَاءَهُمْ أَوْ أُمَّهَاتِهِمْ فِي الْمَصَحَّاتِ أَوْ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ عِنْدَمَا تَكْبِرُ سَنَهُمْ، ثُمَّ يَدْعُونَهُمْ وَيَهْمِلُونَهُمْ حَتَّى مِنْ مَجَرَّدِ السُّؤَالِ أَوْ الزِّيَارَةِ، كَأَنَّمَا فَرَّغُوا مِنْ هَمُومِهِمْ، وَلَمْ يَعِدْ لَهُمْ قَبْلَهُمْ أَيُّ حَقٍّ، وَرَجَّتْنا الْإِدَارَةُ أَنْ تَكُونَ خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ.

وإنِّي لأعجب كلَّ العجب، وأفزع كلَّ الفزع أن يحدث هذا في ديار المسلمين، كنا نفاخر - نحن المسلمين - أهل الغرب من الأوربيين والأمريكيين: أننا عندنا تماسك الأسر، ليست عندنا النزعة الماديَّة والأنانيَّة التي وجدناها عندهم، فيا للأسف أصبحنا نقلدهم.

تمزق الأسرة عند الغربيين:

رأينا الغربيين لا يعرفون للأسرة معنى، الأسرة عندهم الزوج والزوجة، والعلاقات الإنسانيَّة لا وزن لها ولا قيمة، بمجرد أن يكبر

الولد - أو تكبر البنت - لا يُفكر في أبٍ ولا أمٍّ، إذا بلغ المرء الكبر - رجلاً كان، أو امرأة - فهو يحمل همَّ نفسه، ولا يكاد الأب أو الأم يرى ابنه أو ابنته إلَّا يومًا في السنة يُسمَّى عيد الأم أو عيد الأب، هكذا يفعلون، إذا كان أحدهم جيّدًا أو طيِّبًا؛ فإن أقصى ما يفكر فيه أن يرسل لأبيه جزءًا من المال، ولا شيء عليه بعد ذلك، لا يزوره، ولا يصله، ولا يسأل عنه، ولا يوده، وربما أدخله مصحّة من المصحّات، ولم يعد يحمل أي هم له، هذا هو حال الغربيين.

حدّثني بعض الإخوة ممن يعيشون في أمريكا أن امرأة كبيرة السن كانت تسكن وحدها بيتًا أو شقّة من الشقق، وفي يوم من الأيام لم يشعر جيرانها لها بحركة، ولا بصوت، ولا بنفَسٍ، يوم ويوم ويوم، ثمّ دقّوا عليها الباب فلم يردّ أحد، فأبلغوا الشرطة، فجاءت الشرطة واقتحمت الباب ودخلت، فإذا المرأة جثة هامدة، بل رَمّة بالية، ظهر نتن ريحها، ماتت من عدة أيام ولم يشعر بها أحد، ولما سألوا عنها عرفوا أن لها أبناء وبنات هنا وهناك، ولكن كلًّا منهم مشغول بنفسه، هذا هو حال الغربيين!

ولذلك نجد الشيخوخة في تلك البلاد موحشة كل الإحاش، مُفزعة كل الإفزاع، إذا بلغ الرجل من الكبر عتياً، أو بلغت المرأة سن الكبر؛ فإنها لا تجد أحدًا يؤنس وحشتها، أو يرافق وحدتها، أو يزيل كربتها، إنّها تعيش في هم مقعد مقيم، ولذلك نجد هؤلاء يقتنون الكلاب والقطط، ويعايشون هذه الحيوانات الأليفة، لأن الأبناء والأحفاد لم يعودوا يعرفونهم، فوجدوا الوفاء والود عند هذه الحيوانات، وجدوا الكلب أوفى من الإنسان، وأكثر وُدًا من الابن والبنت، ولهذا اضطروا أن يقتنوا هذه الحيوانات، ولذلك نجد كل رجل كبير أو امرأة كبيرة يجر وراءه كلبًا.

أنحن المسلمين وصل بنا الحال إلى أن نودع آباءنا وأمهاتنا المستشفيات، والمصحات، والملاجئ، ثم لا نهتم بهم؟ أين ما أمر به الإسلام؟ أين ما أمر به القرآن وأحاديث الرسول ﷺ: من البر والإحسان، والنهي عن عقوق الأبوين؟

فرضية بر الوالدين:

إنَّ برَّ الأبوين أصل من أصول الفضائل ومكارم الأخلاق، ومن أوائل الفروض الدينية في الإسلام، ترتيبه في الإسلام بعد توحيد الله تبارك وتعالى، حق الله أولاً، ثمَّ حق الوالدين ثانيًا، ألم نقرأ في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَّا إِلَىٰ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؟

بعد الشكر لله يأتي الشكر للوالدين، ف«مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»^(١)، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ لَوَالِدَيْهِ لَمْ يَشْكُرْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مَنْ لَا خَيْرَ لَهُ فِي أُمِّهِ وَلَا أَبِيهِ؛ كَيْفَ يَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ لِمَخْلُوقٍ بَعْدَ ذَلِكَ؟ أَيْجُوزُ أَنْ يُهْمَلَ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمُّهُ مِنْ أَجْلِ أَيِّ مَشْغَلَةٍ مِنْ مَشَاغِلِ الدُّنْيَا؟ مِنْ أَجْلِ زَوْجَةٍ؟ أَوْ مِنْ أَجْلِ ذَرِيَّةٍ؟ أَوْ مِنْ أَجْلِ تِجَارَةٍ؟ أَوْ مِنْ أَجْلِ مَكْسَبٍ؟ أَوْ مِنْ أَجْلِ قَنَاطِيرٍ مَقْنَطَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؟ لَا وَاللَّهِ لَا يَجُوزُ، لَا يَجُوزُ هَذَا أَبَدًا.

(١) رواه أحمد (٧٥٠٤)، وقال مخرجه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وقال: حسن صحيح. عن أبي هريرة.

عقوق الوالدين:

ورد في حديث رواه الترمذي: «إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ: أَنْ يَطِيعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَيَعُقَّ أُمَّهَ، وَأَنْ يُدْنِيَ صَدِيقَهُ وَيَجْفُو أَبَاهُ»^(١). عقوق الوالدين من أسباب البلاء التي تنزل بالأمة، هو من أكبر الكبائر، يأتي بعد الشرك بالله تعالى، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي بكرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». وَكَانَ مَتَكِّئًا فَجَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»^(٢). فعقوق الوالدين يأتي بعد الشرك بالله.

وقال أيضًا: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»^(٣). انظروا كيف وضع عقوق الوالدين بين الشرك بالله تعالى وقتل النفس التي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا؟

العقوق من أكبر الكبائر، كما جاء في الحديث الصحيح الآخر: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ اسْتَغْرَبَ الصَّحَابَةُ، الَّذِينَ رَبَّاهُمُ الْإِسْلَامَ وَهَذَّبَهُمُ: أَنْ يَصْدُرَ مِنْ ابْنٍ لَعْنًا أَوْ سَبًّا لَوَالِدَيْهِ، فَقَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهَ»^(٤). أي إِنَّهُ لَا يَلْعَنُهُمَا مَجَابَهَةً أَوْ مَشَافَهَةً، وَلَكِنْ يَتَسَبَّبُ

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢٢١٠)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٤٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٠٧)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

(٣) رواه البخاري في الإيمان والنذور (٦٦٧٥)، وأحمد (٦٨٨٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٣)، ومسلم في الإيمان (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

في لعنهما، فمن أكبر الكبائر أن يجلب الإنسان اللعن على والديه، بأن يلعن الآخرين أو يسبهم؛ فيردوا عليه، ويكيلوا له الصاع صاعين، فهذا من أكبر الكبائر، فما بالكم بمن يسب والديه عياناً بياناً، جهاراً نهاراً، مواجهة مشافهة؟ كيف يكون الأمر في مثل هذا؟ فمن أكبر الكبائر أن يلعن الإنسان والديه، أن يتناول عليهما.

كيف وقد نهى الله تعالى عن مجرد التأفف، عن قول: أفّ لهما. وخاصة في حالة الكبر، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

انظروا إلى قوله: ﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾. أي: في حالة الكبر تكون أنت أيها الابن المأوى والملجأ لوالديك، فهما عندك، كأنهما وديعة أو أمانة عندك، لاحظ هذه العنيدة: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾، ومرحلة الشيخوخة مرحلة حساسة يكون الأب والأم فيها في مرحلة من الحساسية ورقة المشاعر، فإياك أن تجرحهما بكلمة مؤذية، ولو مجرد التأفف. ﴿أَفٍّ﴾: كلمة تدل على التضجر، يقول الحسين بن علي بن أبي طالب: لو علم الله في العقوق شيئاً أدنى من أفّ لحرمة^(١). ليس هناك أدنى ولا أقل من أفّ، ﴿وَلَا نَهْرُهُمَا﴾، سواء كان هذا الانتهاز بالقول أو بالفعل.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، فيه اللطف والرقّة، فيه الاحتشام والاحترام، حتّى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يُجز

(١) الفردوس بمأثور الخطاب للدليمي (٣/٣٥٣)، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، نشر دار

الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الإسلام أن يجبه الرجل والديه بما يؤذيها، وبما ينال من حقهما، ولذلك ذكر العلماء أن هناك مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هناك البيان والتعريف، وهناك الوعظ والتخويف، وهناك التقريع والتعنيف، وهناك الأخذ على اليد، وهناك القهر والمহারبة.

وليس للابن مع أبيه أو أمه إلا المرتبتان الأوليان: البيان والتعريف، أن يقول له: هذا حلال وهذا حرام، هذا خطأ وهذا صواب، هذا معروف وهذا منكر. أو الوعظ والتخويف، يخوفه بالآخرة ويوم القيامة، وما يحدث فيه، يقول: حرّم الله كذا، وذكر أنّ عاقبته كذا. أمّا أن يُعَنِّف، أمّا أن يغلظ فلا، حتّى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، اخفض لهما جناحك، والذل هنا محمود، ذل الإنسان لأبويه، وهو كناية عن فرط الشفقة والتواضع، رعاية لحقهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، اذكر مرحلة الطفولة، يوم لم تكن لك سنّ تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى، ولا قوة تجهد بها؛ مَنْ كان يرفع أمرك؟ إنهما أبواك، طالما سهرنا لتنام، طالما تعبنا لترتاح، الأم في داخل البيت، والأب في خارج البيت؛ أفبعد ذلك تجزي الإحسان بالسوء، والعرفان بالنكران؟ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؟

لا يجوز هذا في منطق الإسلام، ولا في منطق المروءة ومكارم الأخلاق، ولا في منطق الإنسانية الراشدة، لا يجوز للإنسان أن ينسى هذا.

وقد شهد ابن عمر رجلاً يمانياً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره، يقول:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ إِنْ أَذْعَرْتُ رِكَابَهَا لَمْ أَذْعَرْ

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة^(١). زفرة من زفرات الطلق وألم الوضع! لم تؤدّ زفرة من زفرات آلام الطلق والوضع، من حقّ تلك التي حملتك كُرْها، ووضعك كُرْها، وهنّا على وهن، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب يقول: يا أمير المؤمنين، إن أُمّي بلغت من الكبر عتياً، وقد بلغ من شيخوختها وضعفها أنّي أصنع لها في كبرها ما كانت تصنع لي في صغري، حتّى إنّها لا تقضي حاجتها إلّا وظهري لها مطيّة؛ أأكون بذلك قد أدّيت حقّها؟ قال: لا؛ إنّها كانت تفعل بك ذلك وأنت طفل رضيع، وهي تتمنى لك عمراً طويلاً، أمّا أنت فتصنع بها اليوم ذلك، وأنت ترجو موتها غداً أو بعد غد^(٢). فرق كبير بين الأمرين!

حقّ الأبوين حقّ عظيم، فلا يجوز للإنسان أن يهمله، وخاصة في حالة الكبر، جاء في صحيح مسلم، أنّ النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ». دعاء من النبي ﷺ، أو خبر عن هذا الإنسان، أي لصق بالرغام والتراب، ما يعني الذل، أذله الله، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أدرك والديه عند الكِبَر، أحدهما أو كليهما، ثُمَّ لم يدخل الجنة»^(٣). فرصة أن يدرك الإنسان أبويه عند الكبر لخدمتهما، ويكرمهما، ويحسن إليهما فيدخل الجنة برضاها، بدعائهما.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١)، والمروزي في البر والصلة (٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٥٠).

(٢) البر والصلة لابن الجوزي ص ٤٠، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥١)، وأحمد (٧٤٥١)، عن أبي هريرة.

يقول الناس: يا بركة دعاء الوالدين. ولكن هناك أناسًا لا يستمتطرون إلا الدعاء عليهم من والديهم، ما بركة إنسان أو قيمته، حين يلعنه والداه، ويدعوان عليه؟ يعيش في سخط! والنبى ﷺ يقول: «رضا الله من رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد»^(١). والوالد هنا يعني: مَنْ وَلَدَهُ أُمًّا أو أَبًّا، كما جاء في بعض الأحاديث: «الوالدين»^(٢). بدل الوالد.

رضا الله في رضاهما، وسخط الله في سخطهما، وطاعة الله في طاعتهما، ومعصية الله في معصيتهما، يأتي حقهما بعد حق الله، يجب أن يُطاعا إلا في المعصية، فلا طاعة لأحد في معصية الله، «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٣). لو أمرك الأب أو الأم بترك فريضة، أو فعل مُحَرَّم فلا طاعة لهما، لأنَّ حقَّ الله أعظم من حقِّهما، حقُّ الله فوق حق المخلوقين جميعًا.

ولهذا لو تعارض بر الوالدين وطاعتهما مع سنَّة: قُدِّم بر الوالدين، لو أمراه بترك سنة يطيعهما، لو أمراه بفعل مكروه يمكن أن يطاعا، لأن فرضية بر الوالدين أهم وأقوى من المكروه، ولكن لو أمراه بترك فريضة، أو فعل شيء مُحَرَّم؛ فلا يجوز أن يطيعهما في معصية الله وَجَلَّ.

ومن الواجبات ما كان فرض كفاية لا يجوز أن يفعله المسلم إلا برضا الوالدين، ولذلك صحَّت أحاديث عديدة جاء فيها مَنْ يطلب من النبى ﷺ أن يجاهد، يبايعه على الجهاد، قال في بعضها: «أحيي والداك؟».

(١) رواه الترمذي في البر والصلوة (١٨٩٩) مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح وقفه، والحاكم في البر والصلوة (١٥١/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥١٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٤٤٥).

(٣) رواه عبد الله في زوائد المسند (١٠٩٥)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. عن علي بن أبي طالب.

قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»^(١). أي: اجعل جهادك في برهما وإكرامهما، وبعضهم قال: جئت أبايك على الجهاد، وتركت أبويَّ يبيكان. قال: «ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما»^(٢). وقال لبعضهم: «ارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فقابل الله ببرهما»^(٣). وقال بعضهم: جئت أبايك على الهجرة والجهاد، وتركت أُمِّي. قال: «ألك أم؟» قال: نعم. قال: «اذهب فالزمها فإن الجنة عند رجلئها»^(٤).

هكذا قدّم النبي ﷺ برّ الوالدين على الجهاد، ما دام الجهاد فرض كفاية، ما دام هناك من أهل الإيمان والإسلام مَنْ يقوم مقامك.

ولكن حينما يكون الجهاد فرض عين، حينما يُهاجم بلدٌ مسلم من الكفار؛ فعلى أهله أن يهبوا جميعاً هبة رجل واحد ليدافعوا عن دارهم، ولا يُسمع في ذلك قول أبٍ ولا أم؛ لأنّ الجهاد هنا فرض عين، وبرّ الوالدين فرض عين، ولكن فرض العين الذي يتعلق بالجماعة، وبقاء الجماعة وبقاء الإسلام في الأرض مقدّم على فرض العين المتعلق بالأفراد، الأعمال لها مراتب، ويجب أن نعرف مرتبة كل عمل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرّجوه: حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وصحّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٣٠)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٢٢)، والحاكم في الجهاد (١٠٣/٢)، وصحّح إسناده، وتعبه الذهبي: دراج: واه. وقال الألباني في الإرواء (١١٩٩) بعد أن ذكر كلام الذهبي: لكن الحديث بمجموع طرقه صحيح. عن أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه أحمد (١٥٥٣٨)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والنسائي (٣١٠٤)، وابن ماجه (٢٧٨١)، والحاكم (١٠٤/٢)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥)، عن معاوية بن جاهمة.

الإسلام يأمرنا ببر الوالدين، ويجعل حقهما بعد حق الله تبارك وتعالى، أكد ذلك القرآن، وأكدت ذلك السُّنَّة النبويَّة في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ.

بر الوالدين لا ينقطع بموتهما:

ومن أعجب ما جاء به الإسلام أنَّ برَّ الوالدين لا ينقطع، ولو بعد مماتهما، أي على الإنسان أن يظل بارًّا بوالديه وإن ماتا، انظروا ما أجمل هذا الإسلام، إنَّ الموت لا يقطع الصلات، لا، إنَّ الصلة تظل قائمة، ولذلك جاء رجل من بني سلمة إلى النبي ﷺ يقول: يا رسول الله، هل بقي عليَّ شيء من بر والديَّ بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلاَّ بهما، وإكرام صديقهما»^(١).

هذه خمسة أنواع من البر تبقى بعد وفاة الوالدين: أن يصلي الإنسان عليهما الجنازة خاصة الذكور، والاستغفار لهما، الدعاء لهما، «أو ولد صالح يدعو له»^(٢)، من امتداد عمل الإنسان بعد موته أولاده وذريته الصالحون يدعون له، ثم إنفاذ عهدهما، إذا أوصيا بوصية أو عهد عهدًا في غير معصية الله فعليك أن تنفذه ما استطعت، وصلة الرحم التي لا توصل إلاَّ بهما، أي يصل الإنسان أرحام أبيه وأرحام أمه، كما جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، إنِّي أذنبت ذنبًا عظيمًا فهل لي من توبة؟ قال: «هل لك من أم؟» قال: لا. قال: «فهل لك من خالة؟» قال:

(١) رواه أحمد (١٦٠٥٩)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، كلاهما

في الأدب، والحاكم في البر والصلة (١٥٤/٤)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي. عن أبي أسيد.

(٢) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.

نعم. قال: «فَبَرَّهَا»^(١). بر الوالدين يكفر الخطايا، وصلة الأرحام تكفر الخطايا، إذا لم تكن أمك حية فوَدَّ أرحامها.

ولقي أعرابي عبد الله بن عمر في الطريق إلى مكة فسلم على ابن عمر، فهش له وبش واهتم به، وأعطاه حمازًا يركب عليه، ثم خلع عمامته وألبسها إياه، فقال عبد الله بن عمر له: رحمك الله، هذا من الأعراب، وهؤلاء يكفيهم القليل، فلماذا أعطيته هذا كله؟ فقال: إن هذا الرجل كان وُدًّا لعمر بن الخطاب - لأبيه - وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر أن يود الرجل أهل ود أبيه»^(٢). يصل المودة التي كانت قائمة.

وذهب ابن عمر إلى أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فقال له ابن عمر: أتعرف لماذا جئتك؟ قال: لماذا؟ قال: لأنّه كان بين أبي وأبيك مودة، وإنّ النبي ﷺ قال: «إن من البر أن يصل الرجل إخوان أبيه»^(٣). أصدقاء وأحبابه، فبعد الموت تظل الصلة قائمة، يظل البر قائمًا.

أنت ومالك لأبيك:

هذا ما جاء به رسول الله ﷺ، هذا ما جاء به الإسلام، جاء بالبر، جاء بالإحسان، حتى قال النبي ﷺ لأحد الأبناء، وقد شكّا إليه أن أباه أخذ شيئًا من ماله لحاجته إليه، فقال له: «أنت ومالك لأبيك»^(٤).

(١) رواه أحمد (٤٦٢٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٠٤) مرفوعًا ومرسلًا ورجّح المرسل، وابن حبان في البر والإحسان (٤٣٥)، والحاكم في البر والصلة (١٥٥/٤)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٥٠٤)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم البر والصلة (٢٥٥٢)، وأحمد (٥٦٥٣).

(٣) رواه أبو يعلى (٥٦٦٩)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٤٣٢).

(٤) رواه أحمد (٦٩٠٢)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في البيوع (٣٥٣٠)، وابن ماجه =

البر بالوالدين ولو كانا مشركين:

هكذا ينبغي أن نعلم أنّ الإسلام رعى حق الوالدين، ولو كانا كافرين مشركين، حتى المشرك الكافر بالله وَعَلَيْكَ، لا يسقط حق أبوته، وهذا ما صرح به القرآن في سورة لقمان: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. لا حق لهما في الطاعة، ولكن صاحبهما في الدنيا معروفًا، وهما مشركان، وليسا مجرد مشركين، هما مشركان مستميتان في نصرة الشرك، يجاهدان ابنهما، أي محاولة مصرّة مستميتة على أن يرجع عن الإسلام إلى الكفر، وعن التوحيد إلى الشرك، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، المصاحبة بالمعروف مطلوبة للأبوين مهما كان أمرهما.

الأسرة أساس المجتمع:

هذه حقائق أيها الإخوة جاء بها ديننا العظيم؛ لأن أساس المجتمع هو الأسرة، الأسرة نواة المجتمع وخليته الأولى، فإذا انحلت روابط الأسر انحلت روابط المجتمعات، لم يُعن القرآن ولا السنة كثيرًا بالوصية بالأبناء، إنّما أكد الوصية بالآباء والأمهات؛ لماذا؟ لأن الفطرة كافية لأن يرفع الأب ابنه، وترعى الأم ولدها.

صحيح جاءت بعض الآيات تصحح ما كانت عليه الجاهلية وتنكر وأد الأبناء والبنات، ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾ [التكوير: ٨ - ٩]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، ولكن هذا الشذوذ عن الفطرة ليس هو الأصل، الفطرة

= في التجارات (٢٢٩٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٥٦)، عن عبد الله بن عمرو.



في حقيقتها كافية، فلم يحتج أن يوصي الآباء بأولادهم، ولكن الأبناء والذرية قد ينظرون إلى المستقبل ولا ينظرون إلى الماضي، لا يتذكرون عهد الطفولة، لا يتذكرون خلق الوفاء، فكثيرًا ما يعقون، وكثيرًا ما يجفون، وكثيرًا ما يؤذون، ناسين أن ذلك من أكبر الكبائر، وأن أبواب الجنة موصدة في وجه من عق والده، من عق والده لا يشم رائحة الجنة، ولا ينظر الله إليه يوم القيامة كما جاء عن رسولنا ﷺ^(١).

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



(١) رواه أحمد (٦١٨٠)، وقال مخرجه: إسناده حسن. والنسائي في الزكاة (٢٥٦٢)، والحاكم في الإيمان (٧٢/١)، وصححه، ووافقه الذهبي، عن ابن عمر.



حقوق الأبناء في الإسلام^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْتُ فِي الْخُطْبَةِ السَّابِقَةِ عَنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، عَنْ حَقِّ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَى الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ، وَحَقِّ الْوَالِدَيْنِ حَقٌّ عَظِيمٌ، يَأْتِي بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَبَرِّ الْوَالِدَيْنِ فَضِيلَةٌ وَفَرِيضَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْفَضَائِلِ وَالْفَرَائِضِ، الَّتِي جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ، وَأَكَّدَ بِهَا مَا جَاءَتْ بِهِ جَمِيعُ الْأَدْيَانِ.

وَلَكِنْ بَعْضُ الشَّبَابِ أَثَارُوا قَضِيَّةً، قَالُوا: تَحَدَّثْتُ عَنْ حَقِّ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَحَقِّ الْأُمَّهَاتِ عَلَى الْبَنَاتِ، وَحَقِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْأَوْلَادِ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَذْكُرْ مَا لَهُوْلَاءِ الْأَوْلَادِ مِنْ حَقٍّ عَلَى آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، أَلَيْسَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ حَقٌّ يَجِبُ أَنْ تُرْعَى؟

أَمْ أَنَّ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يَلِدَ وَأَنْ يَنْجِبَ، ثُمَّ يَدَعَ أَبْنَاءَهُ وَبَنَاتَهُ هَمَلًا، لَا يَرْعَاهُمْ، وَلَا يَتَنَبَّهُ لَهُمْ، وَلَا يَعْرِفُ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَلَا يَدْرِي شَيْئًا عَنْ مَدْخَلِهِمْ وَمَخْرَجِهِمْ، مَنْ يَصَاحِبُونَ، وَأَيْنَ يَذْهَبُونَ، وَفِيمَ يَسْهَرُونَ، وَمَاذَا يَعْمَلُونَ! أَهَنَّاكَ أَبْوَةٌ بِلَا رِعَايَةٍ وَلَا مَسْئُولِيَّةٍ؟

(١) أَلْقَيْتُ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ.

حقوق الأبناء على الآباء:

قلت: لا، إِنَّ الأبوة والأمومة، إِنَّ الوالدية عاطفة حانية، ومسؤولية راعية، ويقظة وسهر على رعاية الأبناء والبنات، هذا ما جاء به الإسلام، فكما أَنَّ للوالد على ولده حقًا أكيدًا، فَإِنَّ للولد على والديه حقًا كذلك، وكل حق يُقابله واجب، الحقوق متبادلة، حتَّى إِنَّ الله تبارك وتعالى - خالق الخلق، ومالك الملك، ومدبر الأمر - جعل لنفسه حقًا على عباده. إِنَّ لله حقًا على عباده، وَإِنَّ للعباد حقًا على الله تبارك وتعالى؛ كما جاء في الحديث الصحيح: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ وما حقُّ العبادِ على الله؟» الحديث^(١).

وجاء في القرآن: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. فكيف يكون هناك حق لا يقابله واجب؟

إِنَّ للآباء والأمهات حقًا أكيدًا في البرِّ والإحسان، والطاعة والإكرام؛ ولكنَّ عليهما حقوقًا أكيدة كذلك، فهؤلاء الأولاد نعمة من الله تعالى يجب أن تُشكر، وأمانة يجب أن تُرعى، كما قال النبي ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، الإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجلُ راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيته، والخادم راعٍ في مال سيِّده ومسؤولٌ عن رعيته»^(٢).

١ - حسن اختيار الأم:

إِنَّ هذه المسؤولية تبدأ في الإسلام منذ وقت مبكر، تبدأ منذ الولادة؛ بل تبدأ منذ الحمل، بل تبدأ قبل ذلك، قال أبو الأسود الدؤلي

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٣)، ومسلم في الإيمان (٣٠)، عن معاذ بن جبل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

لبنيه: لقد أحسنت إليكم قبل أن تُولدوا، وأحسنت إليكم بعد أن ولدتُم. فقالوا له: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم أمًّا ذات فضل ودين^(١).

إن اختيار الأمَّهات من المسؤولية المبكرة، كما قال النبي ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ»^(٢). العرق نَزاع، والعرق دَسَّاس. وقد حَذَّر السلف من المرأة الحسناء في المنبت السوء، فإن لها خطرًا، وإنَّما «تُنكح المرأة لأربع: لحسبها، ولمالها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٣). ويقول الشاعر لأولاده:

وَأَوَّلُ إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ تَخْيِيرِي لِمَا جَدَّةِ الْأَعْرَاقِ بَادٍ عَفَافُهَا^(٤)
أَوَّلُ إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ أَنِّي اخْتَرْتُ مَا جَدَّةَ طَاهِرَةٍ، شَرِيفَةَ كَرِيمَةٍ، فَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يَحْسِنَ الْإِخْتِيَارَ.

٢ - رعاية الحمل:

ثم بعد ذلك تبدأ الرعاية، حتَّى في أثناء الحمل، فللحمل حقوق، إنَّه كائن حي، إنَّه إنسان في بطن أمِّه له احترامه، حتَّى إنَّ الإسلام لم يجز إجهاض هذا الجنين ولو جاء من طريق غير مشروع، كما قال للمرأة الغامدية التي زنت، وأرادت أن يُقام عليها حد الله: «اذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي». وبعد الولادة قال: «اذْهَبِي حَتَّى تَرْضِعِيهِ»^(٥). لأنَّ لهذا المخلوق

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٥٨، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٣٧٨٨)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٠٢)، عن عائشة.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٤) نسبه الماوردي للرياشي في أدب الدنيا والدين ص ١٥٨.

(٥) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

حقًا لا يجوز أن يُعتدَى عليه، حياة محترمة، ما ذنبه إذا أذنب أبواه، فللحمل حق.

من أجل هذا شرع الإسلام للحامل أن تفر إذا خافت على ولدها في صوم رمضان، صوم الفريضة، رعاية لهذا المخلوق، لهذا الكائن الحي الذي يتحرّك في أحشائها.

٣ - أحكام المولود:

فإذا وُلد هذا المولود فينبغي أن يُستقبل بالبشر والترحاب، ذكرًا كان أو أنثى، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، يُستقبل المولود بالفرحة، بحمد الله تعالى على هذه النعمة.

وممّا طلبه الإسلام شكرًا لهذه النعمة: أن يعقّ عنه، أن يذبح عنه شاة للأنثى، وشاتين للذكر، هكذا شرع الإسلام، منذ يوم السابع من ولادة المولود.

كما طلب منا أن نوّذن في أذن المولود اليمنى حين يولد^(١)، وفي بعض الروايات: يقام في أذنه اليسرى، الطفل لا يعي، ولا يعقل، فلماذا نوّذن في أذنه؟ ولكنّه إحياء وإيدان بأنّ أول ما طرق سمعه هو كلمة التوحيد، أول صوت وصل إلى أذنه: لا إله إلا الله، والله أكبر.

(١) إشارة إلى الحديث: أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة. رواه أحمد (٢٣٨٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٥١٠٥)، والترمذي في الأضاحي (١٥١٤)، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١١٧٣)، عن أبي رافع.

وبهذا يكون المسلم فريداً عن النَّاس جميعاً، حيث يستقبل الحياة بالتوحيد، ويودعها بالتوحيد، فيوم يولد يسمَع: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ويوم يحتضر على فراش الموت يُلقَن: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. أول ما سمع كلمة التوحيد، وآخر ما سمع كلمة التوحيد، هكذا علَّمنا الإسلام أن نؤذَن في أذن المولود، حتَّى يعلم أنَّه وُلد على التوحيد منذ ولد، ويعرف هذه الحقيقة بعد أن يكبر.

وعلَّمنا الإسلام أن نتصدَّق بوزن شعره فضَّة، وهذا أيضاً من باب الشكر، والسنة في العقيقة كالسنة في الأضحية، أن يُهدى بعضها، ويؤكل بعضها، ويُتصدَّق ببعضها، وبهذا يشمل النَّاس فضل هذه الفرحة، تعمُّ الفرحة الفقراء والمعوِّزين، هكذا علَّمنا الإسلام، وهناك أحكام سجَّلها الإمام ابن القيم في كتاب له سمَّاه (تحفة المودود في أحكام المولود).

٤ - الغذاء المادِّي:

كما ينبغي ألا يُهمَل الوليد، وألا يُضَيَّع عليه حقُّ الرضاع، بعض الأمَّهات في عصرنا تريد أن تحفظ رشاقتها، وجمال جسمها فتضن بلبنها على طفلها، فتأتي بالحليب الصناعي وغير ذلك، والله تعالى يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

لماذا أجرى الله هذين العريقين في صدرك أيتها الأم؟ هيَّا الله للطفل هذا الغذاء الطبيعي يجري من هذين الثديين لبنًا خالصًا، دافئًا في الشتاء، باردًا في الصيف، فتضن الأم على وليدها وعلى طفلها بلبنها، وليس هناك أفضل، ولا أنقى من هذا اللبن الطبيعي، فهو مُعَقَّم تعقيمًا ربانيًا.

ويقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. فعلى الأب الذي وُلِدَ له مولود أن يرعى الأم المرضعة، حتى وإن كانت مطلقة، فالآية جاءت في الوالدات المطلقات، لأن بعض الأمهات قد تكايد زوجها الذي طلقها؛ فتؤذي ابنها من أجل أبيه، فجاء القرآن يؤكد هذا، ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وإن كنَّ مطلقات، وعلى الأب أن يرزقها ويكسوها وينفق عليها ما دامت تُرضع، ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، متى يفتطمانه: بعد سنة، أم بعد سنة ونصف، أم بعد سنتين؟ لا بد أن يكون تحديد هذا الأمر بناء على تراضٍ منهما وتشاور.

كل هذا من أجل مصلحة هذا الوليد، هذا المخلوق الصغير الذي ليس له سنٌ تقطع، ولا يدٌ تبطش، ولا قدمٌ تسعى، هكذا أراد الإسلام أن تكون هناك الرعاية الكاملة منذ يُولد هذا المولود، وقبل أن يُولد.

٥ - الغذاء العاطفي:

على الأب وعلى الأم أن يُغذيا هذا المولود، وليست التغذية بالجانب المادي وحده، ليست التغذية طعامًا وشرابًا فقط، هناك غذاء لا بد منه، غذاء العاطفة: الحنان، الحب، أن يشعر الولد أن له أبًا، وأن له أمًا.

الأب الذي ينجب أولاده ولا يراهم، لا يأتي إلا في آخر الليل؛ حين يكون الأبناء قد ناموا، فلا يرى أولاده، وفي الصباح يذهبون إلى المدارس وهو نائم؛ فلا يراهم، أين هذه الأبوة؟ الابن الذي يقول: أنا لم أشعر أن أبي حنا عليّ يومًا.

كان النبي ﷺ يحنو على أولاده، وعلى أحفاده وأساباطه، من أبناء بناته وبناتهن، كلنا نعرف قصته حينما كان يصلي وسجد، وجاء الحسن أو الحسين فركب عنقه وهو في السجود، وأطال السجود وأطال، حتى قال الصحابي الذي روى الحديث: خشينا أن يكون قد حدث شيء للنبي ﷺ، هل أغمي عليه؟ هل وافاه الأجل؟ ترى ماذا حدث؟ فلمّا فرغ من الصلاة سأله: أطلت السجود يا رسول الله؛ حتى ظننا أن شيئاً قد حدث؟ فقال لهم: «إنّ ابني هذا قد ارتحلني - ركبني، اتّخذني راحلة ومطيّة، ركوبة - فلم أشأ أن أعجله حتى يقضي حاجته»^(١). لم يشأ النبي ﷺ أن يقطع عليه لذة الركوب، هو مسرور من هذا الركوب، فانتظره حتى فرغ ونزل.

انظروا إلى هذا القلب الكبير ﷺ، كان على المنبر فرأى الحسن والحسين يمشيان ويتعثّران، فنزل من فوق المنبر وأخذهما، ثمّ قرأ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]^(٢). لم يستطع أن يصبر وهو يراهما يتعثّران ويسقطان، وحمل أمانة بنت ابنته وهو على المنبر، وصلى بها^(٣)، وهكذا كان ﷺ.

ولمّا دخل الأقرع بن حابس التميمي على النبي ﷺ، ووجده يُقبّل الحسن أو الحسين، فنظر إليه باستغراب، وقال: أوتقبّلون أولادكم؟! والله إنّ لي عشرة من الولد، ما قبّلت واحداً منهم.

(١) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم

في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهادي.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في الصلاة (١١٠٩)، والترمذي

في المناقب (٣٧٧٤)، وقال: حسن غريب. والنسائي في صلاة العيدين (١٥٨٥)، وابن ماجه

في اللباس (٣٦٠٠)، عن بريدة الأسلمي.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٥١٦)، ومسلم في المساجد (٥٤٣)، عن أبي قتادة.

فقال ﷺ: «أَوَأَمَلِكْ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ؟»^(١) وفي رواية قال له: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٢).

ودخل أحدهم على عمر بن الخطاب، فوجده يلعب أولاده الصغار، فعجب، وقال: كيف تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: وماذا تفعل أنت؟ قال: إذا دخلت البيت صمت الناطق، وسكن المتحرك. فقال عمر: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ. وكان قد ولّاه على شيء من أمور المؤمنين فعزله. قال: إذا كان لا يرحم ولده فأولى به ألا يرحم الناس^(٣). الإسلام يريد إيجاد هذه العاطفة.

ولذلك قال المُرَبُّون من السلف: لاعب ابنك سبعا، وأدبه سبعا، وآخه سبعا. السبعة الأولى هي سنوات الملاعبة والمداعبة، ومن هنا كان النبي ﷺ يُوطئ ظهره لأحفاده في داخل البيت.

هذه هي العاطفة الحانية الرقيقة التي يريد الإسلام، من حقّ الطفل أن يملأ فراغ طفولته باللعب، هذه غريزة فطر الله عليها الإنسان، ولولا ذلك لضقنا بالأطفال، وضاقوا بالحياة. وفي هذا اللعب تغذية للفترة، وتقوية للجسم، وتمارين للعضلات، وملء لفراغ الوقت، وله أكثر من فائدة، ولهذا ينبغي أن تساعد ابنك على أن يلعب.

٦ - التعليم النافع:

كذلك يريد الإسلام منّا أن نعلّم ولدنا وندرّبه على كل ما ينفع، كما جاء في بعض الأحاديث: «من حقّ الولد على الوالد أن يُعلّمه الكتابة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

(٣) نزهة المجالس لعبد الرحمن الصفوري (٥٥/٢)، نشر المطبعة الكاستلية، مصر.

والسباحة والرّمي»^(١). وهكذا كان السلف يفعلون، يعلمون أولادهم القراءة والكتابة، فالإسلام دين العلم، ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿[العلق: ٣، ٤]، وَيُعَلِّمُ السَّابِحَةَ أَيضًا، فهي رياضة لها فائدتها، وَيُعَلِّمُ الرماية، إصابة الأهداف، فالمسلمون أمة جهاد، فينبغي أن يُعَلِّمُوا على ألوان الجهاد والفروسيّة، ولذلك كان عمر يقول: علّموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم أن يثبوا على ظهور الخيل وثبًا^(٢). هذه الأنواع من الرياضات النافعة ينبغي أن نعلّمها أولادنا.

فهم بعض النَّاس من حملتي على لعبة الكرة أنني ضد الرياضة، لا، الرياضة مطلوبة في الإسلام، وفي الحديث: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»^(٣). وكان من الصحابة العدّاءون والسّباحون والفرسان، وكان ﷺ يركب الفرس مُعْرُورِيًّا^(٤)، وقد صارع النبي ﷺ أحد الرجال المشهورين بالمصارعة فصرعه^(٥).

ولكن الذي أنكرته أن تكون الكرة وثناً يُعبد، أن يشتغل أفراد قليلون

(١) رواه البيهقي في السبق والرمي (٢٦/١٠)، وضعفه، عن أبي رافع.

(٢) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥)، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٣) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٤) كما في حديث أنس، المتفق عليه، قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «لن تراعوا، لن تراعوا». وهو على فرس لأبي طلحة عُرِي ما عليه سرج في عنقه سيف فقال: «لقد وجدته بحرًا»، أو «إنّه لبحر». رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧).

(٥) رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقائم. كلاهما في اللباس، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣٧٨)، عن محمد بن ركانة.

بالكرة، ويشغل الناس الآخرون بالتفرج والانقسام حول نادٍ وآخر، وفريق وآخر، أن تشغل الكرة أوقات الناس وحياتهم.

أمّا الرياضة في حدّ ذاتها فهي مطلوبة، ينبغي أن نروّض أولادنا، ونقوّي أبدانهم، ونعوّدهم على ذلك، بشرط ألا يطغى حقّ على حق، ولا جانب على جانب، فالتوازن سمة الحياة الإسلاميّة، علّموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم أن يثبوا على ظهور الخيل وثبًا، هكذا ينبغي.

٧ - التّأديب والتّهذيب:

ثمّ علينا منذ أن يتمّ الابن - أو البنت - السابعة أن نعلمه الصلاة والفرائض، علينا أن نعلمه الخير، كما جاء في الحديث: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(١). بعد أن يبلغ السابعة يجب أن يؤمر أمرًا بالصلاة في هذه الحالة.

ولذلك قلنا: لا بأس أن يحتفل الأب والأم والأسرة ببلوغ الابن أو البنت السابعة، ويقال للولد: هذه سنّ الصلاة، نحن نحتفل بك في هذه السنة لبلوغك سبعًا، أنت الآن مأمور بالصلاة، قد كبرت سنّك، واشتدّ عودك.

وبعد أن يبلغ العاشرة نحتفل به مرة أخرى، نقول له: نحتفل بك اليوم، ونضربك غدًا إذا تركت الصلاة. «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر».

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣)، وصحّحه الألباني في الإرواء (٢٤٧)، عن عبد الله بن عمرو.

وانظروا كيف ترك الإسلام هذه المهلة، ثلاث سنين، لم يُطالب بالضرب من أوّل يوم، بل أعطاه مهلةً للتعليم والتدريب، والترغيب والترهيب، حتّى إذا أتمّ العاشرة كان من حقّك أن تضربه، والضرب هنا إشعار بالجدية. بعض الآباء يقول كلمة عابرة لابنه أو لبنته: صلّ يا ولد. فإذا لم يصلّ لم يصنع شيئاً، لا، لا بد أن يرى الجدّ، أن هذا الأمر لا هوادة فيه، وإلا كان الضرب، «ولن يضرب خياركم»^(١).

إنّ الأب المؤمن القويّ - أو الأمّ المؤمنة الحازمة - لن يلجأ إلى الضرب، بل الكلمة الصادقة، والنظرة الحازمة.

والقدوة الصالحة لها أثرها، ينبغي أن يُعلّم الأولاد الصلاة، كما ينبغي أن يُدرّبوا على الصيام أيضاً إذا أطاقتهم أبدانهم، وإذا أتمّوا السابعة، يمكن أن يصوم أياماً، ويفطر أياماً، حتّى يصلب عوده، ويقدر على مواصلة الصيام، ينبغي ألا يُترك حتّى يبلغ سنّ التكليف بعد الخامسة عشرة، وهو لم يتعوّد من قبل، سيصعب عليه الصيام.

إنّ الخير عادة، والشر عادة، فينبغي أن نعوّد أبناءنا على فعل الخيرات، وإقامة الصلوات، والامتناع عن الرذائل، واكتساب الفضائل، هكذا ينبغي علينا، وقد قال الشاعر:

وينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صغرٍ وليس ينفعُ عندَ الشيبةِ الأدبُ
إنّ الغصونَ إذا قوّمتها اعتدلت ولن تلينَ إذا قوّمتها الخشبُ^(٢)

(١) رواه الحاكم (١٩١/٢)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٣٠٤/٧)، كلاهما في النكاح، عن أم كلثوم بنت أبي بكر.

(٢) من شعر سابق البربري، كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

المصاحبة والمعاشة:

إنَّ على الأب، وعلى الأم كذلك - فهما شريكان - أن يُحسنا رعاية الأبناء والبنات، أن يحسنا التربية، وليست التربية بالأوامر العسكرية، وليست مجرد كلام يُقال، التربية معاشة ويقظة، وقدوة وصحبة، وانتباه إلى ما يصنع الأولاد، التربية شيء وسط بين التدليل المفسد، والقسوة المرعبة.

التدليل المفسد:

بعض الآباء يدلّلون أبنائهم، لا يردّون لهم طلبًا، إذا طلب الولد شيئًا فسرعان ما يستجيب الأب، وإذا رآه قد فسد بعد ذلك يقول: كيف فسد؟ أنا لم أرد له طلبًا، طلب سيارة فاشتريت له سيارة، وطلب أخرى بعد سنة فاشتريت له أخرى، أعطيه في يده من المال ما يريد؛ فكيف فسد؟

وأنا أقول له: أيُّها الأب الحكيم لقد أفسدت ولدك بهذا، فلا ينبغي أن تجيبه إلى كل ما يطلب، فهو صغير، ولا زال عقله محدودًا، ولا زالت تجربته قاصرة، وينبغي ألا تستجيب إلى كل رغباته وطلباته، ينبغي أن تنظر فيما يطلب: أهذا يعود عليه بالنفع أم يعود عليه بالضرر؟

لماذا يعطي الآباء أبنائهم من النقود أكثر ممّا يحتاجون، وأين ينفقون هذه النقود؟ ولماذا تساعد بعض الأمّهات أبنائها إذا أراد الأب أن يقتصد في إعطاء ولده، فهناك أمّهات مفسدات أيضًا لأبنائهن وبناتهن، لا ينبغي أن ندع المال الكثير في يد الولد، يقول أبو العتاهية:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيِّ مَفْسَدَةٍ^(١)

(١) انظر: خاص الخاص للثعالبي ص ١٠٩، تحقيق حسن الأمين، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

شباب، وفراغ، وجدة! جدة: يعني يجد المال الذي يريد، فهذه مفسدة أي مفسدة!

لماذا يركب الأولاد في المدارس الإعدادية السيارات، وهم دون سنّ الرخصة؟ ويعرف الآباء ذلك، ويساعدون أبناءهم، وتحدث الحوادث لهؤلاء الأولاد ولغيرهم، ويموت مَنْ يموت، ويُقتل مَنْ يُقتل، وتشتكي المدارس، وتشتكي الإدارات، وتشتكي وزارة التربية ممّا يحدث من الأولاد؛ أين الآباء؟ إنّ المدرسة وحدها لا يمكن أن تُعلّم التعليم المطلوب، ما لم يتعاون البيت مع المدرسة، ما لم يتعاون الأب مع المعلم، لا بد من الأمرين معًا.

القسوة المرعبة:

ليست التربية التي يريدّها الإسلام هي التّدليل الذي يفسد الأولاد، وليست هي القسوة التي تجعل الابن يخاف من أبيه، ويرتعب منه، لا، فمما جاء من حكم السلف: لاعب ابنك سبعا، وأدّبه سبعا، وآخه سبعا، ثمّ ألّق حبله على غاربه.

السبعة الأولى سنّ الملاعبة، والسبعة الثانية سنّ التأديب، أي الطابع الغالب فيها التأديب، والسبعة الثالث المؤاخاة، أي عامله كأنّه أخوك، صاحبه، اقترب منه، ثمّ بعد ذلك ألّق حبله على غاربه، فقد بلغ الرّشد، ويستطيع أن يقوم بأمر نفسه، هذه هي التربية التي يريدّها الإسلام.

يريد الإسلام من الأب أن يعين ابنه على برّه، كما قال النبي ﷺ: «رحم الله والدًا أعان ولده على برّه»^(١). أعنه على أن يبرّك، وذلك بالألّا

(١) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٥٩٢٤)، وضعّفه الألباني في الضعيفة (١٩٤٦)، عن الشعبي مرسلًا.

تطلب منه ما يعجز عنه، إذا أردت أن تُطاع فأمر بما يُستطاع، لا تُكلفه بما لا يُطيق، لا تكن حَجَرَ عَثْرَةٍ ضَدَّهُ في كلِّ شيء، لا تقهره على ما تريد أنت، كما قال عليُّ بن أبي طالب: علّموا أولادكم لزمهم لا لزمكم، فإنّهم خُلِقُوا لزمان غير زمانكم^(١). فلا تجبر ابنك على كل أوضاعك أنت، وعاداتك أنت، زِنُ الأمور بميزان الشرع، وميزان العقل، وميزان المصلحة، ولا تكن انفعاليًّا، ولا عاطفيًّا، تبصّر في الأمور، «رحم الله والدًا أعان ولده على برّه».

العدل بين الأبناء:

وممّا يُعين على البرِّ: أن تعدل بين أولادك، كما قال ﷺ: «اتّقوا الله، واعدلوا بين أولادكم»^(٢). لا تظلم البنات من أجل الذكور، ولا تظلم أولاد المرأة القديمة من أجل أولاد المرأة الجديدة، فكلهم أولادك، كلهم فلذة كبذك، فينبغي أن تنظر إليهم نظرة عادلة.

لما أراد أحد الأنصار أن يخصّ أحد أبنائه بشيء، حديقة أو نحو ذلك، فقالت له زوجته عَمْرَة بنت رواحة، أم النعمان بن بشير: اذهب إلى النبي ﷺ فأشّده على ذلك. تريد أن تؤكّد حقّ ابنها في هذه العطية، فلما ذهب إلى النبي ﷺ قال له: «أكلُ وَلَدِكَ نحلّتهم مثل هذا؟». قال: لا يا رسول الله. فقال ﷺ: «أشّده على ذلك غيري؛ فإنّي لا أشهد على جور»^(٣). لا أشهد على ظلم، ابحث لك عن أحدٍ غيري، تريد أن تخصّ

(١) انظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٦٥)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣) (١٣)، كلاهما في الهبات، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه مسلم في الهبات (١٦٢٣) (١٥)، عن النعمان بن بشير.

أحد أبنائك، وتحرم الآخرين؟! «أيسرُك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء؟». قال: نعم يا رسول الله. قال: «فسوّ بينهم في العطاء». حتّى يكونوا سواءً في البر لك، والإحسان بك، هكذا علّمنا النبي ﷺ.

ولذلك كان ممّا رُوي عن السلف: أنّهم كانوا يسوون بين أطفالهم حتّى في القبلات. أي إذا احتضن طفلاً صغيراً وقبّله: احتضن أخاه وقبّله، هذا الطفل - الذي نقول عنه: إنّهُ جاهل - يحسّ ويدرك ببصيرته وفطرته، ولذلك عليك إذا قبّلت واحداً فعليك أن تُقبّل الآخر، هذا هو العدل الذي جاء به الإسلام.

وليس عبثاً أن ذكر لنا القرآن قصّة يعقوب، وموقفه من أبنائه، وإفراده يوسف بشيء من الحبّ أكثر من إخوانه فسبّب هذا ما سبّب، وكادوا له كيّداً، فعلى الأب أن يعدل مع أولاده، وعلى الأم أن تعدل مع أبنائها وبناتها جميعاً، هذا ما يريده الإسلام منا.

هناك حقوق يجب أن تُرعى، ليس معنى الأبوة أو الأمومة أن للأب كلّ الحق، وللأمّ كلّ الحقّ، وليس للأولاد شيء من الحقّ، لا، بل للأولاد حقوق كثيرة، على الآباء والأمّهات أن يراعوها.

الوقاية من سوء المصير:

ليس يكفي أن تغذو ابنك بأحسن الطعام، وتكسوه بأجمل اللباس، وتعطيه من النفقات ما تعطي، ترعى جانبه المادي، ولا ترعى الجانب المعنوي، تهتم بدنياه، ولا تهتم بدينه، تُعلّمه حتّى يصل إلى الجامعة، وربما بعد الجامعة، يحصل على أعلى الشهادات، ويتسنّم أرقى الوظائف.

ولكن ما قيمة ذلك كله إذا كان لا يحني ظهره لله راکعاً؟ إذا كان المسجد لا يعرفه مصلياً؟ إذا كان يسهر مع أصدقاء سوء؟ إذا كان يؤخذ في حوادث السكر، وحوادث الإجرام؟ ما قيمة هذا كله؟ أن تغزو ابنك وتكسوه وتعلمه، ثم ينتهي أمره إلى النار؟ ألم تقرأوا قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًى أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]؟!

إنَّ الأبَّ الَّذِي له قلب، وإنَّ الأمَّ الَّتِي لها قلب لا يمكنهما أن يصبرا على ابن يتأذى بشوكة تصيبه، فهل تقبل أن يتلظى ابنك أو بنتك في النار؟ أين مسؤوليتكم؟ أين أبوتكم وأمومتكم؟ أين عاطفتكم؟ أين قلوبكم؟ ﴿قُوًى أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، احموا أبناءكم وبناتكم من النار، احموهم من أصدقاء السوء، احموهم من سهرات السوء، احموهم من هذه الشباك المنصوبة لهذه المنطقة.

تدمير الشباب:

هناك سماسرة عالميون يريدون أن يُدمِّروا هذه المنطقة، وكيف يُدمِّرونها؟ بتدمير الإنسان فيها، أفضل ما في هذه المنطقة ليس هو البترول، وليس هو الأرصدة، وليس هو الملايين والبلايين، أفضل ما في هذه المنطقة الثروة الإنسانية، ثروة البشر: الشباب، عُدة الغد، ذخيرة المستقبل، فإذا دُمِّرت هذه الثروة فقد دُمِّر كلُّ شيء، ولم يبق لهذه المنطقة شيء.

كيف يدمِّرون أبناء هذه المنطقة؟ بالشهوات يغزونهم بها، بالنساء، بالبنات، بالخمير، بالقمار، يذهب الشباب إلى بلاد شتّى، في الغرب وفي الشرق، كانوا قديماً يذهبون إلى الغرب وحده، فصاروا الآن يذهبون



إلى الشرق الأقصى أيضًا، رحلات وسياحات تُعدُّ لا يدري الآباء ماذا يصنع فيها الأبناء؟ ثم يأتي الشاب مُدمرًا، دُمِّرت صحته، دُمِّرت أعصابه، دُمِّرت أخلاقه، دُمِّرت معنوياته؛ سُمِّسرة الفساد والشهوات ينتظرونهم على سلاالم الطائرة، وعلى أبواب المطارات.

يا أيُّها الآباء، يا أيُّها المسؤولين، يا أيُّها الرعاة؛ كلِّم راعٍ وكلِّم مسؤول عن رعيته، إنَّ للأبناء حقًّا كما أنَّ للآباء حقًّا، فاتَّقوا الله في أبنائكم، اتَّقوا الله في بناتكم، واتَّقوا الله في أسركم، وقُّوا أنفسكم وأهليكم نارًا، وقانا الله وإيَّاكم النار.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





رعاية الطفل في الإسلام

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تُعقد الأمم المتّحدة في هذه الأيام دورة استثنائية بشأن الطفل والطفولة، ونحن باعتبارنا مسلمين نُرحّب بكل ما يرفع شأن الطفل، ويهيئ له الحياة الطيبة السوية، ويُنشئه النشأة السليمة.

اختيار الأم الصالحة:

عُنِي ديننا بالطفولة وبالطفل، عُنِي بالطفل من قبل أن يولد، بل من قبل الزواج، نصح النبي ﷺ الذين يريدون الزواج فقال: «تَخَيَّرُوا لِنَظْفِكُمْ»^(١). ابحث عن المعدن الطيب، فلا شك أنَّ عوامل الوراثة والبيئة لها أثرها في أطفالك وفي أولادك، كما قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]. ابحث عن المعدن الطيب، وإيّاك وخضراء الدمن: المرأة الحسناء في المنبت السوء.

(١) سبق تخريجه ص ١١٠.

يريد الإسلام من المسلم أن يتخير لنطفته الأمّ الصالحة، وقال الشاعر قديماً يُمْنٌ على أولاده:

وأوّلُ إحساني إليكم تَخَيَّرِي لِمَا جَدَّ الْأَعْرَاقِ بَادٍ عَفَافُهَا^(١)

أوّل ما أحسنت إليكم أني اخترت لكم أمّا صالحة، فهذا من إحسان الإسلام بالطفولة قبل أن تُولد الطفولة.

رعاية الحامل:

ثم هناك عناية بالحمل قبل أن يُولد، فقد جعل الله تعالى عدة الحامل وضع الحمل، إذا طُلِّقَت المرأة وهي حامل، حتّى لو كانت في أيامها الأولى؛ فإن عدتها أن تضع حملها، حتّى لو استمر تسعة أشهر أو أكثر، كما قال تعالى: ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. أي أنّ المرأة ما دامت حاملاً يبقى لها ارتباط بزوجها، يظل لها حق النفقة في العدة، وحق الميراث من زوجها إذا مات وهي في العدة، وهو يرثها كذلك إذا ماتت وهي تقضي عدتها، فعلى الرجل في هذه الحالة أن ينفق على المرأة حتّى تضع حملها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

تحريم الإسلام الإجهاض:

هذا الحمل له اعتبار، وله قيمة، ولا يجوز الاعتداء عليه بأيّ حال، حتّى ولو كان في أيامه الأولى، هناك من الفقهاء مَنْ أجاز الإجهاض لعذر من الأعذار في الأربعين الأولى، أمّا بعد ذلك فلا.

(١) نسبه الماوردي للرياشي في أدب الدنيا والدين ص ١٥٨.

والأصل أن الإجهاض لا يجوز بحال، حتّى ولو كان هذا الحمل، أو هذا الجنين قد تكوّن من عمل حرام، إذا تكوّن الجنين من الزنى لا يجوز إسقاطه، وهذا ما عرفناه من حديث الغامدية الذي ورد في الصحيح: أن المرأة التي زنت، وجاءت تطلب من النبي ﷺ أن يقيم عليها الحد، وهي حُبلى من الزنى، فرفض النبي ﷺ أن يقيم عليها الحد، وقال لها: «أذهبي حتّى تلدي»^(١). أي إذا كان لنا سبيل عليك، فليس لنا سبيل على ما في بطنك، صحيح أنه من حرام، ولكنه لا يتحمّل وزر أبويه، ﴿وَلَا نَزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، لا تُحمّل العدالة الإلهية هذا الجنين ذنب أمه وأبيه، ولذلك قال لها: «أذهبي حتّى تلدي». فهذا يدلّنا على حرمة الإنسان الجنين، ولو جاء من كبيرة الزنى.

إباحة الغرب الإجهاض:

لكن الوثائق الدوليّة التي تتبناها الأمم المتّحدة تتبنّى إباحة الإجهاض، وفتح الطريق للإجهاض، ذلك لأنّهم يبيحون الزنى، الحضارة الغربية تقوم للأسف على فلسفتين أساسيتين:

الأولى: المادية في الفكر؛ فهي لا تقيم لله تعالى، ولا للآخرة، ولا للعالم الروحي أيّ اعتبار ولا وزن.

والثانية: الإباحيّة في السلوك؛ فهي تبيح العلاقات الزوجيّة بين الذكر والأنثى بلا ضابط، ولا رابط.

(١) إشارة إلى حديث: جاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إنّي قد زنيت فطهّرني، وأنّه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لم تردني؟ رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

والعجيب أنهم يقولون: إنها حضارة مسيحية. والمسيح منها براء؛ المسيح يقول في إنجيله: قد كان مَنْ كان قبلكم يقولون: لا تزني. وأنا أقول لكم: مَنْ نظر بعينه فقد زنى^(١). هذا كلام المسيح ﷺ! «العينان تزنيان، وزناهما النظر»^(٢)، كما قال محمد ﷺ. فهما يصدران من مشكاة واحدة.

ولكن الحضارة الغربية تتبنى الإباحية في السلوك، ولذلك أباحت الزنى بإطلاق، وما دام الزنى مباحاً فلا بد أن يكون من ورائه الحمل غير المشروع، وهم يريدون أن يتخلصوا من هذا الحمل، لأنه لا يوجد أحد يتحمل نفقاته، ولا المسؤولية عن تربيته، فأقرب شيء إليهم أن يتخلصوا منه، ولا يبالون بالاعتداء على روح، وعلى حياة إنسانية في سبيل الغرائز والشهوات.

الوثائق الدولية - مثل وثيقة مؤتمر السكان الذي عُقد في القاهرة سنة ١٩٩٤م - كانت تتبنى إباحة الإجهاض، ولا زالوا إلى اليوم يتبنون إباحة الإجهاض، وقد وقف الأزهر في مصر، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، والجمهورية الإسلامية في إيران، وقفوا جنباً إلى جنب مع الكنيسة المسيحية، مع الفاتيكان في مقاومة هذه الفلسفة، التي تقوم على إباحة الإجهاض، وعلى الإباحية بصورة عامة، فالإسلام اهتم بالطفولة حتى في أثناء الحمل.

العناية بالمولود:

ثم اهتم الإسلام بالطفولة بعد الولادة، إذا وُلِدَ الطفل كانت له حقوق، وتعلّقت به أحكام، ضمّنها الإمام ابن القيم كتاباً سمّاه (تحفة

(١) إنجيل متى (٢٨/٥ - ٢٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣)، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، عن أبي هريرة. بلفظ: «فزنى العينين النظر».

المودود في أحكام المولود)، أن يُسمَّى اسمًا حسنًا، وأن يُحلق شعره ويُتصدق بوزنه ذهبًا أو فضّة، وأن يُعقَّ عنه: تُذبح عنه ذبيحة تُسمى العقيقة، شكرًا لله تعالى، وإشاعة للفرحة، ومساعدة للفقراء بهذه المناسبة، إلى آخر الأحكام المتعلقة بالمولود.

تحريم وأد الأنثى:

لم يكن أهل الجاهليّة يُرحّبون بالمولود في أحيان كثيرة، خصوصًا إذا كان أنثى، إذا كان أنثى فهو عندهم بلوى ومصيبة ابتلوا بها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۚ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

يعتبر ولادة الأنثى مصيبة وكارثة، ثم يفكر: هل يتركها ويصبر على الذلّ والهوان، ويقبل الواقع على مرارة، وعلى مَضَض؛ أم يتخلّص من هذه المصيبة، ويدفنها ويدسها في التراب؟ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، لأنّه حكم غير عادل، فرّق بين الذكر والأنثى بغير حقّ، كلاهما من خلق الله، وكلاهما جزء من الأبوين؛ فلماذا يقبل هذا، ويرفض ذاك؟ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وكثيرًا ما كانت النتيجة أن ينتصر الاتجاه الثاني: ﴿يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾، يقتله بيده، الأب الذي يفترض أن يحمي ولده، وأن يفديه بروحه، وأن يجوع ليشبع: يقتل ولده! ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

تحريم قتل الأولاد:

وكثيرًا ما كان يُقتل الذكور، فالبنت يُقتلن خشية العار، والذكور والإناث يُقتلون جميعًا من الإملاق الواقع، أو الإملاق المتوقع،

والإملاق هو الفقر، إذا كان الفقر واقعاً يقول: هذا المولود سيزيد علينا المصيبة، فلنتخلص منه. وأحياناً يكون الفقر مُتَخَوِّفاً، فيقول: هذا المولود سيُضَيِّق علينا في المستقبل، فلنتخلص منه.

وقد نهى القرآن عن هذا وذاك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. فيكفي الإسلام فخراً أنه حمى الطفولة من جريمة الوأد.

القول بتحريم العزل:

بل هناك من العلماء مَنْ حرَّم العزل: أن يعزل الرجل عن امرأته، عندما يشعر بالمني يوشك أن ينزل يعزل عنها، حتَّى يقذفه في الخارج، هذا يُسمَّى العزل، أكثر العلماء أجازوه لأعذار معيَّنة، وبعضهم منعه وحرَّمه، واستدلوا بحديث: «هو الوأد الخفي»^(١). اعتبروا هذا العزل وأداً؛ انظروا هذا احترام لمشروع إنسان، يمكن أن يكون منه إنسان، وهذا من عظمة هذا الدين.

الغذاء المادي للطفل:

ثمَّ إذا وُلِدَ المولود كان من واجب أسرته - أبيه وأمه - العناية به، وتوفير كل ما يلزم له، وأهم ما يلزم له الرضاع والغذاء المادي، لا بدَّ من الرضاع الطبيعي للطفل، كثير من الأمهات في عصرنا تخلَّين عن إرضاع أطفالهنَّ، والقرآن يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قال هذا في شأن الوالدات المُطَلَّقات؛ خشية أن تكايد المرأة زوجها

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٤٢)، وأحمد (٢٧٤٤٧)، عن جدامة بنت وهب.

المُطْلَق، فتنقم منه في ولدها وفلذة كبدها، وتحرمه من ثدييها، فقال القرآن في سياق الطلاق: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. إلى آخر الآخر الآية الكريمة، التي فصل القرآن فيها أحكام الإرضاع، عناية من الله تعالى بهذا المخلوق الضعيف، بالطفل الذي وُلِدَ وليس له سنٌّ تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى، فلا بدَّ من العناية بإرضاع الطفل، والعمل على توفير الغذاء المادّي له.

الغذاء العاطفي للطفل:

ثم لا بدَّ أن يكون للطفل حقُّه من الغذاء العاطفي أيضًا؛ فليس الطفل في حاجة إلى أن يأكل ويشرب فقط، بل في حاجة إلى الحنان، إلى الرعاية العاطفية من أبيه وأمه.

ولذلك لمَّا دخل أحد الأعراب من زعماء القبائل على النبي ﷺ وجده يُقبِّل أحد أحفاده - الحسن، أو الحسين - فقال: أوتقبّلون أولادكم؟! والله إنَّ لي عشرة من الولد ما قبّلت واحدًا منهم. فقال ﷺ: «أوأملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟»^(١) وفي رواية قال له: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٢). حتّى أولادك لا ترحمهم، ولا تعطف عليهم؟ كأنهم يرون أن تقبيل الأطفال لا يليق بالزعامة البدويّة، ولكن محمّدًا ﷺ علّمهم أن ذلك من مكارم الأخلاق، وأنَّ هذا من الأبوة الراعية، وأنَّ الطفل في حاجة إلى القبلة من أبيه، والقبلة من أمّه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

حضانة الطفل:

ومن أجل العناية العاطفية بالطفل أعطى الإسلام للأمهات حقَّ الحضانة، إذا طُلِّقت المرأة من زوجها؛ فَمَنْ أَحَقُّ بحضانة الطفل؟ إنها الأم. جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تشكو إليه، وتقول: يا رسول الله، إنَّ ابني هذا كان بطني له وعاء، وكان ثديي له سقاء، وكان حجري له حواء، ثمَّ يريد أبوه الآن أن ينتزعه مني وقد طَلَّقني. فقال ﷺ: «أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي»^(١). أي: ما لم تتزوَّجي، فالمرأةُ أَحَقُّ بحضانة الطفل من أبيه.

وكذلك قرابة الأم أَحَقُّ بالحضانة من قرابة الأب، فإذا وجدت أم الأم، وأم الأب تكون الأولوية في الحضانة لأم الأم، وكذلك تكون الأولوية للخالة من العمَّة، لأنَّ العاطفة والحنان في الأم وقرابتها أقوى، والطفل في حاجة إلى هذه العاطفة، وإلى هذا الحنان، وهكذا عُنِيَ الإسلام بغذاء الطفل المادي، وغذائه العاطفي، وقرَّر أحكامًا كثيرة في هذه الناحية.

العناية بالطفولة الضعيفة:

ثم من ناحية أخرى عُنِيَ الإسلام بالطفولة الضعيفة، نحن نعرف أنَّ الطفولة ضعف، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. فهناك ضعفان بينهما قُوَّة: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، وبينهما مرحلة القُوَّة، مرحلة الشباب، فالطفولة بطبيعتها ضعيفة.

(١) رواه أحمد (٦٧٠٧)، وقال مخرَّجوه: حسن. وأبو داود (٢٢٧٦)، والحاكم (٢٠٧/٢)، كلاهما في الطلاق. وصحَّحه الحاكم، وأقره الذهبي، وابن الملقن في البدر المنير (٣١٧/٨)، عن عبد الله بن عمرو.

ولكن قد يُضاف إلى ضعف الطفولة ضعف آخر، كما إذا كان الطفل معوقاً بدنياً أو عقلياً، فهو يحتاج إلى رعاية أكثر من أبويه، ومن المجتمع كله، «ارحموا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(١)، رحمة الضعفاء، جاء الإسلام بالعناية بالضعفاء، بكل ضعيف.

التَّحذِيرُ مِنْ قَهْرِ الْيَتِيمِ:

وقد يكون هناك ضعف آخر ناتج عن فقد الأب، وهذا هو الطفل اليتيم الذي فقد أباه في صغره، فقد الكاسب له، والناصر له، والحامي له، ولهذا كانت العناية بنفسية هذا الطفل، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، لا يجوز أن يُقهر بالكلام، أو بالفعل، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣]، الكافر الذي لا إيمان له، لا يؤمن بالآخرة ولا بالحساب ولا بشيء، إذا أردت أن تعرفه ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، يدفعه بعنف ويقهره، يذل شخصيته.

لا يريد الإسلام إذلال هذه الشخصية اليتيمة، فإنَّ هذا الإذلال تترتب عليه أخطار كبيرة، على هذا الطفل، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع كله، لأنَّه إذا كان من النوع الذي قُهر وأذلَّ في صغره، وحُطِّمت شخصيته؛ فإنه سينتقم من المجتمع كبيراً، أذلَّ صغيراً، فيريد أن ينتقم لنفسه كبيراً، فالمجتمع يصنع أعداءه بيديه إذا أذلَّ اليتامى، ولذلك كان إكرام اليتيم من أهم ما شرعه الإسلام، ولهذا عاب الإسلام على المجتمع الجاهلي

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

عدم إكرام اليتيم: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

رعاية اليتيم:

وجعل الإسلام كفالة اليتيم من أعظم الأعمال، كما قال نبينا محمد ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين». وأشار بالسبابة والوسطى^(١).

ما معنى كفالة اليتيم؟ أن تكون له أباً بعد أبيه، ترعاه مالياً، وترعاه نفسياً أيضاً، فرعاية اليتيم تكون من الناحية النفسية، كما تكون من ناحية رعاية ماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. وكما قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢، الإسراء: ٣٤].

العناية باللقيط:

وهناك نوع آخر من الأطفال عُني به الفقه الإسلامي، في كل كتب الفقه الإسلامي باب يسمّى (باب اللقيط)، الطفل الذي لا يُعرف له أب ولا أم، قد يجده الناس في الطريق، أو في السوق، أو عند باب الجامع، هو ثمرة في الغالب لجريمة ارتكبتها اثنان: رجل وامرأة، ثمّ تخلّيا عن هذه الثمرة، ولكن الإسلام لم يتخلّ عن هذا الطفل.

جاء رجل اسمه أبو جميلة بلقيط إلى سيدنا عمر، وقال عريفه لعمر: يا أمير المؤمنين هذا رجل صالح. قال: أهو رجل صالح؟ قال: نعم. قال:

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، وأحمد (٢٢٨٢٠)، عن سهل بن سعد.

فخذ هذا الطفل، وهو حر، ولك ولاؤه، وعلينا نفقته^(١). أي: إن بيت المال - خزانة الدولة - هي التي تتكفل بنفقة هذا اللقيط، الرجل يرعاه، وعلى الدولة أن تعطيه من المال ما يكفيه من النفقة عليه.

ابن السبيل:

وقال بعض العلماء: إنَّ اللقيط هو أولى الأصناف أن يكون من ابن السبيل^(٢). نحن نعلم أنَّ القرآن - مكِّيَّه ومدنيَّه - عُنِيَ بأبناء السبيل ضمن مَنْ عُنِيَ بهم، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنُ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧، البقرة: ٢١٥، الأنفال: ٤١]، ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنُ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: ٣٦]؛ فَمَنْ هو ابن السبيل؟ المُشَرَّدون هم أبناء سبيل، وهذا اللقيط أيضًا ابن سبيل، ابن الطريق؛ لأن الطريق أمه وأبوه، لا يُعرف له أم ولا أب، فمن أجل هذا يجب أن يُرعى هذا اللقيط.

التربية المتكاملة للطفل:

وقد عُنِيَ الإسلام بتربية الطفولة، ينبغي أن يُربَّى الطفل تربية متكاملة، بحيث يُعطى حَقُّه في اللعب واللهو، لا يجوز أن تُفرض الحياة الجادَّة على الطفل من صغره؛ فإن عند الطفل طاقة هائلة لا يستطيع أن يُصرِّفها إلا في اللعب، ولذلك كان اللعب غريزة، وفطرة فطره الله عليها؛ فلنُتِّح له الفرصة ليلعب ويلهو مع إخوانه، أو بما اخترع النَّاس الآن من لعب صناعية، أو غير ذلك.

(١) علَّقه البخاري في الشهادات قبل الحديث (٢٦٦٢) قال: وقال أبو جميلة.... ورواه مالك في الأفضية (٢٧٣٣)، تحقيق الأعظمي، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٨٧٠).

(٢) تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا (٩٤/٥)، نشر دار المنار، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

بل على أبيه وأمه وإخوانه الكبار: أن يلاعبوه ويداعبوه، فقد كان رسول الله ﷺ وهو يحمل هموم الدعوة، وهموم الدولة، وهموم الأمة: يلاعب الأطفال، ويداعبهم، ويركبهم على ظهره، ويقول لابن أبي طلحة: «يا أبا عُمَيْر، ما فعل التُّغَيْر؟»^(١) والتُّغَيْر: طائر صغير، مثل العصفور، كان عنده ومات، وانظروا؛ أعطاه هذه الكنية: «يا أبا عُمَيْر»، هذا طفل صغير، ولكنّه كنّاه، وهذا أيضاً من الملاطفة والمؤانسة، «يا أبا عُمَيْر ما فعل التُّغَيْر؟». هكذا نبئنا مُحَمَّد ﷺ، فيجب أن نلاعب الأطفال، وأن نتيح لهم الفرصة في اللعب، فهذا من التربية المهمّة.

وبجوار هذا اللعب نؤدّبهم أيضاً، إذا أخطأ نقول: هذا خطأ، هذا لا يجوز، هذا حلال، وهذا حرام. نُعرّفه هذه الأفكار من أول الأمر، والنبى ﷺ يقول: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(٢).

وليس معنى الضرب أن تُمسك بسوط أو بخشبة، وتكسر دماغ الولد، وتقول: الدين أمرني أن أضربه. لا؛ فالأمر كما قال النبى ﷺ للخادمة وقد أغضبتة: «والله لولا خشية القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السَّوَاك»^(٣). فالمقصود أن تُشعره بالجديّة إذا أمرته بالصلاة، ثمّ مرّت ثلاث سنوات - من سنّ السابعة إلى سنّ العاشرة - ولم يفعل، فلا بد أن تُشعره بأنّ الأمر جدّ، هذا هو المقصود بقوله: «واضربوهم عليها وهم أبناء عشر». هذا ما يريده الإسلام في تربية الأطفال.

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٢٩)، ومسلم في كتاب الآداب (٣١٥٠) عن أنس.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٧.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجوّد إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.



موقف الأمم المتحدة من الطفل:

لكن الأمم المتحدة في وثائقها، تريد للآباء ألا يكون لهم حق تربية أبنائهم، وأن يُترك لهم الحبل على الغارب، وأن يُطلق لهم العنان ليفعلوا ما يشاؤون، ولا يجوز أن تُفرض عليهم التربية الجنسية، ولا يجوز لأب أن يتدخل في حياة ابنه أو ابنته، ولو كانا صغيرين، هذه هي فلسفة الإباحية التي تريدها الأمم المتحدة.

ولذلك أنا أحذر الأمم والشعوب والدول الإسلامية، ممّا تحمله هذه الوثائق من سموم، لنا أن نأخذ خيرها، وعلينا أن ندع شرّها، إنّها تريد أن تنتزع سلطة الأبوة والأمومة في تربية الأولاد، وهذا أمر لا يجوز، تريد أن تعطي الأولاد الحرية المطلقة في أن يفعلوا ما يشاؤون، حتّى في الشذوذ الجنسي، وهذا أمر لا نقبله؛ فنحن أمّة لها دينها، لا نريد باسم (العولمة) أن يُفرض علينا ما يضاد ديننا، لا، لا يمكن أن نبيع ديننا بملك المشرق والمغرب، لتذهب (العولمة) إلى الجحيم، وليذهب دعائها إلى سقر وبئس المصير، لكن نحن نتمسك بديننا، بهويّتنا، بخصائصنا العقديّة والفكريّة والسلوكيّة، فنحن خير أمّة أخرجت للناس، نحن الأمّة الوسط.

ماذا نريد من الأمم المتحدة؟

نريد من الغرب، نريد من أوروبا ومن أمريكا، ومن أستراليا، ومن غيرها أن يتعلموا عندنا، أن يجلسوا عندنا ليتلمذوا على مائدة مُحَمَّد ﷺ، وعلى مائدة القرآن الكريم؛ ففيه الصراط المستقيم، وفيه المنهج الراشد الذي مَنْ اتبعه فقد اعتدى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَقَدْ ضَلَّ

وغوى، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ *
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى *
 قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ
 الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿طه: ١٢٣ - ١٢٦﴾.

الطفولة المستضعفة والمُعذَّبة:

نريد من الأمم المتحدة - وقد عقدت للطفل دورتها - أن تُعنى بأطفال العالم الثالث، عالم الفقراء، العالم الذي نُهبت خيراته، نهبه المستعمرون وتركوه متخلفاً، صنعوا حضارتهم، وأقاموا عمرانهم من جماجم هذا العالم الثالث، وزخرفوه بدماء أبنائه، وعجنوه بعرقهم، نريد من الأمم المتحدة أن تردَّ إلى هذا العالم بعض الديون التي عليها، فتهتم بأطفاله الجياع الضائعين، الذين نراهم على شاشات التلفاز جلداً على عظم، هياكل عظمية، كأنما أخرجت للتو من القبور، ليس فيها حياة، ولا دماء، ولا لحوم.

نريد من الأمم المتحدة أن تُعنى بأطفال الفقراء، وأن تخصص لهم من الأموال ما يكفي لسدَّ جوعاتهم، وستر عوراتهم، وإتاحة الفرصة لهم ليتعلَّموا دون ضغط عليهم، ودون تأثير على عقائدهم.

ونريد كذلك من الأمم المتحدة أن تراعي أطفال المستضعفين في الأرض، الذين يُذَبِّحون ويُبادون على أيدي الجبابرة السفاحين في فلسطين، وفي كشمير، وفي باكستان، وفي الشيشان، وفي كثير من البلاد، وللأسف معظمها أو كلها من بلاد المسلمين، هؤلاء الأطفال الذين يُقتلون في أرض النبوات، في أرض الإسراء والمعراج؛ أين الأمم المتحدة ممَّا يجري لهم؟ لماذا لا ترعى هذه الطفولة المُعذَّبة بغير الحق؟



ونريد من الأمم أن تكفَّ يدها عن التدخل في خصوصيات الأمم،
 فلكل أمة حقُّها في أن تحيا وفق عقائدها وشرائعها، وقيمها الأخلاقية
 والحضارية، ولا يجوز أن تُلغى خصوصيات الأمم؛ إذا كانت للحضارة
 الغربية خصوصيتها، وفلسفتها، فهناك أمم لها فلسفات مخالفة، ولها قيم
 مخالفة، ولها هُويّات مُميّزة، فلا يجوز أن تُلغى هُويّات الأمم، ولا أن
 تُلغى عقائدها وشرائعها، وقيمها الفلسفية والإيمانية والحضارية
 والأخلاقية، هذا ما نريده من الأمم المُتّحدة في دورتها هذه.

ونسأل الله أن يوفّق الذين ذهبوا إلى هذه الدورات من العالم العربي،
 والعالم الإسلامي إلى الرؤية الصحيحة، التي تلتزم بالإسلام قبل كل
 شيء، بالإسلام منهجاً وطريقاً، وهو طريق الخير، وطريق الحق، وطريق
 النور، وطريق السعادة في الدنيا والآخرة، اللهم اهدنا الصراط المستقيم،
 ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو
 الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الطفولة المَعْوَقَة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

بمناسبة اليوم العالمي للطفولة، وبمناسبة ما كتب على لسان ابنة صغيرة مُعَوَّقَة (مريم) أوَّل من أَمَس في صحيفة «الراية» القطريَّة، بهاتين المناسبتين أحَدُكُم عن عناية الإسلام بالطفولة، وخصوصًا الطفولة المعوقة.

عُني الإسلام بالإنسان من حيث هو إنسان، وكان للجانب الإنساني مساحة هائلة في تعاليم هذا الدين وأحكامه وأدبيَّاته.

وأعظم مَنْ عُني به الإسلام: الضعفاء من النَّاس، والطفولةُ ضعف، والعَوَقُ ضعف، الله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. فالطفولة ضعفٌ، والشيخوخة ضعفٌ، والشباب مرحلة القوة بين ضعفين.

عُني الإسلام بالطفل، بل عُني الإسلام بالجنين في بطن أمِّه قبل أن يولد طفلًا:

١ - فلم يُجزر للأُم أن تجهض نفسها بغير ضرورة.

٢ - ولم يُجز إقامة الحدّ على المرأة القاتلة، أو المرأة الزانية إذا ثبت زناها. جاءت المرأة الغامدية إلى النبي ﷺ تُقرّ على نفسها بأنّها زنت، وأنّها حُبلى من الزنى، فلم يُقم عليها النبي ﷺ الحدّ، وقال لها: «اذهبي حتّى تلدي». وذهبت المرأة أشهرًا حتّى وضعت طفلها، وجاءت به على يديها تريد أن تُرجم، وأن تتطهر من الفاحشة التي ارتكبتها، فقال لها: «اذهبي فأرضعيه حتّى تَفْطِميهِ»^(١).

معنى هذا أنّ للجنين حقًا في الحياة؛ وإنّ جاء من طريق حرام، فبمجرّد علوق الحمل يصبح هناك: «مشروع إنسان» لا ينبغي أن يُعتدى عليه. وإذا كان للشرع سبيل على الجانية، فليس له سبيل على ما في بطنها، ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

٣ - شرع الإسلام للمرأة الحامل أن تُفطر إذا خافت على حملها؛ بل يجب عليها ذلك، إذا تأكّدت أنّ الحمل أو الجنين سيتضرّر بالصيام.

٤ - فإذا ولدت فللطفل حقوق، وتتعلّق به أحكام، جمعها العلامة ابن القيم في كتاب سمّاه «تحفة المودود في أحكام المولود» منها:

أ - أن تؤدّن في أذنه اليمنى.

ب - تُحسن تسميته.

ج - تذبح عنه، أو تعقّ عنه في اليوم السابع لميلاده.

د - على الأمّ أن تُرضعه وإنّ كانت مُطلّقة، وفي هذا نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: الوالدات المُطلّقات، لا ينبغي أن تُكايد المُطلّقة زوجها المُطلّق بإهمال

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحَصِيب.

ولدها ورضيعها: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الأب ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّرُ وَلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] إلى آخر ما فصلت فيه الآية الكريمة في شأن إرضاع هذا الطفل الصغير، حتّى لا يضيع بين زوجين مختلفين.

هذه رحمة وعناية من الله تبارك وتعالى لهذا المخلوق الصغير؛ فإنّ له حقوقاً على أبويه ينبغي أن يراها.

هـ - ينبغي أن ينفق الوالد على هذا الطفل.

و - ينبغي أن يرعاه منذ صغره: يداعبه، ويلعبه، كما قال بعض السلف: لَاعِبْ ابْنَكَ سَبْعًا، وَأَدِّبْهُ سَبْعًا، وَآخِجْهُ سَبْعًا، ثُمَّ أَلْقِ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ.

(لاعب ابنك سبعا): السنوات السبع الأولى تغلب فيها المداعبة والملاعبة. الله ﷻ أعطى الطفل طاقة، فيمّ يصرف هذه الطاقة؟ في اللعب، يتحرّك هنا وهناك، ينبغي أن يُساعد على أن يلعب، وأن يُلعب معه. الأب الكبير ينبغي أن ينزل إلى عقليّة الطفل الصغير ليلعب معه ويداعبه. هكذا كان سيد الخلق وخاتم الرُّسل مُحَمَّدٌ ﷺ، كان يداعب الحسن والحسين، وأبناء الصحابة رضوان الله عليهم.

ركب الحسن أو الحسين مرّة على ظهره وهو يصلي، وهو ساجد بين يدي ربّه، فأطال السجود وأطال؛ حتّى ظنّ الصحابة الظنون: أغمي على رسول الله؟ أتوفي؟ أجاهه الأجل؟ ثمّ قام من سجده وأكمل الصلاة وسلّم، فسأله: يا رسول الله، أطلت بنا السجود حتّى ظننا ما ظننا، فقال لهم: «إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ»^(١). «إِنَّ ابْنِي»، أي حفيدي،

(١) سبق تخريجه ص ١١٤.

«ارتحلني»، جعلني راحلة، «فكرهتُ أن أُعجله»، أي فلم أشأ أن أقطع عليه لذة اللعب. كان يمكن أن يعمل حركة توقعه من فوق ظهره، لكنه لم يشأ أن يؤذي الطفل، وتركه يستمتع بهذا الأمر حتى شبع وملّ ونزل. هكذا كان ﷺ.

ودخل عليه بعض الصحابة والحسن والحسين يركبان على ظهره، فقال الصحابيُّ الذي دخل بيت الرسول: نِعْم المركبُ ركبتما! فقال النبي ﷺ: «ونِعْم الفارسان هما»^(١)!

انظروا: هذه هي الفطرة السليمة، هذه هي التربية السويّة، أن تُلاعب الطفل وتداعبه.

دخل النبي ﷺ بيت أمّ سُليم: بيت أبي طلحة الأنصاري، وكان لهما طفل صغير، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا عُمير، ما فعل النُّغير؟»^(٢). النُّغير: طائر كالعصفور كان عنده، وكان يلعب به، ثمّ مات. فالنبيُّ ﷺ يداعب الطفل، وجعل له هذه الكُنْية، كنّاه، والكُنْية تكون للكبار، قال له: «يا أبا عُمير، ما فعل النُّغير؟» ماذا فعل طائرُك؟

هذه هي التربية النبويّة.

دخل الأقرع بن حابس التميمي - وهو زعيم قبيلته - فوجد النبي ﷺ يقبل الحسن أو الحسين؛ فقال: يا رسولَ الله، إنّ لي عشرة من الولد ما قبّلت أحداً منهم قطّ. فقال ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم»^(٣).

(١) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠)، كلاهما في الأدب، عن أنس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

إذا كنت لا ترحم طفلك؛ فإنَّ رحمة الله لا تستحقُّها، «الراحمون يرحمهم الرحمن»^(١).

وروت عائشة رضي الله عنها أنَّ أحد الأعراب دخل على النبي ﷺ؛ فقال له: إنكم تقبلون الأطفال وما نقبلهم! فقال ﷺ: «أوأمك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟»^(٢) ماذا أصنع لك وماذا أمك لك عند الله إذا كانت الرحمة قد نُزعت من قلبك، حتَّى على أولادك وفلذات كبذك؟ أطفالك من صُلبك لا ترحمهم؟ ماذا أمك لك؟!

هكذا تكون التربيّة والعناية بالطفولة.

بعض النَّاس يظنُّون أنَّ عليهم أن يُنجبوا أولادًا، ولا يسأل عن ولده، ولا عن طفله. يخرج من أوّل النهار ويأتي آخر الليل لينام، ولا يعرف شيئًا عن الأولاد: لا يُداعبهم، لا يُلاعبهم، لا يسأل عمّا يحتاجون إليه.

يذهبون إلى المدرسة ولا يعرف: طفله في أيِّ صفٍّ في المدرسة؟ نجح أم رسب؟ ما حالته؟

مجالس الآباء في المدارس تدعو الآباء ليحضروا في هذه المدارس؛ ليعرفوا مشكلات أولادهم في المدرسة، فلا يحضرون. أين الأبوة الراعية؟

النبي ﷺ يقول: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته...»^(٣).

(١) سبق تخريجه ص ١٣٣، وفيه: «ارحموا من في الأرض...».

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

وبعضهم يقول: أنا آتية بالطعام والشراب والكسوة، وما يحتاج إليه، وعنده السيارة والسائق ليوصله، وهناك الخادمة في البيت، ويظن أنه بهذا قد أدى ما عليه.

وبعض الأمّهات لا تهتمّ بأطفالها، وتركهم للخادمة الهنديّة والفلبينيّة أو غيرها، وليس هذا من الإسلام في شيء.

أين الأبوة الراعية؟ أين الأمومة الحانية؟ أين المسؤولية؟!

هؤلاء أمانة في أعناقنا، هؤلاء مستقبلنا. إذا أردت أن تعرف كيف يكون المستقبل؟ فاعرف: كيف تكون تربية الأطفال منذ نعومة الأظفار؟

الطفل عجيبة ليّنة، يتشكّل بما يشكّله المحيط من حوله، والبيئة من حوله، وخصوصًا الأبوين، كما جاء في الحديث: «كلُّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يُنصرّانه، أو يُمجّسانه»^(١)، الأبوان هما اللذان يصنعان سلوك الأولاد، فقد يهملانهم فيضيعون، وقد يعتنيان بهم فيصبحون أولادًا محترمين عند الناس، محبوبين عند الله.

تربية الأطفال مسؤولية كبيرة، فلا بدّ أن نحسن تربية أطفالنا.

ولذلك جاء في الحديث: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»^(٢). إذا بلغ الطفل سنّ السابعة أصبح

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وصحّحه

الألباني في إرواء الغليل (٢٩٨)، عن عبد الله بن عمرو.

قابلاً للتعليم، فعلمه الصلاة، ورغبه في الصلاة، وحبب إليه الصلاة حتى ينشأ على الطاعة، فالخير عادة، والشر عادة.

وينشأ ناشئُ الفتيانِ منّا على ما كان عودُهُ أبوه^(١)

عود ابنك الخير وهو في هذه السنّ القابلة للتعود والتعلم، كما قال الشاعر:

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صغرٍ وليس ينفعُ عندَ الشَّيْبَةِ الأدبُ
إنَّ الغصونَ إذا قوِّمَتْها اعتدلتْ ولا تلينُ إذا قوِّمَتْها الخشبُ^(٢)

الغصن اللين الطريّ تُعدّله فيعتدل، تُقوّمه فيستقيم، يلين لك. ولكن بعد أن يصبح خشباً لا ينفع فيه إلّا الكسر. النَّاس يقولون: (بعدما شاب، ودّوه الكتاب)!

قال أحد الحكماء: «التعليم في الصّغر كالنقش على الحجر». فقل له: إنّ الكبير أوفر عقلاً. قال: ولكنّه أكثر شغلاً!

الطفل قابل للتعلّم، وكما قال الإمام الشافعي:
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذُلَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طَوْلَ حَيَاتِهِ^(٣)
فعلم ابنك في الصّغر، علّمه الدين، علّمه الأخلاق، علّمه الصدق، علّمه بالأسوة الحسنة.

(١) لأبي العلاء المعري، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين الخانجي، نشر مكتبة الخانجي.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١).

(٣) ديوان الإمام الشافعي ص ٤١، شرح نعيم زرزور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.

التعليم ليس بكثرة الكلام، والتربية ليست بإصدار الأوامر، التربية قدوة، بأن يرى فيك الأسوة الحسنة. قد تقول لابنك: لا تدخن، ولكنه يراك تدخن، وتسرف في التدخين، فهو يريد أن يقلدك ولو من ورائك، ولو بدون أن تراه. القدوة هي المؤثرة، لسان الحال أفصح من لسان المقال.

علم أولادك، مژهم بالخيرات، رغبهم فيها، كافئهم عليها، حاول أن تجعل من ابنك إنساناً فاضلاً. هذه مسؤولية الأب والأم قبل غيرهما.

صحيح أنه في عصرنا لم يعد الأب ولا الأم وحدهما هما المؤثرين في الطفل، دخلت هناك أشياء كثيرة مؤثرة ولعلها أشد تأثيراً مثل: التلفزيون، والإذاعة، والصحافة، والشارع، والتقاليد العامة، كلها تؤثر. ولكن الأسرة هي المحضن الأول، الأسرة هي المعلم الأول، فينبغي أن تهتم الأسرة (الأب والأم)، وكما قال شاعر النيل:

الأم مدرسة إذا أعدتها أعدت شعباً طيب الأعراق^(١)!

لا بد أن يتعاون الجميع على حسن تربية الأطفال تربية سليمة.

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»^(٢). وأنا أقول: يمكن أن نحتفل بالأطفال في هذه المناسبات، أي إذا بلغ الطفل سبع سنين: نقيم له حفلاً ونأتي له ببعض الهدايا؛ بمناسبة أنه أصبح مأموراً بالصلاة، ونقول له: هذا حفل الصلاة، لقد كبرت الآن وأصبحت مسؤولاً فعليك أن تصلي.

(١) ديوان حافظ إبراهيم ص ٢٧٠، صحيح أحمد أمين بك وآخرين، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٤٨م.

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٥.

وإذا بلغ عشراً نقيم له حفلاً آخر، ونضحك معه ونقول له: هذه حفلة ضرب! إذا لم تصل ستضرب، هذا شأن الإنسان المسلم.

نعطيه فرصة (ثلاث سنوات) ترغيباً وترهيباً، وترجية وتخويفاً. ثم بعد ذلك نشعره بالجديّة، المقصود بالضرب هنا «الإشعار بالجديّة». لأنّ الأب قد يقول له: صلّ يا ولد، ولكنّه لا يُحاسبه: هل صلّى أو لم يُصلّ؟ على حين لو أمره أمراً من أمور الدنيا وخالفه، فهو لا يسكت على هذا، فلا بدّ أن يكون أمر الدين مثل أمر الدنيا إن لم يكن أكثر.

لا بدّ أن نهتمّ بأولادنا في طفولتهم، ونُعنى بأمرهم. ليست مهمّة الأب أن يُوفّر لأولاده الطعام والشراب والكسوة، والسّيّارة والخادم والسائق، ثم يدع حبله على غاربه؛ ولم يعرف عنه شيئاً، لا، الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، هل وقيت أهلك من النار؟ هل حميت أولادك من النار؟ لا يكفي أن تطعمهم وتسقيهم وتكسوهم، ولكنك لا تأخذ بيدهم في الطريق إلى الجنّة، ولا تحاول أن تبعدهم عن طريق النار.

هذه مسؤوليّة كلّ أب وكلّ أم.

﴿قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ كما تحمي نفسك من النّار احم ولدك من النّار، احمه بأن تعلّمه الدين الصحيح، وأن تغرس في نفسه الفضائل القويمة، وأن تبعده عن الرذائل المهلكة.

هذه مسؤوليّة الأب والأم.

وتتضاعف هذه المسؤوليّة أيّها الإخوة إذا كان الطفل معوقاً، أصابه عوقٌ من هذه الآفات التي تصيب الناس: العمى، والعرج، وفقد السمع،

وفقد البصر، أو فقد حاسة من الحواس أو جراحة من الجوارح، أو كان متخلفاً عقلياً، أو نحو ذلك ممّا يُبتلى به الناس.

هذه ابتلاءات من الله تبارك وتعالى، لا نستطيع لها دفعاً، ولا نملك أمامها إلا التسليم والصبر على ما ابتلانا الله تعالى به. ولكن ينبغي ألا يجعلنا هذا نهمل الطفل المعوق.

الحضارة الإسلامية كان فيها أناس من أصحاب هذه العاهات، وبلغوا مبلغاً عظيماً من العلم والفضل. منهم الأعمى، ومنهم الأعرج، ومنهم وألفت في ذلك كتب عن قصص هؤلاء وحكاياتهم، وبعضهم من الذكاء بمكان وبعضهم من النبوغ بمكان. مَنْ ينسى أبا العلاء المعري أو بشار بن بُرْد أو غير ذلك؟ مَنْ ينسى عبد الرحمن الأعرج من رواه الحديث؟ مَنْ ينسى ومن ينسى؟

هؤلاء المَعْوَقُونَ يمكن أن يكونوا أناساً لهم شأنٌ في الحياة.

وكم رأينا من مشايخنا من علماء الأزهر وغيرهم من علماء المسلمين مَنْ تفوّق في علمه، وكان نابغة في عصره، وعلامة دهره. ولا نزال إلى اليوم نعرف من هؤلاء الكثير، وقال شوقي في رائيته عن الأزهر وعلمائه: والله ما تَدْرِي لَعَلَّ كَفَيْهِمْ يوماً يكون أبا العلاء المُبْصِراً^(١)

يستطيع هؤلاء - إذا يُسِّرَت لهم السُّبل - أن يكونوا شيئاً مذكوراً في المجتمع.

ومن حسن حظنا أنّ عصرنا هذا يُعنى بهذا الصنف من الناس، بالمعوقين، ويجعل لهم مكاناً أيّ مكان في الحياة. الحضارة الغربية - على ما فيها من

(١) شوقي لأنطوان جميل ص ٢٨، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

نزعة ماديّة ونزعة نفعيّة - من فضائلها أنّها عُيّنت بهذا الجانب، تجد حمّامات خاصة للمعوقين، تسهيلات في كلّ دائرة وفي كلّ مصلحة للمعوقين. وهكذا ينبغي أن نكون.

هنا في قطر عدّة مدارس للمعوقين. منذ سنوات فُتحت مدرسة للمعوقين كانت ملحقة بمدرسة آمنة بنت وهب، والآن عرفت أنّ هناك أكثر من مدرسة: مدرسة للمكفوفين، ومدرسة لأصحاب الصعوبات الخاصة، ومدرسة للمعوقين، وأخرى لشديدي العوّق. ولا أقول: الإعاقة، فليس في العربية: أعاق يُعيق إعاقة، إما: عاق يعوق عَوْقًا، ولا يُسمّى «المعاق»، وإنّما «المعوق»، أو «المعوّق» فهذا العوّق لا ينبغي أن نستسلم له.

في عصرنا اكتشفوا طريقة لتعليم العميان القراءة والكتابة، طريقة «برايل» كما يسمّونها، فعلينا أن نعلّم العميان. في حضارتنا كانوا يتعلمون عن طريق الحفظ والسماع، الآن يمكنهم أن يقرؤوا ويكتبوا.

لا بدّ أن نفتح هذه المدارس، وإذا لم تكف مدرسة فلتفتح أخرى.

من خصائص هذا العصر: كثرة المعوقين. ونحن المسلمين لنا النصيب الأوفى من المعوقين في العالم: في فلسطين، في الشيشان، في أفغانستان، في الصومال، في البوسنة والهرسك، في كوسوفو، في بلاد شتى، آلاف وعشرات الآلاف ومئات الآلاف من المعوقين، من الأطفال ومن الكبار. فعلينا أن نُعنى بهؤلاء المساكين.

ليس المسكين فقط من فقد المال، إنّما من فقد القدرة على الحركة كغيره، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، لا يكلف هؤلاء بالجهاد كما يكلف الأصحاء.

وكان النَّاسُ يَأْنِفُونَ وَيَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ الطَّعَامَ وَحْدَهُ، حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ، فَرَخَّصَ اللَّهُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فِي سُورَةِ النُّورِ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ مَلَائِكَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور: ٦١].

أي: أن تَؤَاكُلَ هذا الإنسان ولا تدعه يأكل وحده.

كانوا يتَحَرَّجُونَ مِنَ الْأَكْلِ مَعَ الْأَعْمَى؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى مَا يَرَاهُ الْمُبْصِرُ، فَرَبَّمَا أَكَلَ الْمُبْصِرُ لَقْمَةً كَانَ الْأَعْمَى هُوَ الْأَحَقُّ بِهَا، رَبَّمَا كَانَ الْأَعْمَى يَشْتَهِيهَا وَلَكِنَّ الْمُبْصِرَ سَبَقَهُ إِلَيْهَا. فَبَيَّنَ لَهُمُ الْقُرْآنُ أَنَّ تَرْكَهُمْ وَاعْتِزَالَهُمْ أَشَدُّ خَطَرًا، فَيَنْبَغِي أَنْ نَرَاعِيَ نَفْسِيَّةَ هَؤُلَاءِ.

الطفلة الصغيرة (مريم) الَّتِي كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا مَا كُتِبَ فِي صَحِيفَةِ «الرَّايَةِ» كَانَتْ تَتَأَلَّمُ وَتَتَأَذَّى مِنْ نَظَرَاتِ التَّحَسُّرِ وَالْإِشْفَاقِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَرُونَهَا.

لَا يَنْبَغِي أَنْ نَشْعُرَ هَؤُلَاءِ بِشَيْءٍ يُؤْذِيهِمْ أَوْ يُؤْلِمُهُمْ، لَا، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ نَعَاوَنَهُمْ، أَنْ نَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ، أَنْ نَشْعُرَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ.

قانون التعويض:

وهم أقوياء بالفعل، فمن فضل الله تبارك وتعالى: ما يسمِّيهِ العلماء بقانون «التعويض».

هناك سُنَّة إلهية: أَنَّ الله تعالى إذا حرم إنساناً شيئاً عَوَّضه مقابله في شيء آخر. الأعمى فقد البصر، ولكنك تجده قوي السمع، يُمَيِّز بين الأصوات، قوي الإحساس باللمس، لو سلَّمت عليه لقال لك: أنت فلان؟ دون أن تكلمه، يعرف النَّاس من وقع خطواتهم ومشيمهم!

هذه سُنَّة من سنن الله، وفضل من الله تبارك وتعالى.

هذا الإنسان المعوق عنده قوَّة مذخورة، يعلمها من يعلمها، ويجهلها من يجهلها، وهذا جعل النَّاس من قديم يقولون: كل ذي عاهة جَبَّار! هو ليس جَبَّاراً، إنّما الله عَوَّضه وأعطاه قوَّة يستعين بها على مواجهة الحياة؛ رغم ما أصابه من آفة. فينبغي أن نستغل هذه القوة التعويضية عند هؤلاء.

لنعلمهم، وندربهم، وندفع بهم في معركة الحياة: يعملون ويسعون، بدل أن يبقوا ليتلقوا المساعدات والتبرّعات. لا، بدل أن يتلقى المعوق المساعدات والتبرّعات، علّمه شيئاً، ودربّه على شيء يليق بمثله، وأنت تستطيع أن تفعل ذلك.

إنَّ الإسلام يهتم بالطفولة، وخصوصاً الطفولة المعوقة، التي فقدت القدرة على الحركة كالأعرج، أو الطفولة اليتيمة.

عناية الإسلام بالطفولة اليتيمة:

عني الإسلام باليتيم، وجاءت آيات القرآن وأحاديث الرسول الكريم، كلّها تدعو إلى العناية باليتيم.

من أوائل ما نزل من القرآن: سورة «الضحى»، وفيها يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩] لا تذله. وفي سورة «الماعون» يقول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ [الآية: ١] الكافر الذي

يَكْذِبُ بِالْقِيَامَةِ وَبِالْآخِرَةِ وَبِالْحِسَابِ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الآيتان: ٢، ٣]. إِنَّهُ ذُو الْقَلْبِ الْقَاسِي الَّذِي يَعَامِلُ الْيَتِيمَ بَعْفًا، وَيُدْفَعُهُ بَعْفًا، وَلَا يَشْعُرُ أَنَّ هَذَا إِنْسَانٌ حَسَّاسٌ، فَالْيَتِيمَ لَوْضَعَهُ حَسَّاسٌ فِي نَظَرَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِرَفْقٍ، لَا يُقْهَرُ وَلَا يُدْعَى وَلَا يَكَلَّمُ بِسَوْءٍ، هَذَا مَا يَرِيدُهُ الْإِسْلَامُ.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ». وأشار بأصبعيه السَّبَّابَةِ وَالْوَسْطَى^(١). أَي: أَنَّ كَافِلَ الْيَتِيمِ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْ هُنَا ظَهَرَتْ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنِينَ: مَوْسَسَاتٌ وَجَمْعِيَّاتٌ خَيْرِيَّةٌ تَرْعَى الْيَتَامَى، وَتَدْعُو النَّاسَ إِلَى كِفَالَةِ الْيَتَامَى. تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْفُلَ يَتِيمًا أَوْ يَتِيمَيْنِ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ لَكَ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْفَقِيرَةِ: بِمِائَتِي رِيَالٍ كُلِّ شَهْرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَتَكُونُ جَارًا أَوْ قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

حَتَّى الْأُمُّ الَّتِي تَكْفُلُ يَتَامَاهَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تَبَادِرْنِي؛ فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكَ؟ وَمَا أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي»^(٢). يَعْنِي تَأَيَّمْتُ، فَتَرَكْتُ الزَّوْجَ، وَعَاشْتُ لِأَوْلَادِهَا حَتَّى بَلَغَ الْأَوْلَادُ مَبْلَغَ الرِّجَالِ، فَهِيَ تَزَاحِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِتَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعَهُ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ (٦٠٠٥)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى (٦٦٥١)، وَفِيهِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَجَلَانَ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: يُكْتَبُ حَدِيثُهُ. الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ (٤٦/٦). وَوَثَّقَهُ ابْنُ حَبَانَ، وَقَالَ: يَخْطِئُ وَيَخَالِفُ. الثَّقَاتُ (١٢٧/٧). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وفي الحديث: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيمٌ يُحسن إليه،
وشَرُّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيمٌ يُساء إليه»^(١).

ينبغي أن نرعى اليتامى، نرعى شخصيتهم، فلا نذلها ولا نقهرها.
إن إضاعة اليتامى معناها أننا أضعنا المجتمع. وهؤلاء إذا ضاعوا
وأهملوا وقُسي عليهم، سيكونون معاول هدم في المستقبل، سينتقمون
من هذا المجتمع الذي لم يؤدّ لهم حقًا، ولم يرع لهم حرمة. فالمجتمع
حين يوفرّ العناية لليتامى، إنّما يُعنى بنفسه، بمستقبله، بأمانه،
باستقراره.

عناية الإسلام باللقيط:

وأكثر من ذلك أنّ الإسلام عني باللقيط. اللقيط الذي لا يُعرف له
أبٌ ولا أم، الذي يجده الناس بالقرب من المسجد أو السوق أو في أيّ
مكان، نتيجة جريمة ارتكبت، ولكنّ الإسلام لا يؤاخذ إنسانًا بذنب
غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. إذا كان الأب والأم قد ارتكبا
الفاحشة، فهذا لم يرتكب شيئًا، لذلك كان ينبغي العناية به.

وفي الفقه الإسلامي، في كل مذهب من المذاهب باب اسمه: باب
اللقيط، فيه: أحكام اللقيط، ماذا يُصنع باللقيط؟ وممّ يُنفق على اللقيط؟
هذا إنسان له حرمة إنسانية، فينبغي أن يُرعى. هو «ابن سبيل» كما
قال العلامة رشيد رضا: إنّهُ أحق بكلمة «ابن السبيل» من غيره، لأنّه وُجد
في الطريق، فالسبيل أمّه وأبوه!

(١) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٦٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣٧)، وضعّفه العراقي في
تخريج الإحياء ص ٦٧٠، والألباني في الضعيفة (١٦٣٧)، عن أبي هريرة.

هو «ابن السبيل»، وقد أوصى القرآن بآبن السبيل في سورة المكيّة، وكذلك سورة المدنيّة: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦].

لا بدّ أن نُعنى بالطفولة أيّها الإخوة، الطفولة كل الطفولة، هذا هو ديننا.

لا نريد أن نتعلّم من الغرب، عندنا من تراثنا: من كتاب ربنا، ومن سُنّة نبينا، ومن فقه فقهاءنا، ومن تربية مُربّينا، ما يغنينا عن الاستيراد من غيرنا.

ينبغي أن نُعنى بالطفولة، ونُعنى بالمُعوقين خاصّة، ونُعنى باليتامى، ونُعنى باللقطاء، ونُعنى بكل طفل ينشأ في تربة إسلاميّة، في أرض إسلاميّة، فهذا هو دين الرحمة، الإسلام رحمة الله للعالمين، وهو أكثر ما يكون رحمة للضعفاء من الناس، و«هل تُنصرون وتُرزقون إِلَّا بضعفائكم؟!»^(١).

وصلّ اللهم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم. وادعوا الله تعالى يستجب لكم.

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٦)، عن مصعب بن سعد.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة:

هناك قضايا كثيرة يحترار الإنسان على أيُّها يعلّق؟ هناك قضيّة فلسطين، فما يجري على أرض النبوات والمقدّسات، من انتهاك للحرّمات، وسفك للدماء، وتبجّح من الصهيونيّة العاشمة و«إسرائيل» المعتدية الظالمة، ووقوف العالم العربي موقف العاجز، لا يستطيع أن يفعل شيئاً!

تقتل إسرائيل، وتدمّر إسرائيل، وتنتهك إسرائيل، ولا زلنا نلهث وراءها نطلب السلام، السلام الأعرج الهزيل، الذي لا يغني شيئاً، ولا يحقق هدفاً.

مذابح ومجازر بشريّة في كوسوفو المسلمة:

أنعلّق على هذا الموقف؟ أم نعلّق على ما يجري في كوسوفو المسلمة، من مذابح ومجازر بشريّة، تشيب لها نواصي الولدان، وتقشعر من هولها الأبدان. والعالم العربي يرى ويسمع في الشرق وفي الغرب، هنا وهناك، وينشرون الأخبار والمشاهد على التلفزيونات، ونرى مناظر لا يستطيع الإنسان أن يطيل النظر فيها؛ لما تمثّل من وحشيّة لا نظير لها.

ومع هذا، كلّ ما نسمعه منها أظهر: أنّ حلف الأطلسي سيتدخل، بعد أسبوع سيتدخل، والأسبوع بعده أسبوع آخر، والأسبوع الآخر بعده أسبوع آخر، وإلى اليوم. وأنا أقول: سيتدخل حلف الأطلسي، ولكن بعد أن تكون القضية قد انتهت، بعد أن تكون المجازر قد تمّت، بعد أن

يكون مئات الآلاف قد هُجِّروا، بعد أن تكون المعالم قد غُيّرت، بعد أن تكون الأوضاع قد استقرَّت لصالح الحرب الوحشية الهمجية الصليبية المتعصبة.

وللأسف تقف روسيا مع الصُّرب - الأرثوذكس بعضهم مع بعض - تدافع عنهم، حتَّى البيان الذي صدر، صدر خفيًّا وليَّنًا وهيَّنًا، وذلك لموقف روسيا.

الفجور في الخصومة في اختلاف رئيس وزراء ماليزيا مع نائبه:

أم نحدِّثكم أيُّها الإخوة عن موضوع آخر يقع في العالم الإسلامي اليوم في أرض ماليزيا الشقيقة؟

ماليزيا التي كانت معقدًا من معاهد الأمل، وموطنًا من مواطن الرجا، والتي كانت في وقت من الأوقات نَمْرًا من الثُّمور الآسيوية، لما فيها من نموٍّ اقتصاديٍّ، وازدهار عمرانيٍّ، وتوجُّه إسلاميٍّ.

ماذا يجري في ماليزيا الآن؟ الآن تغيَّر الموقف.

يعجب الإنسان إذا اختلف رئيس وزراء ونائبه في بلد إسلامي. كم يختلف الرؤساء ونوابهم في بلاد الدنيا! ولكن لم نَر هذا الفجور في الخصومة، مثلما رأينا في ماليزيا.

النبى ﷺ يحدِّثنا عن صفات المنافق فيقول: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتَّى يدَّعها: إذا أوْتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(١).

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

لا مانع أن يختلف رئيس مع نائبه، أمّا أن تُشوّه الرجل وتُلصق به من التُّهم الكاذبة ما يكذِّبه تاريخه كلّهُ، وما لا يعرفه أيُّ إنسان عنه، فهذا ما لا يُقبل بحال.

وأين كنت؟ أنت الذي اخترته منذ سبعة عشر عامًا، وأنت الذي ساعدته على تولي المناصب، وأنت الذي هيّأته ليكون نائبًا لك في رئاسة الحزب، وفي رئاسة الدولة، أكنت مغيبًا طوال تلك المدة؟ هذا أمر عجيب.

يمكن أن تختلف مع إنسان، أمّا أن تجرّمه بالزنى واللواط والقتل وكذا. هذا أمر عجيب.

والإسلام يرفض هذه التُّهم الكاذبة، ولا يقيم لها وزنًا، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤]. والعلماء مجمعون على أن المحصن مثل المحصنات، إنّما جاءت الآية بصيغة جمع النسوة لأنّ الآيات نزلت في قصّة عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك، حيث تولّى كِبْرَهُ عدد من المنافقين، أشاعوا قول السوء وتهمة السوء، عن الصديقة بنت الصديق: أم المؤمنين وأحبّ أزواج رسول الله إليه، أشاعوا عنها السوء وقالوا عنها ما قالوا، واتّهموها برجل من الصحابة لم يُعرف عنه ريبة قطّ.

القرآن يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١ - ١٥].

الذين يتناولون أعراض النَّاس بهذه السهولة ويشيعون عنهم قول
السوء، هؤلاء ليسوا صادقين، هؤلاء ليسوا في دائرة هذه الأمة، التي يكره
الله لها أن تشيع الفاحشة فيها، وفي الحديث: «مَنْ ستر عورة فكأنما
استحيا موءودة في قبرها»^(١).

لا يبيح الإسلام أن ينتشر السوء بين الناس، حتَّى لو عرفت عن
إنسان أنه سيِّئ، لا ينبغي أن تشيع عنه السوء، انصححه فيما بينك وبينه.
أمَّا أن تشيع عنه السوء على الملأ، فهذا معناه أننا لا زلنا أمة متخلّفة.

لك اتجاه في السياسة الماليّة والإداريّة، ولي اتجاه آخر، لندخل
المعركة معًا، وليقل كلُّ منّا ما عنده، لننشر ما نريده في الصحافة، أمَّا أن
يحاول واحد تدمير الآخر، وإنهاء حياته تمامًا بهذه المقولات السوء،
فهذا ما يرفضه الإسلام.

إننا في حزن على أمّتنا، لأنّه كلّما ظهر بريق أمل في جهة من
الجهات، إذا بهذا الأمل نجد من يعمل على إطفائه، وإطفاء الشعلة أو
الشمعة المضيئة، وهذا ما نأسف له.

إنّ قلوبنا مع إخواننا في ماليزيا، وقلوبنا مع أختينا (أنور إبراهيم)
الذي عرفته منذ أكثر من عشرين سنة، عرفته حينما لقيته والشيخ عبد الله
الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ في رحلتنا إلى الشرق الأقصى، فعرفنا فيه رجل صدق،
وقد كان في يومها خارجًا من السجن لتوّه، ألقي في السجن عدّة سنوات
من أجل مقاومته للمظالم وللرذائل وللإباحيّة في المجتمع الماليزيّ.

(١) رواه أحمد (١٧٣٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لاضطراب في إسناده. والنسائي في
الكبرى في الرجم (٧٢٤٣)، وابن حبان في البر والإحسان (٥١٧)، وضعّفه الألباني في غاية
المرام (٤١٩)، عن عقبة بن عامر.

هذا الرجل الآن يُقدّم للمحاكمة، ويُسلّط عليه الشرطة لتضربه، ويأتي إلى المحكمة وهناك كدماتٌ في عينيه ووجهه، ومن فجور هؤلاء أن يقولوا: إنّه هو الذي ضرب نفسه! هذا أغرب ما سمعناه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يردّ هذه الأمة إليه ردًّا جميلاً، وأن يقيها الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يقيها من عبث العابثين وكيد الكائدين وظلم الظالمين.

اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التّقى، وأنفسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهمّ أكرمنا ولا تُهّنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا.

اللهمّ هيّئْ لنا من أمرنا رشداً، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغاديين، وانصرنا على الصليبيين الحاقدين، وعلى الوثنيين المتعصبين، وعلى جميع أعدائك أعداء الدين. اللهم ردّ عنا كيدهم، وفلّ حذّهم، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهمّ اجعل الدائرة عليهم، وسُق الوبال إليهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهمّ أيّد إخوتنا المجاهدين في فلسطين وفي لبنان، وأيّد إخوتنا المجاهدين في كشمير والسودان، وأيّد إخوتنا في كلّ مكان، واجمع

المختلفين على كلمة الحق في أفغانستان وفي الصومال، وفي غيرها من بلاد الإسلام.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة، إِنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.





شباب الأمس وشباب اليوم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نتحدّث اليوم عن الشباب، وهي المرحلة التي تلي الطفولة، مرحلة القوّة بين ضعفين، ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرّوم: ٥٤].

هذه القوّة بين الضعفين هي مرحلة الشباب، مرحلة الحيوية الدافقة، وسط العمر، وأوسط كلّ شيء أقواه، كالشمس في رابعة النهار.

الشباب هو مرحلة القوّة، ولذلك يُسأل الإنسان يوم القيامة عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصّة؛ ففي الحديث عن النّبي ﷺ: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربّه حتّى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»^(٢).

(١) أُلقيت بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٩٨م.

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٦)، وقال: حديث غريب. والبزار (١٤٣٥)، وأبو يعلى (٥٢٧١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٨): حسن لغيره. عن ابن مسعود.

لهذا كان على الإنسان أن يهتم بهذه المرحلة، ولا يضيعها، فلا يجد جوابًا إذا سُئل عنها يوم القيامة، أين أنفقت شبابك؟ أين أنفقت هذه السنوات النضرة، سنوات القوة والعزيمة؟

نماذج شبابية في القرآن الكريم:

إنَّ القرآن الكريم قد عرض لنا نماذج لشباب، ينبغي أن يكون طموح شبابنا إلى أن يتمثل بهذه النماذج، ويتخذ منها أسوة وقدوة، بدل أن يتأسى بالغربيين، أو بالممثّلين، أو بهؤلاء المائعين، يتمثل بهذا النموذج القرآني، من شباب آمنوا برّبهم وزادهم هدى.

نموذج الشاب المؤمن برّبه: إبراهيم عليه السلام:

هناك الشباب الراض للباطل، الراض للطواغيت، المؤمن برّبه، الذي لا يقبل أن ينحني إلّا لله، ولا أن يذل إلّا لله، نموذج إبراهيم عليه السلام، الذي رفض أن يعبد الأصنام، وأنكر على أبيه وقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وظلّ يحاورهم ويجادلهم حتّى أفحمهم، ثم قال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿جُذَاذًا، أَي: حُطَامًا.

فلما جاء القوم ووجدوا آلهتهم قد حُطمت، ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿كان إبراهيم فتى من الفتيان، لم يكن شيخًا من الشيوخ، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعني: يهدّدهم أن يجعلهم جُذَاذًا، وقد نفذ تهديده.

وجاءوا بإبراهيم ليحاكموه، وقالوا له: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلِنَا يَبْرَاهِيمُ﴾ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * لحظة من اللحظات التي يرجع الإنسان فيها إلى فطرته، إلى نفسه التي غاب عنها وشرد منها، رجعوا إلى أنفسهم (فطرتهم) واتهموها بالظلم.

يقول الله: ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ * وجرى ما جرى، وتوعدوا إبراهيم بالإحراق، وحشدوا له من الوقود والخطب، حتى أجمعوا نارًا هائلة، ثم جاءوا بالمنجنيق وقذفوه فيها.

ولكن الله حوّل النار إلى رُوح ورياحين، وقال لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ * [الآيات من سورة الأنبياء: ٥٢ - ٦٩].

هذا شابٌ أبى أن يستسلم للطواغيت، رفض أن يعبد غير الله، ولم يكتف بهذا، بل إنّه حطّم هذه الأصنام ليُري قومه أنّها لا يمكن أن تكون آلهة، وهي عاجزة عن الدفاع عن أنفسها؛ إذ كيف يعبد الإنسان ما لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولكن مع هذا الوضوح ومع هذه البيئة، نكس القوم على رؤوسهم، وظلّوا على ضلالهم.

هذا نموذج - أيّها الإخوة - للشابّ المؤمن بالحقّ، المدافع عنه، المقاوم للطاغوت والباطل.

نموذج الشابّ المضحيّ بنفسه طاعةً لربّه: إسماعيل عليه السلام:

وهناك نموذج آخر ذكره لنا القرآن، وهو الشابّ المطيع لربّه، المنفّذ لأوامره، وإن كان فيها ما كان من تضحية، وإن قدّم فيها رقبته فداءً لربّه، وهذا الشابّ المطيع هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام، والذي يُعرف باسم: الذبيح.

أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام عن طريق الرؤيا - ورؤيا الأنبياء حقٌ ووحى - أن يذبح ابنه، جاءت الإشارة بهذا في منامات متعددة، فقال إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل: ﴿يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذا جاء بعدما بلغ معه السعي، وأصبح يُرجى منه الخير، وقد وهبه إبراهيم على الكبر، كما حكى القرآن دعاءه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وكَلَّمَا كَبُرَ وَنَمَا، نما حُبُّه في قلب أبيه، ولكن الله أراد أن يختبر إبراهيم وإسماعيل معًا، وجاءت هذه الإشارة الإلهية في المنام، ﴿يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾.

هنا وجدنا إسماعيل يحمل سرَّ إبراهيم، والولد سرُّ أبيه، ومن شابهه أبه فما ظلم. ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤].

لم يكن يكافئ روعة موقف الوالد، إلا روعة موقف الولد، حينما قال لأبيه، دون تلثم أو تردُّد: ﴿يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢]. كأن الأمر لا يتعلق بعنقه، لا يتعلق برأسه، لا يتعلق بذبحه، حتَّى إنه لم يقل: افعل بي ما تؤمر، كأنما فَنِيَ عن نفسه، نسي ذاته، قال له: نفَّذ ما عندك من أوامر.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ وانظر إلى هذا الأدب، عندما قال: إن شاء الله. فلم يدَّعِ لنفسه البطولة، ولم يزعم لنفسه الشجاعة، وإنَّما وكل ذلك إلى مشيئة الله تعالى وعونه، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

وهنا أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، ونجحا في الامتحان، لم يكن الله عزَّ وجلَّ يريد أن يراق دمُ إسماعيل، وإنَّما أراد أن يختبر الخليل

إبراهيم وابنه إسماعيل، وقد نجحاً، وفداه الله بذبح عظيم، وصار نموذجاً للشباب المؤمن الصابر المطيع المضحّي.

نموذج الشابّ العفيف: يوسف عليه السلام:

وهناك نموذج آخر ذكره لنا القرآن الكريم، نموذج الشابّ الذي يرفض المعصية، وقد تفتّحت له أبوابها، وتهيأت له أسبابها، لم يسع إليها ولكنّها سعت إليه، هذا الشابّ هو يوسف الصديق عليه السلام، الذي هو مثال للمؤمن الصابر في مراحل حياته المختلفة.

وفي هذه المرحلة صبر على الفتنة التي تجسّدت في امرأة العزيز، التي هي مالكة أمره، وهي سيده، وهو في بيتها. هذه المرأة امرأة العزيز، عزيز مصر وكبير وزرائها، فهي امرأة ذات منصب وجمال.

هذه المرأة ولعت بيوسف، وشغفها حباً، وتعلّقت به، وهي تصابحه وتماسيه، وتراوحه وتغاديه، فهي فتنة دائمة، ليست فتنة عارضة ولا طارئة.

والمرأة من شدّة شغفها وعشقها، خرجت عن طبيعة المرأة، وصرّحت له بما تريد، فهيأت الأسباب ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، فماذا كان موقف هذا الشاب؟

وقد كان يمكن أن يستجيب لها، وأن يشبع غرائزه معها، ولا من رأى ولا من درى، ولكن هذا الشابّ أبى واستعصى، وردعها بعدّة روادع:

الأول: رادع ديني: حين قال لها: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

والثاني: رادع أخلاقي: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ وهنا يقول كثير من المفسرين: إِنَّهُ يقصد برَّبّه هنا: العزيز؛ فقد قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، فلا ينبغي أن يقابل إحسانه بالإساءة، وائتمانه بالخيانة ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.

الثالث: رادع مصلحي: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿إِنِّي إِن فَعَلْتُ ذَلِكَ أَكُونُ ظَالِمًا، والظالم لا يُفْلِح أَبَدًا، فليس من مصلحتي ولا من حُسن مستقبلتي أن أرتكب هذه الفاحشة: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

لم يستجب يوسف لهوى المرأة، وقد كان لديه من الأعذار ما يجعله يُقبل على هذه الفاحشة، فهو «شاب» والشباب شعلة من الجنون، وهو «عبد» والعبد يفعل ما يستحيي منه الأحرار، وهو «عزب» ليس له زوجة تعفه، وهو «غريب» عن وطنه: والغريب يفعل ما لا يفعله الإنسان في بلده، وهو وهو.

هناك أكثر من سبب يجعل يوسف يستجيب للمرأة، ولكنه أبي، حتّى إِنَّ المرأة قالت للنسوة اللاتي جمعتن في بيتها، وصنعت لهن وليمة، ﴿وَأَعَدَّتْ لهنَّ مَتَكًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ من الدهشة ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ هنا قالت المرأة: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ حينما قالوا وأشاعوا في المدينة: ﴿أُمَرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ لم تعايشنه كما عايشته، ولم ترينه وقد رأيتنه الآن، ﴿وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

تقول هذا ويوسف يسمع، إنها لغة جديدة، لقد استخدمت لغة الإغراء فلم ينفع، وهي الآن تستخدم لغة الوعيد والتهديد، عسى أن تُفلح، ﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَتِهِ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ وهي امرأة قادرة على أن تقول فتفعل، وزوجها يستجيب لها.

فماذا فعل يوسف؟

لجأ إلى ربّه، ولاذ بجنابه، وقال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وكان يوسف مخيراً بين محنتين: محنة في دينه، ومحنة في دنياه، محنة في دينه، أن يزني ويكون من الفاسقين، ومحنة في دنياه: أن يُسجن ويكون من الصاغرين، فأَيَّ المحنتين يختار؟!

اختار يوسف محنة الدُّنيا على محنة الدين، ومما علمنا رسول الله ﷺ أن نقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا»^(١).

اختار محنة الدُّنيا، أن يُسجن ولا يفعل الفاحشة، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيُسْجِنَنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٢٣ - ٣٥].

ودخل السجن، ولبت فيه بضع سنين، هذا هو الشابُّ الراضٍ للمعصية، المستعلي على شهوات نفسه، المستمسك بعروة ربّه الوثقى لا انفصام لها.

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال الترمذي: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٣)، عن ابن عمر.

نموذج الشاب الناشئ في طاعة ربه: يحيى عليه السلام:

ومن النماذج القرآنية، نموذج الشاب الطاهر النقي، الناشئ في طاعة ربه، ذلكم هو يحيى عليه السلام، قال عنه ربه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * نَبَلْ عَاطِفَةً، وَطَهَارَةَ سُلُوكٍ، وَتَقْوَى اللَّهِ وَعِجْلًا، حَنَانًا وَزَكَاةً وَتَقْوَى وَحُكْمًا، نَظَرَ سَدِيدٍ وَرَأْيَ رَشِيدٍ * وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا *﴾ [مريم: ١٢ - ١٤].

نموذج الشباب الرافض للباطل: فتية أهل الكهف:

وذكر لنا القرآن نموذجًا آخر، يتمثل في أولئك الشباب، الذين رفضوا أن يسيروا في ركاب قومهم، وأن يتبعوهم في ضلالهم ووثنياتهم، رفضوا أن يعبدوا الأصنام مع قومهم، هؤلاء الشباب هم فتية أهل الكهف، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً لَّوْلَا يَأْتُواكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا *﴾ [الكهف: ١٣ - ١٥].

رفضوا هؤلاء الأقوام، واعتزلوهم من دون الله، وآووا إلى الكهف، عسى أن ينشر لهم ربهم من رحمته، ويهيئ لهم من أمرهم مرفقًا.

وأبقاهم الله أحياء في الكهف، ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، وجعل الله قصتهم قصة تُتلى على مرِّ الدهور، حتَّى إِنَّ الكلب الذي صاحبهم ذكره الله في القرآن عدَّة مرَّات، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ *﴾ [الكهف: ١٨]، ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ *﴾ [الكهف: ٢٢] حتَّى الكلب أكرمه الله بصحبته،

فذكره في القرآن، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، حتى ولو كان هذا الجليس كلبًا.

هذه النماذج التي يذكرها القرآن لنتخذ منها نبراسًا نستضيء به، ونقتبس منه، ما أحوج شبابنا إلى أن يتأسى بهذه النماذج.

نموذج أصحاب النبي مُحَمَّد ﷺ :

وهناك النماذج الإسلامية، نماذج مُحَمَّد ﷺ، الذين آمنوا برسول الله كانوا شبابًا، وكان أكبرهم أبا بكر رضي الله عنه، وكان في الثامنة والثلاثين من عمره، وعمر رضي الله عنه كان أصغر منه بعشر سنوات، وعلي رضي الله عنه كان في الثامنة أو نحو ذلك، والزبير بن العوام قريب من هذا.

كلهم كانوا شبابًا، وقفوا مع رسول الله ﷺ، وأتباع الأنبياء عادة ما يكونون من الشباب، كما قال الله في أتباع موسى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣] إِلَّا ذرية، نابتة، ناشئة من قومه.

ولذلك نريد من شبابنا أن يتحلّى بفضائل أولئك الجيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ، فهؤلاء الذين نصرُوا الإسلام، وأيدوه، ووقفوا بكل طاقاتهم معه، بذلوا النفس والنفس، والغالي والرخيص في سبيل نصره هذا الدين، لم يضمنوا عليه بشيء، ولم ييخلوا عليه بمال ولا نفس، اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم، وضحوا بالأنفس، وبذلوا الأموال؛ طلبًا لجنّة عرضها السماوات والأرض، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهِمُ الْجَنَّةِ﴾ [التوبة: ١١١].

هؤلاء الأصحاب هم الذين نشرُوا الإسلام في القارات، انطلقوا بهذا الإسلام بعد رسول الله ﷺ، حاربوا الإمبراطوريات الكبرى، التي قامت على تأليه الأشخاص، واتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله.

كانت رسالتهم رسالة تحرير للبشر من عبادة العباد، إلى عبادة ربّ العباد، كما قال ذلك الصحابي البدوي، ربعي بن عامر، الذي قال لرستم قائد جيوش الفرس: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد، إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان، إلى عدل الإسلام^(١).

هذا هو الطموح التي كان عند أولئك الشباب، ليس كما نرى عند شبابنا، تلك الهمم المنحطّة، والعزائم الواهنة، والأنفس المخلّدة إلى الأرض، المتّبعة للشهوات، كانت هناك نفوس كبيرة، تتعلّق بأمور كبيرة، هي نشر الإسلام في الأرض، كانوا يشعرون بأنّهم مبعوثون.

وكما بعث الله محمّداً، بعث أمّته؛ فالأمّة مبعوثة برسالة، كما أنّ الرسول مبعوث بهذه الرسالة، وكما قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»^(٢)؛ فالأمّة مبعوثة.

هذا الرجل البدوي، الذي لم يدخل إلى جامعة، ولم يقرأ في كتاب، تعلّم من مدرسة النبوة، جلس بين يدي مُحَمَّد ﷺ، فلخص الإسلام في هذه الكلمات، في هذه الكليات، نحن بحاجة إلى شباب يتبنّى مثل ما تبناه ربعي بن عامر.

أسامة بن زيد قاد جيش المسلمين، أراد أن يعلم المسلمين أن في الشباب مواهب وقدرات ينبغي أن تتاح له الفرصة، وأن ييسر له السبيل، وأن يهيأ لعظائم الأمور، فكان في جيش أسامة: عمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وغيرهم من كبار الصحابة.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٤٠١/٢).

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢١)، عن أبي هريرة.

هذا ما علّمناه رسول الله ﷺ في أن يتحمّل الشباب المسؤولية، وألا يضيع حياته في اللهو واللعب، والفراغ الذي يشكو منه شبابنا ونشكو منه اليوم، فراغ العقل من العلم، وفراغ القلب من التقوى، وفراغ النفس من الآمال الكبار، وفراغ الوقت من العمل والإنتاج، هذا هو الفراغ الذي نشكو منه.

في العهد الأموي ذهب شاب من بني ثقيف، عمره ١٧ عامًا، ليقود جيوش المسلمين لفتح بلاد السند، وهو مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد الثقفي، أرسله الحجاج وهو ابن عمه، وذهب هذا الشاب إلى بلاد لم يدخلها من قبل، ولم يعرفها، ولكن ذهب بأمل المسلم، ويقين المؤمن، وطموح من يريد نشر الإسلام.

هذا الشاب الذي قال فيه الشاعر:

إِنَّ السَّامِحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادَ الْجِيُوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حِجَّةٍ يَا قَرَبَ ذَلِكَ سَوْدَدًا مِنْ مَوْلَدٍ^(١)

رأيتُ في باكستان بالقرب من كراتشي محطة كتب عليها: محطة مُحَمَّد بن القاسم، هذا الذي شقَّ طريقه في تلك البلاد، وخلد اسمه وذكره، بعمله لا بقوله، بجهاده لا بالتمني.

وهذا ما نريده لشبابنا اليوم.

نريد لشبابنا أن يعيش لرسالة، أن ينذر نفسه لخدمة الإسلام ونصرة الإسلام، فلقد وجدنا من ينذر نفسه لإقامة دولة يهوديّة، فالذي أقام الدولة اليهوديّة هم الشباب الذين جاؤوا من العالم ليقيموا دولتهم بين ظهرانينا، ليزرعوا هذه الشوكة في جنوبنا.

(١) من شعر يزيد بن الحكم. انظر: تاريخ دمشق (١٦٤/٦٥).

والشباب النّصراني يسّيح في أنحاء الأرض، مشرقاً ومغرباً، ذاهباً إلى الشمال وإلى الجنوب، يترك بلاد الحضارة، بلاد الأضرار الكهربائية، بلاد الإلكترونيات، وهي تدار الآن بدون أضرار، تقف أمام الباب فيفتح لك، بدون ضغطة زر واحدة.

ترك الشباب النّصارى ذلك كلّهُ، وذهبوا إلى أدغال آسيا وإفريقيا، يعيشون بين النّاس البدائيين؛ ليبشّروا بدينهم.

وفي الإحصاءات أنّ أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألفاً من المبشّرين والمبشّرات، أو المنصّرين والمنصّرات، في أنحاء العالم معظمهم من الشباب.

فأين شبابنا نحن؟ وماذا يشغل شبابنا اليوم؟

نحن نريد أن ينذر الشباب نفسه لنصرة الإسلام، نريد أن يجنّد الشباب نفسه لخدمة المجتمع، وخصوصاً في العطلات، بدلاً من هذا التفرّغ والتعطّل والتبطل.

نريد من الشباب أن يشعر أنّه عضو في جسم المجتمع، ينبغي أن يُعطيه كما يأخذ منه، لا ينبغي أن يعيش عالة على المجتمع، كلّ همته أن يأكل ويشرب ويلهو ويلعب، ويكتسي، ولا يقدّم شيئاً من قوته وشبابه. هذا لا يجوز.

ونريد من الآباء أن يعينوا أبناءهم وشبابهم على هذا، وفي هذا يقول أبو العتاهية:

إنّ الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة^(١)

(١) انظر: خاص الخاص للثعالبي ص ١٠٩.

الفراغ مع الشباب مع الجدة، أي: وجدان المال، كلما أراد شيئاً وجده، مفسدة وأي مفسدة للشباب.

لا بدّ أن نعلّم أولادنا أنّ الحياة معاناة، لا بدّ أن نتعب فيها، لا بدّ أن نغرس فيها، لا بدّ أن نعمل؛ فقد غرس لنا من قبلنا لنأكل، ونغرس ليأكل من بعدنا، مهما كان عندنا من أموال.

لا بدّ لشبابنا أن يجنّد نفسه لخدمة مجتمعه، وخصوصاً الضعفاء فيه؛ فالرسول ﷺ يقول: «وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ»^(١).

نريد لشبابنا أن يبني نفسه بناء حقيقياً، متكاملاً، يبني عقله بالثقافة، يبني رُوحه بالعبادة، ويبني جسمه بالرياضة، ويبني خُلُقَه بالفضيلة، ويبني نفسه اجتماعياً بخدمة المجتمع، والمشاركة في أفراحه وأتراحه، وآلامه وآماله، ويبني نفسه سياسياً بالاهتمام بأمر الأمة وقضاياها، من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

يبني نفسه عسكرياً، بالخشونة والبعد عن الطراوة التي نشاهدها في شباب هذا العصر.

نريد لشبابنا أن يبني نفسه، ويكون نفسه تكويناً متكاملاً، إذا أردنا أن نطمئن على مستقبل أمة من الأمم، فلننظر إلى شبابها، هل هم من الشباب الجاد العامل المثقف الطموح إلى الخير، الطموح إلى المعالي، أم هم من الشباب المنحط الهمم، الشباب الذي يسير وراء الشهوات، الذي يسير وراء البنات في الأسواق، الذي يسير وراء البنات في التليفونات، أي فراغ وأي عجز، وأي انحطاط أكثر من هذا الانحطاط؟!

(١) رواه البخاري (٢٨٩٦)، والنسائي (٣١٧٨)، كلاهما في الجهاد، عن سعد بن أبي وقاص.

إنَّا لن نطمئن على مستقبلنا إلَّا إذا اطمأننا على شبابنا، وإذا لم نطمئن على مستقبل شبابنا، فكبر على مستقبلنا أربع تكبيرات، صلِّ عليه صلاة الجنازة، فهو مستقبل ميت.

الشباب هم رُوح الأمَّة، رُوح حياتها، وحياة رُوحها، لا بدَّ أن ننهض بهم، وأن تتكامل الأجهزة المختلفة للعناية بهذا الشباب.

هناك في البلاد المختلفة وزارات للشباب، أو مجالس عليا لرعاية الشباب، ورعاية الشباب يجب أن تهتمَّ بالجسم والروح والعقل، يجب أن تهتمَّ بالشباب باعتباره فردًا، وباعتباره عضوًا في أسرة وفي مجتمع.

بعض وزارات الشباب تهتمُّ بالجانب الجسمي فقط، ولذلك تركّز على الرياضة، وأول رياضة تركّز عليها: «لعبة الكرة»، فأصبحت «الكرة» غاية تقصد، بل وثنا يُعبد، وما هكذا ينبغي أن تكون.

نحن نقدر لرعاية الشباب في قطر أنّها لم تكتفِ بالجانب الجسمي والرياضي فقط، بل جعلت هناك الجانب الثقافي في الأندية، والجانب الديني، وإقامة الصلوات، وهذا شيء يُحمد لرعاية الشباب في قطر، ونحن نطلب منها المزيد والمزيد.

ينبغي أن يكون في كلّ نادٍ مرشد ديني، وموجّه تربوي، ومشرف اجتماعي، وأن نُعنى بالروحانيات والماديات، ولا نقصر على اتجاه واحد، ولا نجعل كلّ همّنا في الكرة، وهذا ما ينبغي.

لقد اتخذ النَّاس الكرة وثنا، وأصبحوا ينقسمون بسببها، أصبحت هذه اللعبة مجالًا لتقسيم النَّاس، فهذا تبع لنادي كذا، وهذا تبع لنادي كذا. كأنما يُراد تمزيق النَّاس إلى خصوم متنافرين، بدل أن يكونوا إخوة متحابين.

ينبغي أن تتعاون الأجهزة كُلُّها، المسجد والإعلام، والإذاعة، والصحافة، والتلفاز، ورعاية الشباب، ووزارة التربية والتعليم، والوزارات المختلفة، كُلُّها ينبغي أن تتعاون على حُسن توجيه الشباب، والأسرة قبل ذلك كُلِّه؛ فالآباء والأمّهات مسؤولون قبل غيرهم، «كُلُّكم راع، وكُلُّكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته»^(١).

إنَّ الشباب يحتاج منّا إلى جهود وجهود، ما هي واجبات الشباب؟ وما هي الأعباء الملقاة على الشباب في عصرنا؟ وهذا موضوع طويل أرجو أن يُتاح لنا الحديث عنه، في الخطبة القادمة - إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا نزال نرى قضايانا وهي معلقة؛ لأنَّ حلَّها لم يعد بأيدينا في أكثر الأحيان، وإنَّما أصبح بأيدي الآخرين.

قضية كوسوفو:

قضية كوسوفو وما يجري فيها، وغفلة المسلمين عنها، وكأنَّها ليست قضية إسلامية، وكأنَّ هؤلاء الإخوة المساكين ليسوا من أمة: «لا إله إلاَّ الله مُحَمَّد رسول الله».

لا تزال هذه القضية تلعب بها أهواء السياسة العالمية، وكما قلت لكم في الخطبة الماضية: سيظلون يقولون: حلف الأطلسي يستعد لتوجيه الضربة، وكذا وكذا، وهو سيفعل هذا حينما تنتهي القضية، حينما يُقتل من يُقتل ويُهجَّر من يُهجَّر بمئات الآلاف، وهنا يتدخل حلف الأطلسي.

ونحمد الله ﷻ أنَّ قضية أفغانستان وإيران، أو قضية طالبان والجمهورية الإسلامية في إيران، قد خفَّت حدتها، ونرجو أن يغلب العقل على الهوى، وألاَّ يستجيب الحكماء والحكَّام لنداءات الشارع المثيرة، وللغضب الذي يدفع النَّاس إلى استرضاء الجماهير بأي ثمن.

هذا ما نريده، وقد بدت بوادر نسأل الله أن تستمرَّ، وأن يبعد عن المسلمين شرر الحرب الطائفية المذهبية، بين السنة والشيعة، فكما قلت لكم: إنَّها حربٌ لن يستفيد منها إلاَّ إسرائيل وأمريكا والقوى المعادية للإسلام، ولن يستفيد منها أحد الطرفين شيئاً، وقد جرَّبنا الحروب وعرفنا نتائجها، منذ حرب العراق وإيران.

تركيا تهدد سوريا:

والقضية التي تستحق الحديث عنها، هي قضية تركيا وتهديدها لسوريا، ما الذي حرّك هذا الأمر الآن، والمراقبون يقولون: إنّ الجبهة التي تتعلّق بحزب العمال الكردستاني، لم تكن أهدأ في وقت منها الآن، لم يجد جديد، ولم تحدث حوادث تقتضي أن تدق طبول الحرب، وأن تُشهر السيوف من أغمادها، وأن تنطلق التهديدات من تركيا لسوريا؟ فما الذي جرى؟!

إنّ الذي جرى - أيّها الإخوة، أنّ تركيا التي قادت العالم الإسلامي لعدّة قرون تحت راية الخلافة، بعد أن انفصلت من جسم الأمة الإسلامية، خرجت من عالمها الإسلامي لتنضمّ إلى إسرائيل في تحالف إستراتيجي عسكري.

وتريد تركيا بهذا العمل التهديدي لسوريا التغطية على أمرين:

الأول: يتعلّق بالتغطية على ما يجري الآن بين إسرائيل والفلسطينيين من تنازلات غريبة وعجيبة، فما يجري شيء لا يُصدّق، وهم يريدون أن يلفتوا الأنظار، وأن يُبعدوا النَّاس عن متابعة ما يجري من أحداث خطيرة، لها آثارها في مستقبل العرب، ومستقبل فلسطين، والحلف الإسرائيلي التركي يهمله ذلك.

الثاني: أنّ تركيا تريد أن تغطّي عمّا يجري في أرضها، فمنذ تبنت تركيا العلمانية وفرضتها على الشعب التركي بالحديد والنّار، وقتلت مئات الآلاف من النَّاس، وسفكت الدماء، وأزهقت الأرواح، ودخل من دخل في السجون.

ومنذ ذلك اليوم وتركيا تحارب الإسلام في أرضها، لا تريد أن ترتفع للإسلام راية في تركيا، والذي يقوم على ذلك هم حفنة عسكرية في الجيش التركي، وهذه الحفنة هي راعية العلمانية في تركيا.

ومنذ سنوات في الستينيات، حينما جاء «عدنان مندريس» وأعاد شيئاً من الحرية الدينية للناس، أعاد الأذان باللغة العربية، فقد كان الأذان - لأول مرة في العالم الإسلامي - يؤذن في تركيا بغير العربية، من خلال نطق كلمات مرادفة لكلمات الأذان، ولكن باللغة التركية.

فجاء «عدنان مندريس» وأعاد الأذان باللغة العربية، وقد قال لي الإخوة: حينما سمع الناس: الله أكبر. كانوا يخرون ساجدين في الشوارع، ويكون ويعانق بعضهم بعضاً من الفرح.

أعاد «عدنان مندريس» بعض الحريات الدينية للناس، فكان أن حدث ما حدث من الجيش، حيث قام الجيش بعمل انقلاب قاده رجل يسمى «جمال جورسل» وأخذ «عدنان مندريس» وقتل وأخفي قبره؛ حتى لا يعلم الناس به.

ثم بعد مدة من الزمن، بدأت هذه الصّحوة الإسلامية تصل إلى تركيا، شأنها شأن العالم الإسلامي كله، فأنشؤوا آلاف المدارس القرآنية للأطفال، ذكورا وإناثا، يحفظون القرآن الكريم، وهم لا يعرفون معناه بالعربية.

ونشأت مدارس للخطباء، على المستوى الثانوي، وعلى المستوى العالي، وقامت حركة إسلامية في تركيا، وأدت هذه الحركة إلى النجاح الجزئي لـ «حزب الرفاه الإسلامي»، بقيادة «نجم الدين أربكان»، وجُن جنون العلمانية التي يقودها الجيش، كيف يصل هؤلاء إلى الحكم.

ولم يكن وصول «نجم الدين أربكان» وحزبه وصولاً كلياً للحكم، وإنما وصلوا وصولاً جزئياً مشاركين لغيرهم، وكانوا في غاية من الليونة والحكمة والسياسة ومراعاة الظروف والأحوال، حتّى انتقدهم كثير من الإسلاميين المتشددين، ومع هذا لم يُعجب حماة العلمانية اللادينية في تركيا، وهم يقولون: إنهم حماة الديمقراطية! وأي ديمقراطية هذه؟!

إنهم يرون أنّ الديمقراطية محمية بشرط ألا تأتي بالإسلاميين، فإذا جاءت بالإسلاميين في بلد ما، فالديمقراطية حينئذٍ مُحارَبة، والديمقراطية مَدِينة، والديمقراطية مُتَهَمَة، هكذا رأيناها في الجزائر، وهكذا رأيناها في تركيا.

انظروا ما يجري الآن في تركيا، حيث قام أكثر من مائة ألف متظاهر، يطالبون بحرية لبس الحجاب للفتيات في الجامعات.

هناك فتيات يردن أن يرتدين الحجاب، فما الذي يضيركم في هذا؟! وهل معنى العلمانية أن تعادي الدين؟

وقد كانوا يقولون: إنّ العلمانية محايدة للدين، لا تثبته ولا تنفيه، لا تؤيده ولا تعارضه.

والآن أصبحوا يعارضون الدين، فعلمانيتهم هذه علمانية معادية للدين، وليست محايدة له - كما يزعمون، ومن أجل ذلك قام هؤلاء المتظاهرون يطالبون بالحرية للفتاة المسلمة في أن تتحجب إذا شاءت.

وبالأمس فقط سمعتُ أن هناك أربعين قاضياً سيُقدّمون للمحاكمة، بتهمة انتمائهم لبعض الطرق الصوفية، وقيل: إنهم أخذوا عليهم أنّهم يصلون في المساجد، وأنهم يمتنعون من مصافحة النساء. وهذه تهمة؟!!



وأي حرية هذه إذا كان من حقّ الإنسان أن يكفر بالله في تلك الدولة، وأن يكفر برسوله وأن يُتَّهم من يصلي في المسجد، أو يترك مصافحة النساء بأنّه متخلّف؟! لماذا لا تعطي حريّكم المزعومة للإنسان أن يعبد ربّه، لماذا لا تعطيه حرية في أن يصافح من يشاء ويترك مصافحة من يشاء؟ فهذا داخل في الحرية الشخصية.

إنّهم يريدون حرية موجّهة لخدمة العلمانية اللادينيّة، العلمانية المعادية للإسلام، من أجل تغطية هذه الأوضاع الداخلية في تركيا. ويهدّدون سوريا من أجل تغطية ما يحدث على الساحة العربيّة الفلسطينية الإسرائيليّة.

فهل يستسلم العرب للتهديد التركي؟

لقد قام الرئيس مبارك بجولة في سبيل تهدئة الأوضاع، وهو يُشكر على ذلك، ولكن إذا فُرض أنّ الأتراك ركبهم الغرور كعادتهم من قديم، وأرادوا أن يفرضوا إرادتهم على سوريا العربيّة الشقيقة، فهل يستسلم العرب؟

المفروض أن يقف العرب وقفة رجل واحد، كما وقفت إسرائيل مع تركيا.

ينبغي أن يقف العرب مع سوريا، ولا يستسلموا أبداً، وهذا ما يوجبه عليهم الدين، وتوجبه عليهم القوميّة، وتوجبه عليهم المصلحة المشتركة، ولا يجوز أن نفرط في أي شبر من أرضنا لهذه الطواغيت مهما تكن الأسباب.

الدعاء:

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَأَنْ يَجْمَعَ كَلِمَةَ أَمَّتِنَا عَلَى الْهُدَى، وَقُلُوبَهَا عَلَى الثُّقَى، وَنِيَّاتَهَا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَعِزَّائِمَهَا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمَنْ فَوْقَنَا، وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى الْيَهُودِ الْغَادِرِينَ، وَانصُرْنَا عَلَى الْوَثْنِيِّينَ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَانصُرْنَا عَلَى الصَّلِيبِيِّينَ الْحَاقِدِينَ، وَانصُرْنَا عَلَى الْمَلَاحِدَةِ الْجَاهِدِينَ، وَانصُرْنَا عَلَى جَمِيعِ أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، اللَّهُمَّ رَدِّ عَنَّا كَيْدَهُمْ، وَفَلِّ حُدَّهْمَ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَنَكِّسْ أَعْلَامَهُمْ، وَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ سَبِيلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ أَيْدِ إِخْوَتَنَا الْمَجَاهِدِينَ فِي فَلَسْطِينَ، وَفِي لُبْنَانَ، وَفِي كَشْمِيرَ، وَفِي السُّودَانَ، وَفِي سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ.

اللَّهُمَّ كُنْ لِإِخْوَانِنَا الْمُضْطَهَّدِينَ وَالْمُتَحَنِّينَ وَالْمُعْتَقَلِينَ، اللَّهُمَّ فُكِّ بِقَوَّتِكَ أَسْرَهُمْ، وَاجْبِرْ بِرَحْمَتِكَ كَسْرَهُمْ، وَتَوَلَّ بِعَنَائِتِكَ أَمْرَهُمْ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رِخَاءَ، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.



﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *





واجبات الشباب المسلم (١)^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الإنسان مكلف مسؤول:

لا زال حديثنا موصولاً عن الشباب، تحدثنا في الخطبة الماضية عن الشباب، وأهمية مرحلة الشباب، ومسؤوليتنا عن الشباب، ودور الشباب في هذه الحياة، ونتحدث اليوم - بتفصيل أكثر، أو بتفصيل مناسب - عن واجبات الشباب المسلم في هذا العصر.

لماذا نركز على الواجبات قبل الحقوق؟

وإنَّما نركز على الواجبات قبل التركيز على الحقوق؛ لأن فلسفة الشريعة الإسلامية تعتبر الإنسان مُكَلَّفًا بالواجبات قبل كل شيء، الإنسان مُكَلَّف مسؤول قبل أن يكون مطالبًا سائلًا، الإنسان في الحضارة الغربية يقول: ماذا لي؟ والإنسان في ظل الرسالة الإسلامية يقول: ماذا علي؟ وإذا أُدِّيت الواجبات فقد رُوعيت الحقوق، لأنَّ كلَّ حقٍّ لإنسان هو

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٩٨م.

واجب على غيره، حقُّ المحكوم واجب على الحاكم، وحقُّ المرأة واجب على الرجل، وحقُّ الابن واجب على الأب، وحقُّ الأب واجب على الابن، فإذا أُدِّيت الواجبات، فقد رُعيت الحقوق.

واجبات الشباب المسلم:

ومن هنا نتحدث عن واجبات الشباب المسلم في هذا العصر الذي نعيش فيه، والذي تتصارع فيه الدعوات والأفكار والمذاهب والفلسفات، فما هي واجبات الشباب المسلم في عصرنا؟

١ - الشعور بالمسؤولية:

الواجب الأول على الشباب المسلم: أن يستشعر المسؤولية، أن يعلم أنَّه مسؤول أمام الله عن هذه المرحلة الحيوية الهامة من عمره، أن الله سائله يوم القيامة عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، فعليه أن يُحضّر لهذا السؤال الخطير جواباً: كيف أنفق سنوات عمره؟ فيما أضاع هذا الزمان، زمان القوة والحيوية الدافقة؟ لا بد أن يراعي هذا وأن يشعر أنَّه مسؤول.

وعظ النبي ﷺ شاباً يوماً فقال له: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شُغلك»^(١). أول ما نصحه به: أن يغتني شبابه قبل هرمه، فهذه هي المسؤولية الأولى، أو الواجب الأول: استشعار المسؤولية.

ليست فترة الشباب فترة لهو ولعب، من حقِّ الإنسان أن يلهو اللهو

(١) سبق تخريجه ص ١٦٢.

البريء، وأن يلعب اللعب المُباح، وأن يُزَّوَّج عن نفسه، ولكن ليس من حقّه أن يُضَيَّع هذا الشباب في العبث والمجون والخلاعة، ويقول: الشباب شعلة من الجنون. لا، إنّ الشباب مرحلة من مراحل الإنتاج والعطاء، هذا هو الواجب الأول.

٢ - الاعتزاز بالإسلام:

الواجب الثاني على الشباب المسلم: أن يعتزّ بهذا الإسلام، ويؤمن بكماله وعظمته، وأنّ الله أكرمه بخير كتاب أنزل، وبخير نبيّ أرسل، وبخير دين شرع، أن يشعر بالاعتزاز أنّه مسلم، كما كان المسلمون الأوّلون، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ناجى الرجل الصالح ربّه قائلاً:

وممّا زادني شرفاً وتيهاً وكدتُ بأخمصيّ أطأ الثرىا
دخولي تحت قولك: يا عبادي وأنّ أرسلتُ أحمدَ لي نبياً^(١)

إنّه يعتزّ بهذا، وكان أحدهم يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم^(٢)

وعندما سُئل سلمان الفارسي: ابن من أنت؟ وكأنّ السائل يريد أن يقول له: أنت لست من إحدى القبائل العربية. وكان يمكنه أن يقول: أنا ابن مدنيّة فارس، أنا ابن كسرى أنوشيروان. ولكنّه لم يقل هذا، بل قال: أنا ابنُ الإسلام^(٣).

(١) من شعر القاضي عياض، كما في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفّاريني (٢/٤٧٥)،

نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

(٢) هو نهار بن توسعة، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/٥٢٨)، نشر دار الحديث، القاهرة.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٥٤٤)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

نريد أن نعتزّ بإسلامنا، إنَّ الله جعلنا بهذا الإسلام خير أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، جعلنا بالإسلام أُمَّةً وَسَطًا، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: بؤانا مرتبة الأستاذية للبشرية كلها، لنكون شهداء عليها، نحن معلمون للبشرية، البشرية كلها في حاجة إلينا.

صحيح أنَّ الإنسان في الحضارة الغربية استطاع أن يُخلِّق في الهواء كالطير، وأن يغوص في البحر كالسمك، ولكنَّه لم يستطع أن يمشي على الأرض كإنسان، لم يحسن التعامل مع نفسه، ولا مع ربه، ولا مع غيره، أفلست الحضارة الغربية بما فيها من نزعة ماديّة مجحفة، وإباحيّة مسرفة، ولذلك أصبحوا يعانون من الفراغ العقائدي، والقلق النفسي، والتفشُّخ الأسري، والتحلُّل الخلقي، والتخبط الاجتماعي، لم تسعدهم هذه الحضارة، استطاع الإنسان أن يصل إلى القمر، ولكنَّه لم يستطع أن يُسعد نفسه على سطح الأرض.

ومن هنا كان الغربيون في حاجة إلى رسالة جديدة، رسالة تعطيهم الإيمان ولا تحرمهم العلم، تعطيهم الآخرة ولا تسلبهم الدنيا، تعطيهم حقَّ التعبُّد ولكن لا تمنعهم حقَّ التعامل مع طيبات الحياة، يحتاجون إلى رسالة متوازنة، هذه الرسالة المتوازنة نملكها نحن المسلمين، فعلينا أن نعرف قيمة أنفسنا، وأن نعتزَّ بالإسلام، وأول مَنْ يجب عليه هذا: هو الشباب، هذا هو الواجب الثاني: الاعتزاز بالإسلام.

٣ - حسن فهم الإسلام:

الواجب الثالث على الشباب المسلم: أن يحسن فهم الإسلام، يحسن فقه هذا الدين، و«مَنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١)، لا يكفي أن تعتز بالإسلام، وتقول: نحن المسلمون، ونحن خير أمة، ونحن الأمة الوسط. دون أن تفهم دينك الذي تعتز به، لا بد أن تبذل جهداً في معرفة هذا الدين على حقيقته.

إنَّ المسلمين قد أتت عليهم أزمنة شوَّهوا فيها هذا الدين، ولبسوه كما يلبس الفرو مقلوباً، كما قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه^(٢). أساءوا فهمه، جزَّؤوه تجزئةً، جعلوه لحمًا على وضم، فقطعوه تقطيعاً.

والإسلام رسالة شاملة تشمل أمور الدنيا والآخرة، تشمل الحقوق والواجبات، تشمل الدين والسياسة، والاقتصاد والاجتماع، تُشرع للفرد وللأسرة، وللمجتمع وللحكومة وللعلاقات الدوليَّة، الإسلام رسالة شاملة للإنسان حتَّى قبل أن يُولد وهو جنين في بطن أمِّه، وبعد أن يموت هناك أحكام تتعلق بالجنائز، فهي رسالة الإنسان في كل مراحل حياته، ورسالة الإنسان في كل جوانب حياته، لا بد أن نفهم الإسلام بهذا الشمول، وبهذا العمق، نحن بحاجة إلى هذا الفهم.

ومن فضل الله أنَّ المكتبة الإسلامية حافلة بالكتب التي تُقدِّم الإسلام وتعرضه، ولكن المهم أن تحسن اختيار ما تقرأ، فليس كل ما تعرضه

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٩١/٧)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء التراث العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر.

سوق الكتاب يُقرأ، هناك غُثاء كثير، هناك الغُثُ والسمين، هناك الرديء والثمين، فأحسن الاختيار، واستشر بعض العلماء الثقات.

قال أحد الحكماء: أخبرني ماذا تقرأ، أخبرك من أنت. لا بد أن تحسن فهمك للإسلام، إذا أردت أن يريد الله بك خيرًا فتفقه في دينك، بالقراءة، أو بسماع الأشرطة، أو بحضور مجالس العلماء، ولكن عليك أن تُميّز بين ما ينبغي أن يُسمع، وما لا ينبغي أن يُسمع، ما ينبغي أن يُقرأ، وما لا ينبغي أن يُقرأ.

لا بد أن تحسن المعرفة بهذا الدين حتّى تسير فيه على بصيرة، وتكون على بينة من ربك ومن أمرك، ولذلك كان السلف رضوان الله عليهم يقولون: إنّ عبادة بلا علم تُفسد أكثر ممّا تصلح^(١). لا يمكن أن تؤدّي العبادة على وجهها إلّا بالعلم، قد تؤدّي العبادة مع بدع، و«كلُّ بدعة ضلالة»^(٢)، كيف تعرف المشروع من غير المشروع، المسنون من المبتدع، الحلال من الحرام، الصواب من الخطأ؟ لا بد من العلم لمعرفة هذا كله، لا بد من حُسن الفهم عن الله ورسوله، هذا هو الواجب الثالث.

٤ - التزام المنهج الوسط:

الواجب الرابع على الشباب المسلم: أن يلتزم المنهج الوسط، منهج التوازن والاعتدال، بعيدًا عن الغلو والتقصير، كما قال الله تعالى:

(١) انظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي ص ٤٤٩، تحقيق طه عبد الرؤوف، نشر شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط ١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٢) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرّجوه: صحيح. وأبو داود في السنّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١٧٤/١)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩]. لا طغيان ولا إفسار، لا غلو ولا تقصير، لا إفراط ولا تفريط.

روى ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَك مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»^(١).

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «هَلَكِ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكِ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكِ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(٢). الْمُتَنَطِّعُونَ: الْمُغَالُونَ الْمُتَعَمِّقُونَ، الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ حَدِّ التَّيْسِيرِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، فَالْغُلُوَّ مُهْلِكٌ، وَالتَّنَطُّعُ مُهْلِكٌ.

ولذلك قال عليُّ بن أبي طالب (عليه السلام): عليكم بالنَّمَطِ الأَوْسَطِ، الَّذِي يَلْحَقُ بِهِ التَّالِي، وَيُرَدُّ إِلَيْهِ الْغَالِي^(٣). المتأخِّرُ يجب أن يَلْحَقَ بِهِ، وَالَّذِي سَبَقَ كَثِيرًا يَجِبُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْوَسْطِ.

وقال بعض السلف: إِنَّ هَذَا الدِّينَ وَسْطٌ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ^(٤). نريد المنهج الوسط للأمة الوسط، نريد من شبابنا إذا فهم الإسلام ألا يغلو فيه، ولا يفرط فيه أيضًا، لا غلو ولا تفريط.

فقه الأولويات:

كما نريد من الشباب أن يهتم بالأصول قبل الفروع، وبالفرائض قبل النوافل، وبالمحرّمات قبل المشتبّهات، وبالكبائر قبل الصغائر،

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، جميعهم في المناسك.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٨١/٣).

وبالكليات قبل الجزئيات، وبالقطعيّات قبل الظنيّات، وبالجوهر قبل الشكل، نريد أن يفقه الأولويّات في هذا الدين، ليست كل تعاليم هذا الدين وتكاليفه في مستوى واحد وفي مرتبة واحدة.

هناك في جانب المأمورات: العقائد، وهي في المرتبة الأولى، ثم الأركان والفرائض الركنيّة، الأركان الخمسة، ثم الفرائض غير الركنية، ثم الواجبات، وهي شيء أقل من الفرض وفوق المستحب، ثم المستحبّات وهكذا نجد سلّمًا للمأمورات، ينبغي أن نعرف هذا السلّم ونفقه أولويّاته.

وهناك في جانب المنهيّات: الكفر والشرك بالله تعالى، الذي لا يغفره الله بحال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ثم هناك كبائر المحرّمات، والكبائر متفاوتة، وفي بعض الأحاديث: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»^(١) فهناك كبائر، وهناك أكبر الكبائر، ثم هناك صغائر المحرّمات، ثم هناك المشتبهات التي لا يعلمهنّ كثير من الناس، وهي مرتبة بين الحلال والحرام، ثم هناك المكروهات، هناك ما هو مكروه تحريمًا، وهو ما كان إلى الحرام أقرب، وهناك المكروه تنزيهًا، وهو ما كان إلى الحلال أقرب، هذه المراتب المتفاوتة يجب أن نعيها ولا نخلط بين بعضها وبعض.

هناك أناس يقيمون معارك من أجل سنّة، ولا يُلام الإنسان على ترك السنّة، كما جاء في الحديث: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الإسلام، فذكر له الفرائض من الصلاة والصيام والزكاة وشرائع الإسلام. فقال الرجل: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص يا رسول الله. فقال النبي ﷺ:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

«من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجَنَّةِ فليَنظرُ إلى هذا»^(١). فلا داعي إذن أن تُشعل الحرب وتُنصب المعارك من أجل ترك سنّة.

فقه الدعوة:

هناك أناس كل همهم إشعال الحرب من أجل الأمور الخلافية، أنت لك فيها رأي، ولغيرك فيها رأي؛ فلماذا لا تسع غيرك، كما وسعك غيرك؟ لماذا تعتبر رأيك صواباً لا يحتمل الخطأ، ورأي غيرك خطأ لا يحتمل الصواب؟ لماذا لا تقول كما قال الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب^(٢). والاحتمال في كلا الجانبين - احتمال الخطأ في رأيي، واحتمال الصواب في رأي غيري - يُقَرِّب المسافة بين الطرفين.

نريد من شبابنا أن يتجنّب الغلظة والخشونة في الدعوة، وأن يتبنّى الحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله تبارك وتعالى، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وأن يتبنّى اللين والرفق، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. نريد أن يتبنّى شبابنا منهج الاعتدال والرفق، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٣).

وفي موقف من المواقف شَدَّدت عائشة على اليهود الذين آذوا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.
(٢) نقل الهيتمي أن ذلك مذهب الشافعية. انظر: الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤)، نشر المكتبة الإسلامية.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٩٣٨)، عن عائشة.

رسول الله ﷺ بالسنتهم حين قالوا: السَّامُ عليك يا محمد. أي: الموت والهلاك عليك، فقالت لهم: وعليكم السام واللعنة يا أعداء الله. فقال لها النبي ﷺ: «يا عائشة، إِنَّ الله يحبُّ الرفق في الأمر كله». قالت: أو لم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ قال: «قد سمعت، وقلت: وعليكم»^(١). قالوا: السام عليك. أي الموت والهلاك عليك، فقلت: عليّ وعليكم. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَلْدُ أَفْأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. هكذا كان ﷺ، نحن في حاجة إلى أن يتعلم الشباب هذه الحكمة، وهذا الرفق وهذا اللين.

كأنّي ببعض الشباب يقرؤون قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. كأنهم يضعون على الحاء نقطة، وعلى السين ثلاث نقاط، فيقرؤوها: (بالتي هي أحسن). وليس ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فلا ينبغي الخشونة والغلظة في الدعوة، هذا من منهج التوازن والوسطية والاعتدال، الذي ينبغي أن يتبنّاه الشباب، فإذا فهم دين الله وفقهه، ينبغي أن يفقهه بهذه الصورة، وبهذه الطريقة.

٥ - مصاحبة العمل للعلم:

الواجب الخامس على الشباب المسلم: هو العمل، بعد أن يفهم الإسلام ويفقهه قراءةً وسماعاً وحضوراً، ماذا عليه بعد ذلك؟ هل الإسلام مجرد ثقافة يمتلئ بها عقل الإنسان المسلم؟ ربما وجدنا بعض المستشرقين يقرؤون الكثير والكثير من كتب الإسلام، هل الإسلام مجرد قراءة واطلاع؟ لا؛ بل لا بد مع العلم من عمل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

لقد كان أوّل ما نزل في كتاب الله قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. الآية الأولى تأمر بالقراءة، والقراءة مفتاح العلم، ثمّ نزلت هذه الدفعة الثانية من الآيات لتأمر بالعمل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧]. فالعلم لا بد أن يصاحبه عمل، العلم النظري وحده لا يكفي، سيكون حُجّة عليك يوم القيامة، حينما تُسأل: ماذا عملت فيما علمت؟

لا بدّ للإنسان أن يحوّل علمه إلى عمل، أن يؤثر هذا العلم في واقع حياته، أن ينشئ حياة إسلاميّة صحيحة متكاملة، هذا هو الواجب على الإنسان المسلم، وعلى الشباب المسلم خاصّة، العلم للعمل، علم بلا عمل كسحاب بلا مطر، أو كزرع بلا ثمر، ولذلك كان النبي ﷺ يستعيد بالله من العلم الذي لا ينفع^(١)، لا بد أن ينفع العلم صاحبه، بأن يكون صورةً لهذا العلم، مرآةً تعكس ما تعلمه من دينه.

أمّا أن يقرأ ويستوعب ولكنه بعيد عن تعاليم هذا الدين، أن يكون في وادٍ وتعاليم هذا الدين في وادٍ آخر، أن يكون هناك انفصال بين العلم والإرادة، بين العقل والقلب، بين الفكر والواقع، فهذا لا يجوز.

حينما وصف الله تعالى لنا الإيمان في القرآن، وصفه بأعمال، جسّده في أعمال وأخلاق، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٥]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٨، ٩]، هذه كلها أعمال، فنحن

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

نريد من الشباب المسلم: أن يحول الفهم والفقه في الدين إلى أعمال إيجابية بناءة، ينفع بها نفسه وينفع المجتمع من حوله، هذا هو الواجب، لا تكفي القراءة ولا يكفي سماع المحاضرات، ولا يكفي الحضور إلى المشايخ، إذا لم يتحوّل ذلك كله إلى سلوك.

المسلمون في العصور الأولى إنما نشروا الإسلام بأعمالهم وأخلاقهم، لا بكثرة الكلام ولا بكثرة العلم؛ بل الذي نشر نور الإسلام في العالم هو العمل، والسلوك، والأخلاق، فعلى أن نكون في هذا العصر كما كان أسلافنا رضوان الله عليهم.

كان عمر رضي الله عنه يستعيز بالله من المنافق العليم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كيف يكون منافقاً وعلماً؟ قال: عالم اللسان، جاهل القلب^(١). أي: إن علمه على لسانه، ولم يصل إلى قلبه ليؤثر فيه، لم يصل إلى إرادته ليحركها نحو الخير، ويحفّزها إلى عمل الصالحات، ويجنبها عمل السيئات، هذا هو المنافق العليم، عالم اللسان جاهل القلب.

نريد الشباب المسلم أن يكون مرآة لما فهمه من الإسلام، وأن يتجلى ذلك في عمله وسلوكه وأخلاقياته، في سلوكه مع نفسه، وفي سلوكه مع ربه، وفي سلوكه مع إخوانه، وفي سلوكه مع أسرته، وفي سلوكه مع مجتمعه، وفي سلوكه مع المسلمين، ومع غير المسلمين، وفي سلوكه مع الإنسان وسلوكه مع الحيوان، نريد أن تتجلى الرحمة الإنسانية في سلوك كل مسلم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ونريد من

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٣)، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

الشباب أن يكون مرآة لهذه الرحمة العامة التي بعث الله بها محمدًا ﷺ، والذي قال عن نفسه: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(١). هذا هو الواجب الخامس.

٦ - العمل لخدمة المجتمع:

الواجب السادس على الشباب المسلم: أن يعمل الشباب لخدمة المجتمع، هناك عمل خاص بأن يعمل على إصلاح نفسه وتكوينها تكوينًا متكاملًا، وهناك عمل عام بأن يعمل على خدمة غيره وإصلاح غيره، لا بد أن يعمل لخدمة المجتمع الذي يعيش فيه، فالمجتمع يحتاج إلى سواعد الشباب، إلى همّة الشباب.

لا يجوز للشباب أن يستعلي على المجتمع، أنه مثقف وهؤلاء الناس أميون جاهلون، لا، عليك أن تُعلّم الأمّي، عليك أن تُدرّب العاطل إذا كان عندك قدرة على تدريبيه، عليك أن توعي الناس التوعية الصحيّة، عليك أن تنشر في الناس الوعي بالنظافة، ووجوب النظافة، وإمالة الأذى عن الطريق. على الشباب أن ينزل إلى المجتمع حتّى يتعلّم المجتمع من جهل، وحتى يستنير من ضلال، وحتى يعرف طريقه الصحيح.

كثير من الشباب في أيام العُطل لا يستفيد من هذه العُطل، هو متعطّل فكأنما عُطل عن كل شيء، ليس له عمل، ينبغي أن نشغل الشباب في هذه العُطل بعمل مثمر، وأعظم الأعمال ثمرة هو العمل لخدمة المجتمع من حوله.

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

إنَّ الإسلام يجعل أي عمل لخدمة المجتمع عبادة، «إمالة الأذى عن الطريق صدقة»^(١)، «الكلمة الطيبة صدقة»^(٢)، «تبسُّمك في وجه أخيك صدقة»^(٣)، «أمرٌ بمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكر صدقة»^(٤)، أي عمل تقدّمه للناس هو صدقة، ليست كل الصدقات مالية؛ فتقتصر على الأغنياء وأصحاب الثروات، هناك صدقات اجتماعية، صدقات ثقافية، صدقات علمية، يمكن أن يُقدّم كل إنسان منها ما يستطيع لخدمة مجتمعه، نحن جزء من المجتمع، فلا بد أن نعرف ماذا علينا لهذا المجتمع، حتّى ننهض به، ونرقى بمستواه، ويتبوأ مكانته تحت الشمس، هذا هو الواجب السادس على الشباب المسلم، أن يفكر في خدمة هذا المجتمع ويرقى به.

٧ - الدعوة إلى الإسلام:

الواجب السابع على الشباب المسلم: أن يدعو المجتمع إلى الإسلام، كما تعلّم هو الإسلام وفهمه، عليه أن يُعلّم غيره، وأن يدعو غيره إلى الإسلام، وإلى أن يعمل للإسلام كما عمل هو بالإسلام، لقد عمل بالإسلام وأصبح صورة طيبة، لا يكفي هذا، الإسلام يفرض على كل مسلم أن يدعو غيره، أصلح نفسك وادع غيرك،

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حديث حسن غريب. والبخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. عن أبي ذر الغفاري.

(٤) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٢٠)، وأحمد (٢١٤٧٥)، عن أبي ذر.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، كل مسلم مخاطب بقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ولكل من يتأتى خطابه من الأمة، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإذا كنت ممن اتبع محمداً ﷺ فيجب أن تكون داعياً إلى الله، وداعياً على بصيرة.

هكذا يدعو كل مسلم إلى الله بما استطاع على اختلاف مستويات الناس ومراتبهم، هناك من يدعو بتأليف الكتب، وهناك من يدعو بإلقاء الخطب، وهناك من يدعو بإلقاء الدروس، وهناك من يدعو بالأسوة الحسنة، بالكلمة الطيبة، بالصحبة الصالحة، بترغيب الناس في الخير، يدعو على قدر ما يستطيع، كلنا دعاة إلى الإسلام خصوصاً الشباب، يجب أن يحمل الشباب رسالة الإسلام إلى المسلمين في داخل المجتمع الإسلامي، وإلى غير المسلمين.

وقبل أن ننشره في العالم، يجب أن ننشره في مجتمعنا، أن نوعي به المسلمين، أن نردّ المسلمين إلى الله ردّاً جميلاً، أن نُمسّكهم بحقيقة الإسلام، هذا هو واجب المسلمين عامة، وواجب الشباب خاصة.

لم يكن على الشباب في العصور الأولى مثل ما علينا، فما علينا الآن أكثر ممّا كان عليهم، لقد نشأ شباب تلك العصور في ظل الخلافة الإسلامية، وفي ظلّ أمة واحدة، وشرعية مُحكّمة، وسيادة من أنفسهم على أنفسهم، أمّا الآن فنحن نعيش في أمة ممزّقة، وشرعية مُعطّلة، وسيطرة من القوى الأجنبية على ديارنا، وتَحكّم من العلمانيين في معظم العالم الإسلامي في رقابنا.

ولهذا ينبغي على الشباب أن يحمل هم الرسالة، أن يحمل هم الأمة، ألا يعيش فارغاً كما عاش غيره، كما قال المثل العربي: ويل للخلي من الشجي. لا بد أن يحمل هم الأمة ويشعر بالقلق عليها، هذا هو واجب الشباب في عصرنا.

لا نريد هذا الشباب المتسكع، الذي لا معنى له ولا قيمة، والذي يمشي في الطرقات ليعاكس الفتيات، أو يجلس في البيت ليعاكسهن بالتليفونات، هذا شباب فارغ، هذا في ميزان الرجال لا يساوي فلساً، نحن نريد الشباب المؤمن القوي، ف«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١)، نريد الشباب القوي في فكره، القوي في إيمانه، القوي في أخلاقه، القوي في جسمه، القوي في عزمه، القوي في روحه، هذه القوة هي المطلوبة لشبابنا المسلم.

نظر عمر بن الخطاب إلى شاب يطأطئ رأسه ورقبته، فقال له: يا هذا! لا تُمِت علينا ديننا! ارفع رأسك؛ فإنَّ الخشوع في القلوب، وليس الخشوع في الرقاب^(٢). ورأت إحدى الصحابيات بعض الفتيان يمشون في الطريق متماوتين، فسألت: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نُسَّاك. أي عبَّاد، فقالت لهم: لقد كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وكان هذا هو النَّاسك حقاً^(٣). في كل شيء عنده قوَّة، هذا هو النَّاسك حقاً، نريد من الشباب أن يتمثَّل هذه القوة في حياته، وأن يعيش بهمِّ الإسلام، ونشر الإسلام، وتعليم الإسلام.

نريد أن يكون للإسلام رجال كما أنَّ لليهودية رجالاً، أقاموا لها دولة

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: الكامل للمبرد (١٢٢/٢)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) مدارج السالكين (٥١٧/١).



في ديارنا، وكما أن للنصرانيّة رجالاً يريدون أن ينشروها في العالم، وجنّدوا لها حوالي خمسة ملايين تقريباً من المُنصّرين والمُنصّرات، نشروهم في أنحاء العالم، وكما أنّ للبوذية وللوثنيّات المختلفة الآن أناساً ينشرونها في أمريكا وفي الغرب.

أليس أولى بنا - ونحن أصحاب الدين العالمي، والدين الخالد والخاتم - أن نقوم بهذا؟ يجب أن نهتم بأمر ديننا، أن نُجنّد أنفسنا لهذا الدين، لا بد أن يوجد للإسلام رجال يتبنون رسالته، ويحتضنون همومه، ويعيشون لأتمته، هذا هو الذي ينبغي، وأول مَنْ يجب عليهم هذا هم الشباب، أمل الأمة، وعمادها، ومستقبلها.

أقول قولي هذا أيّها الإخوة والأخوات، وأستغفر الله لي ولكم، فادعوا الله تعالى يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

أفريقيا والإسلام:

دخل الإسلام إلى أفريقيا منذ عصر رسول الله ﷺ، وكان أول أفريقي دخل في دين الإسلام هو النّجاشي ملك الحبشة، الذي أسلم ومات على الإسلام، وصلى عليه الرسول ﷺ في المدينة مع أصحابه، ثم دخل الإسلام مصر مبكراً في عهد عمر بن الخطّاب، وأنشئ أول مسجد في أفريقيا - مسجد عمرو بن العاص - في الفسطاط، أو في مصر القديمة، ثم دخل النّاس في دين الله أفواجا وانتشر الإسلام بعد ذلك في شمال أفريقيا، وفي وسطها، وفي شرقها، وفي غربها.

ومعظم من دخلوا الإسلام في أفريقيا دخلوه مختارين، لم يدخلوا بالسيف في هذا الدين - كما يقول الأفّاكون من المُبشّرين وأمثالهم - فقد يفتح السيف أرضاً، ولكنّه لا يمكن أن يفتح عقلاً، يمكن أن تُفتح الأرض أولاً، ثم بعد ذلك يدخل النّاس باختيارهم في الإسلام.

والإسلام لا يقبل الإكراه، ولو دخل الإنسان في الدين مكرهاً؛ فإيمانه باطل في الإسلام، كل مَنْ دخل في الإيمان بشائبة إكراه؛ فلا اعتبار لإيمانه، مثل إيمان فرعون الذي قال عند الغرق: ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. فقال الله له: ﴿ءَاَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

ومثل إيمان الذين نزل بهم بأس الله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿ [غافر: ٨٤، ٨٥].

دخل النَّاس في أفريقيا الإسلامَ مختارين، حتَّى مصر دخل فيها عمرو بن العاص بأربعة آلاف جندي، واستمدَّ المدد من أمير المؤمنين عمر؛ فبعث إليه أربعة آلاف أخرى، فأصبح المجموع ثمانية آلاف جندي، تحارب الإمبراطورية الرومانية التي ظَلَّت قرونًا في مصر، فكان الشعب المصري مؤيِّدًا للمسلمين العرب، وكان مرحِّبًا بهم؛ ليزول عنه الظلم الذي طالما تجرَّعه قرونًا مضت.

دخل الإسلام في أفريقيا، وهناك بعض البلاد لم يدخلها جيش قط، إنَّما انتشر الإسلام فيها عن طريق رجال الصوفية، وعن طريق التجار ونحو ذلك، وكادت قارة أفريقيا في وقت من الأوقات أن تكون قارة إسلامية خالصة، انتشر الإسلام في شمالها وشرقها وغربها ووسطها.

ثم جاء الاستعمار ودخل أفريقيا وحاول أن يغيِّر من طبيعتها، من انتمائها، عن طريق التبشير والتَّنصير والإغراءات الكثيرة؛ لإدخال النَّاس في النصرانية، إغراء الفقير بالمال، وإغراء الأمِّي بالتعليم، وإغراءات شتى، ولكن بقي الإسلام فيها هو الدين الأول من غير شك، هو الدين الَّذي تؤمن به الأغلبية العظمى الساحقة في هذه القارة.

دعم الإسلام في أفريقيا:

إنَّ هذه القارة أيُّها الإخوة تحتاج من المسلمين إلى رعاية؛ حتَّى يثبت الإسلام في أبنائها، وحتى ينتشر الإسلام في غير أبنائها، وهذا



ما يخيف القوى المعادية للإسلام، لماذا يقفون ضد السودان؟ لماذا يكيدون له ذلك الكيد العظيم، ويمكرون به ذلك المكر الكُبَّار؟ لماذا يبيِّتون له المؤامرات صباح مساء؟ لماذا يغرون جيرانه بغزوه؟

إنَّهم يخافون من انتشار الإسلام عن طريق السودان، فالسودان هو البلد الوحيد المُهيَّأ ليكون بَوَّابة هذا الدين إلى أفريقيا، فهو بلد عربي أفريقي، فيه عنصر العروبة، وفيه عنصر الأفريقية، يستطيع أن يدخل بهما إلى بلاد أفريقيا، وله جيران عدة فيستطيع بذلك الذهاب من هنا وهناك؛ ليدخل إلى أفريقيا، وينشر الإسلام في بلدانها، ولهذا يقفون ضد السودان لعدائهم للإسلام، ولكن الله سُبْحَانَهُ من وراءهم محيط.

مشروع مصحف أفريقيا:

لقد قامت منظمة الدعوة الإسلامية في السودان منذ سنين طويلة، وقبل أن تقوم ثورة الإنقاذ، قامت هذه المنظمة في الخرطوم، منظمة أفريقيَّة عالميَّة، تعمل للدعوة إلى الإسلام في كل مكان، وخصوصًا في أفريقيا، تعمل على تثبيت الإسلام في نفوس المسلمين، وعلى نشر الإسلام بين غير المسلمين، وهي اليوم تتبنَّى مشروعًا له وزنه وقيمته وتأثيره، إنَّه مشروع (مصحف أفريقيا).

ذلك أنَّ أفريقيا أيُّها الإخوة المسلمون تحتاج إلى مصحف تقرأه، وهذه القارة دون بقية القارات فيها أربع قراءات: قراءة حفص عن عاصم المشهورة هنا، وفي معظم العالم الإسلامي، وقراءة ورش عن نافع، وقالون عن نافع، وقراءة الدوري عن أبي عمر، أربع قراءات في هذه القارة، ولكن أهلها لا يجدون ما يشبع نهمهم ويلبِّي حاجتهم من

المصاحف، تصل إليهم آلاف المصاحف من بعض البلاد الإسلامية، ولكنهم يحتاجون إلى ملايين المصاحف.

تصوّروا أنّ النَّاسَ هناك يُقَطِّعون المصحف أوراقاً وأوراقاً، ويأخذ كل واحد عدة أوراق يقرأ فيها، فلا يجدون مصحفاً؛ بل يستأجر بعضهم المصحف، يقول: أعطني المصحف بكذا درهماً لأقرأ فيه يوماً أو عدة أيام ثمّ أردّه إليك. وذلك لقلة المصاحف.

لهذا شعر الإخوة في منظمة الدعوة الإسلامية بهذه الحاجة الملحة، كيف لا يتوفّر للمسلمين مصحف يتلون فيه كتاب ربهم؟

ونحن مأمورون بتلاوة هذا القرآن، هي التجارة التي لن تبور، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

ويقول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن - الذي يتقن تلاوته ويحسنها ويجودها - مع السفرة الكرام البررة - مع الملائكة - والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقُّ له أجران»^(١). أجر التلاوة، وأجر التعتة. أي: المعاناة والمشقة التي يعانها وهو يقرأ، هذا كله للحث على تلاوة القرآن وقراءته.

ويقول: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، لا أقول: الم حرف. وإنما ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٨)، عن عائشة.

(٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٠)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٧)، عن ابن مسعود.

لهذا يحرص المسلمون في كل أنحاء العالم على تلاوة القرآن، وخصوصاً في أفريقيا، وبالأخص في السودان الذي اشتهر بخلاويه القرآنية، هناك عشرات الآلاف من الخلاوي يتعلم الناس القرآن فيها، ميراث من موارث هذه الأمة، الخلوة التي تُعلم القرآن هناك هي مثل الكتابات التي تُعلم القرآن عندنا.

الكفاية من المصاحف:

هؤلاء يحتاجون أيها الإخوة إلى ما يكفيهم من مصاحف، يتلون فيها كتاب الله ﷻ، وأعتقد أن من واجبنا نحن المسلمين أن نوّفرها لهم، وأن نساعدهم على تحقيق هذه الأمنية، كيف تعجز أمة الإسلام التي تبلغ ملياراً وثلث المليار من المسلمين عن أن توفر لكل مسلم مصحفاً؟

لقد رفع الإخوة في منظمة الدعوة الإسلامية هذا الشعار (مصحف لكل مسلم في أفريقيا)، يجب أن يتيسر لكل مسلم في أفريقيا مصحف يقرأ فيه، وهذا ليس بالكثير، إن كتاب الله ﷻ هو موطن عزنا، ومناط فخرنا، ومصدر هذا الدين الأول، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقد تولى الله تعالى حفظه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ومن حفظ هذا الذكر وحفظ هذا القرآن: أن يظل قُرْأوه يتلونه ويحفظونه، بالروايات المختلفة والقراءات المختلفة، حتى لا تنقرض هذه الروايات.

ترجمة القرآن باللغات الأفريقية:

وهناك واجب آخر، واجب نشر ترجمة معاني القرآن باللغات الأفريقية، لا يجوز أن ندع غير العرب من الأفارقة لا يفهمون هذا القرآن،

هم يقرؤونه ويحفظونه لكن ينبغي أن نساعدهم على فهم هذا القرآن، «خيركم مَنْ تعلم القرآن وعَلَّمه»^(١).

ولا يمكن أن نتعلّم القرآن بغير فهم، ولذلك كان من ضمن هذا المشروع ومن أهدافه: أن تُترجم معاني القرآن إلى اللغات الأفريقية، إذا كان المُنصِّرون قد ترجموا الإنجيل بحوالي سبعمئة لغة ولهجة أفريقية، أفلا يجب علينا نحن المسلمين أن نسعى في ترجمة معاني كتابنا إلى هؤلاء المسلمين؟

من أجل هذا أيُّها الأخوة يجب علينا أن نساعد في هذه المهمّة الجليلة، أن نضع أيدينا في أيدي إخواننا في منظمة الدعوة الإسلامية في الخرطوم، وأن نعتبر هذا المشروع مشروعًا لنا، إنّه ليس مشروعًا للسودانيين؛ بل هو مشروع كل مسلم، فيجب على كل مسلم أن يهتم لنشر القرآن في العالم، والحفاظ عليه بقراءاته المختلفة، هذه هي الصدقة الجارية، هذا هو العلم النافع، هذا هو الأجر الجزيل، الذي يسعى إليه كل مسلم حريص على دينه، ينبغي أن نساعد إخواننا، وفي الحديث: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَه، وَمَصْحَفًا وَرَّثَهُ»^(٢). أن يُورث غيره مصحفًا.

أداء واجب العون:

ساعد أيُّها الأخ المسلم، وساعدي أيُّها الأخت المسلمة، ساعدوا جميعًا في إقامة هذا المشروع الجليل، وهذا المشروع يتكلّف بكل

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، عن عثمان بن عفان.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٤٢)، وابن خزيمة في الزكاة (٢٤٩٠)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٢٣)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (١٠٢/٧): إسناده حسن، أكثر رجاله رجال الصحيح. وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٩٨)، عن أبي هريرة.

ما يطلبه في مرحلته الأولى خمسة ملايين دولار، منها مبلغ لإقامة المباني، ومنها مبلغ آخر لماكينات الطباعة، ومنها مبلغ آخر للمليون الأولى التي تُطبع، هذا كله يحتاج خمسة ملايين دولار.

أنا أعتقد أنّ بعض المسلمين الذين أفاء الله عليهم من فضله يستطيع أن يقول: أنا والله أتولّى هذا المشروع وأتبناه. وهذا ما يفعله النصارى، ما يفعله المسيحيون، بعض أغنيائهم الكبار يتبنون مثل هذه المشروعات الكبيرة، ولكننا قلما نجد هذا للأسف في ديارنا، فلم يبقَ إلّا أن نتوجّه إلى أصحاب الدخل المحدود، أن يتقدموا بجهدهم، ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، يدفعون القليل، وأفضل الصدقة جهد المُقل، وأحياناً يسبق الدرهم الواحد مائة ألف درهم، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «سبق درهم مائة ألف». قالوا: يا رسول الله وكيف؟ قال: «رجل له درهمان، فأخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير؛ فأخذ من عرض ماله مائة ألف، فتصدق بها»^(١).

علينا أيّها الأخوة أن نمدّ أيدينا إلى إخواننا، هناك من يقفون بالصناديق لتبرع لهم نقداً، وهناك مَنْ يمكن أن يدفع في حساب هذا المصحف في مصرف قطر الإسلامي، في بنك قطر الدولي الإسلامي، أو في مكتب منظمة الدعوة الإسلامية في الدوحة، ولهذه الجهات هواتف معروفة في الصحف تستطيعون الوصول إليها، ومن أراد شيئاً وصل إليه، المهم أن تكون عندنا النية لنصرة هذا المشروع.

(١) رواه أحمد (٨٩٢٩)، وقال مُخَرَّجوه: إسناده قوي. والنسائي (٢٥٢٧)، وابن حبان (٣٣٤٧)، والحاكم (٥٧٦/١)، وصحّحه، ثلاثتهم في الزكاة، عن أبي هريرة.



أنادي الإخوة والأخوات الذين يسمعونني الآن في قطر: أن يمدُّوا أيديهم لهذا المشروع الإسلامي الجليل؛ ليكون ذلك ذخراً لهم عند الله، وصدقة جارية، كلما قرأ قارئ في (مصحف أفريقيا) آية من كتاب الله: كان لك أجرٌ حتَّى ينتهي هذا المصحف.

نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين رشدهم، وأن يفتح لهم فتحاً مبيناً، وأن يهديهم صراطاً مستقيماً، وأن ينصرهم نصراً عزيزاً، وأن يتمَّ عليهم نعمته، وينزل في قلوبهم سكينة، وينشر عليهم فضله ورحمته؛ إنَّه سميعٌ قريبٌ.





واجبات الشباب المسلم (٢) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نتحدث عن الشباب، وأهمية الشباب، ودور الشباب في الإسلام، وفي الخطبة الماضية تحدثنا عن واجبات الشباب، وذكرنا سبعة واجبات على الشباب، وبقيت هناك واجبات ثلاثة:

٨ - التسلح بالعلم والثقافة:

الواجب الثامن على الشباب المسلم بعد السبعة الماضية: أن يتسلح بالعلم والثقافة، أن يتفوق في اختصاصه، أن يبذل جهده في طلب العلم. نحن للأسف موسومون بأننا من العالم المتخلف، الذي يسمونه العالم الثالث، ولو كان هناك عالم رابع لنُسبت إليه بعض بلاد المسلمين؛ لا زالت الأمية تسود في كثير من بلاد الإسلام، ولا زال بعض الناس يعتقدون أن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام.

وهذا غير صحيح بالمرّة، فيوم كان المسلمون مسلمين، ويوم كان

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٩٩٨م.

الإسلام إسلامًا: كان المسلمون هم الأمة الأولى والعالم الأول في هذه الدنيا، قادت حضارتهم العالم حوالي عشرة قرون، كان المسلمون فيها هم السادة والرادة والقادة، وكان العالم يتعلم على أيديهم، ويتعلم في مدارسهم وجامعاتهم، وكانت اللغة العربية هي لغة العلم، وكان مَنْ يريد من أبناء أوروبا أن يظهر أنّه إنسان مثقف أو متقدّم: تكلم ببعض ألفاظ بالعربية، كما يفعل كثيرون الآن حينما يُكلّمونك؛ فيدخلون في كلامهم كلمات بالإنجليزية أو بالفرنسية؛ ليشعروك أنّهم من أهل التقدم والحضارة، هكذا كنا وينبغي أن نعود إلى ما كنا عليه.

علوم الدين والدنيا:

ولا يكون هذا إلّا إذا أتقنّا العلم وتفوّقنا فيه، ليس علم الشريعة وحده، كل علم في هذه الدنيا، يجب أن نرقى في كلّ فنون العلم: في الفيزياء، في الكيمياء، في الأحياء، في الرياضيات، في الطب، في الفلك، في التشريح، في علوم الذرّة، ينبغي أن يكون لنا نصيب منها، ولا نكون عالة على غيرنا؛ كما هو شأننا اليوم!

ونحن لسنا أغبياء، بل فينا النوابع، وفينا العباقرة في كل ناحية من نواحي الحياة، ولكن نرجو من أبنائنا أن يبذلوا الجهد في طلب العلم. أسلافنا قالوا: إنّ العلم لا يعطيك بعضه حتّى تعطيه كلك^(١). أن تعطي العلم كل جهدك، وكل همّك، وكل وقتك، وكل فكرك، وهو يعطيك بعض ما عنده، لأنّ العلم بحر لا ساحل له ولا قرار، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٨]. فنحن نتنافس في دائرة هذا القليل، ونسعى ونكدح ونجاهد، وهذا هو واجبنا.

(١) إحياء علوم الدين (٥٠/١).

نحن نوصي الشباب أن يتسلَّح بالعلم. أرسل إليَّ بعض الشباب منذ سنوات، وكان بعضهم متفوقًا في علم الدنيا، كان متفوقًا في كلية الهندسة، وكان ناجحًا فيها بامتياز؛ بل كان أول دفعته، ومع هذا أرسل إليَّ يقول: إنني أريد أن أترك الهندسة لأتعلم الشريعة.

وهذا خطأ في التفكير، إنَّ تفوقه في الهندسة بحيث ينفع وطنه وأُمَّته، بحيث ينتزع القيادة من غير المسلمين، وغير المتدينين، وغير المؤمنين: هذا تعبُّد لله تبارك وتعالى، يستطيع كل إنسان أن يتعبَّد إلى ربه فيما يُسرُّ له من عمل، يستطيع طالب الطب، وطالب الهندسة، وطالب الفيزياء، وطالب الكيمياء، وطالب الفلك، وطالب الذرَّة أن يخدم دينه، وأن يتقَرَّب إلى ربه بإتقان ما تخصص فيه، ليس العلم الشرعي وحده هو الَّذي يقَرَّب الإنسان من الله.

قد يدرس الإنسان علم الشرع وهو بعيد عن الله، وقد يدرس الإنسان علم الشرع فيستخدمه في اتِّباع الأهواء: أهواء النفس، أو أهواء الغير؛ إرضاء السلاطين والحكام تارة، أو إرضاء العوام والجماهير تارة أخرى، وبذلك يكون العلم وبالأعلى عليه، هذا هو العلم الَّذي لا ينفع.

ولهذا يجب على الشباب المسلم: أن يُتقن العلم الَّذي هيَّأه الله له، ويسرُّ له سبيله، وأن يعتبر ذلك لونا من الجهاد في سبيل الله يتعبَّد به لله وَعَلَّ، هذا هو الواجب الثامن.

٩ - التسلَّح بالثقة والأمل:

الواجب التاسع على الشباب المسلم: أن يتسلَّح بالثقة والأمل، الثقة بنفسه والأمل في ربه، الثقة بيومه واليقين بغده، لا ييأس ولا يقنط ولا يملُّ كما يملُّ الكثيرون في عصرنا، لا بد أن يدأب لا يعتريه كلل

ولا ملل، وهو موقنٌ بأنَّ غده أفضل من يومه، وأنَّ يومه أفضل من أمسه، هكذا ينبغي أن يكون المسلم.

ممَّا نعانیه في عصرنا موجة اليأس والقنوط، التي تعتري كثيرًا من الشباب، حيث يقول لك: لا فائدة، لا يمكن لهذه الأمة أن تتقدم، ولا يمكن لحالها أن يصلح، ولا يمكن لكذا ولا كذا.

هذا اليأس قاتل وليس من شيمة المسلم، اليأس من لوازم الكفر، والقنوط من مظاهر الضلال، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وكما قال عن لسان إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. فليس للمسلم أن ييأس أو يقنط، بل عليه أن يتسلَّح بالأمل دائمًا.

تأمَّل كيف كان رسول الله ﷺ يدعو في مكة في فجر الدعوة، والمسلمون قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطَّفهم الناس، والبلاء يُصَبُّ عليهم من كل جانب، وسيط العذاب تنزل عليهم من هنا وهناك، ومع هذا كان النبي ﷺ واثقًا بالنصر، واثقًا بأنَّ هذه الدعوة سترتفع رايته وتعلو كلمتها، كان يدعو النَّاس حين يمرُّون في مواسم الحجيج، ويعيِّدهم إذا دخلوا في دينه: أن يرثوا ممالك كسرى وقيصر، فيقول له الناس: كسرى بن هرمز!! فيقول: نعم كسرى بن هرمز^(١). هكذا ينبغي أن يتسلَّح الشباب المسلم بهذا الأمل، بهذه الثقة، بهذا الطموح.

وقد كان النبي ﷺ يُدَرِّب الشباب على أن يتحمَّلوا المسؤولية ليسلِّحهم بالثقة بأنفسهم، فولَّى أسامة بن زيد إمارة الجيش - وهو ابن الثامنة عشرة - وكان في الجيش كثير من كبار الصحابة.

(١) أسد الغابة لابن الأثير (١٨٠/٢)، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



وحينما هاجر إلى المدينة، جعل عليّ بن أبي طالب بيت مكانه ويتعرّض للخطر، وكلفه أن يردّ الأمانات إلى أهلها، فقد كان المشركون - رغم عداوتهم وخلافهم مع رسول الله ﷺ - يأتُمونَه على نفائس أموالهم، ويضعونها عنده، وكان ﷺ عند حُسن الظن به، فلم يقل: هؤلاء القوم أخرجوني من داري، وشرّدوني من أهلي؛ فلاخذ أموالهم! لا، بل أمر عليّاً أن يردّ هذه الأموال والنفائس والأمانات إلى أهلها.

وكلف أسماء بنت أبي بكر - ذات النطاقين - أن تأتي إليه في غار ثور بالطعام والأنباء، وهو غار عالٍ وعزّ، لكن هذه الفتاة كانت تذهب إليه كل يوم في هذا الغار.

وبعث معاذ بن جبل، وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره إلى اليمن، وولّى عتّاب بن أسيد: جعله أميراً على مكة وهو ابن العشرين، هكذا كلف النبي ﷺ صغار الصحابة بمهام عظيمة.

فلا عجب إذن أن وجدنا عمر رضي الله عنه يحضر الشباب في مجلسه ويستفيد من رأيهم وحماسهم، وكان يقول لابن عباس: ماذا تقول في كذا يا ابن عباس، تحدّث ولا تمنعك حادثة سنك^(١)؟ هكذا ينبغي للشباب أن يتسلّح بالثقة والأمل.

وجدنا الإمام الشافعي يتصدّر المجالس للتعليم والفتيا، وهو لم يبلغ العشرين من عمره، وقد مات رضي الله عنه بعد أن ملأ الدنيا علماً، وهو لم يكمل الرابعة والخمسين من عمره، ووجدنا الإمام النووي يملؤ الأرض علماً وفقهاً وحديثاً وتاريخاً، وقد مات وهو ابن بضع وأربعين سنة.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٦/١).

محمد الفاتح:

ووجدنا من شباب المسلمين مُحَمَّد الفاتح، مُحَمَّد بن مراد: فاتح القسطنطينية، الشاب العثماني التركي، الذي افتتح القسطنطينية وهو ابن الثالثة والعشرين من عمره، فكَّر في ذلك وهو في التاسعة عشرة: كيف يفتح القسطنطينية، هذا البلد الحصين المكين الذي عجز الكثيرون - منذ عهد الصحابة - أن يخترقوه ويفتحوه؟

فكَّر هذا الشاب حينما قرأ حديثاً رواه أحمد والحاكم: «لُفَّتِحَن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»^(١). وتعلَّق قلبه أن يكون هو هذا الأمير، وأن يكون جيشه هو ذلك الجيش، وفكَّر وخطَّط ودبَّر، وهياً الله له أن يحقق هذا الأمل، الذي استعصى على غيره، وفتح القسطنطينية! وقصة فتح القسطنطينية يجب أن تُدرس، فهي درس من دروس التاريخ، استطاع هذا الشاب أن يفتح القسطنطينية، وأن يدخلها، وأن تصبح عاصمة الإسلام لعدة قرون، سُمِّيت (إسلام بول) أو (استانبول) كما نسمِّيها الآن، هذا هو الشباب الطموح.

ووجدنا في عصرنا الكثيرين من الدعاة والمصلحين والمجدِّدين بدؤوا حياتهم شباباً: حسن البناء، أبا الأعلى المودودي، عبد الحميد بن باديس، مصطفى السباعي، والكثيرين من هؤلاء جميعاً بدؤوا في مرحلة الشباب.

أنشأ حسن البناء جماعته - الجماعة الأم لكل الجماعات الإسلامية بعد ذلك - وهو في الثانية والعشرين من عمره، كان شاباً ولكن كان عنده أمل وثقة وطموح، وفي امتحان دار العلوم سأله أحد الشيوخ عما يحفظ

(١) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤/٤٢١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

من الشعر، قال له: هل تحفظ معلّقة طرفة؟ قال: نعم. قال: أي بيت أعجبك فيها؟ قال: قول طرفة:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنِّي عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ^(١)

قال له: فتح الله عليك، كنت أسألك من أجل هذا، فهذا هو بيت القصيد في هذه المعلّقة. وكان يتمثل بقول المتنبي:

يَقُولُونَ لِي: مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ؟ وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلًّا أَنْ يُسَمَى^(٢)

لا أستطيع أن أبوح به، آمال كبار وأحلام عظام.

هذا هو الشباب الذي نريده، الشباب الذي يتسلّح بالثقة والأمل، لا نريد الشباب المائع الذي يتسكّع في الطرقات، ويعاكس الفتيات، وليس له أمل ولا طموح في الحياة، لا نريد الشباب الذي قال فيه الشاعر محمود غنيم رَحِمَهُ اللهُ:

شَبَابَ الْعُرْبِ يَا زَيْنَ الشَّبَابِ وَيَا أَشْبَالَ آسَادِ غَضَابِ
أَرَى مِنْكُمْ فَرِيقًا حِينَ يَمْشِي يَحُكُّ بِأَنْفِهِ مَثْنِ السَّحَابِ
كَلَيْثِ الْغَابِ فِي صَلَفٍ وَكِبَرٍ وَلَيْسَ لَدَى الْكَرِيهَةِ لَيْثٌ غَابِ
تَفَنَّنَ فِي مُحَاكَاةِ الْعَذَارَى وَخَالَفَهُنَّ فِي وَضْعِ النُّقَابِ

كان العذارى قديمًا يلبسن النُقَب، يقول: هو يتشبهه بالعذارى وبالنساء، وإن كان لا يلبس النقاب! طبعًا لم يعد الفتيات يلبسن النقاب في كثير من البلدان.

(١) انظر: ديوان طرفة بن العبد ص ٢٤، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) ديوان المتنبي ص ١٧٦، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

ثم يقول:

ولا يخشى على شيءٍ ويخشى إذا ثار الغبارُ على الثياب^(١)
كل ما يهمه: التأنيق في الزيِّ، التجميل في الشكل، الصورة لا الحقيقة،
والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»^(٢).
ينبغي أن يتسلَّح الشباب بالثقة والأمل، هذا هو الواجب التاسع.

١٠ - التعاون مع إخوانه:

والواجب العاشر على الشباب المسلم: أن يعمل مترابطًا متعاونًا مع
إخوانه، لا يكفي العمل الفردي لخدمة هذا الدين، لا يكفي أن تعمل وحدك،
فإنَّما يأكل الذئب من الغنم الشاردة، الشاة في وسط القطيع محمية به، فإذا
شردت عنه وبعدت منه التهمها الذئب وافترسها، فاحتم بإخوانك، ضع يدك
في أيدي الصالحين منهم، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ
بعضه بعضًا»^(٣)، «يُدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدَّ فِي النَّارِ»^(٤)، «الشيطان مع

- (١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ص ٩٠، ديوان صرخة في وادٍ، نشر دار الغد العربي.
- (٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.
- (٣) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.
- (٤) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، دون قوله: «وَمَنْ شَدَّ شَدَّ فِي النَّارِ». وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر ٥ في تخريج المختصر: حديث غريب، خرج أبو نعيم في الحلية واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح؛ لكنَّه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها، وذلك مقتضى للاضطراب، والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد ص ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن، ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

الواحد، وهو من الاثنين أبعد^(١)، هكذا علمنا رسول الله ﷺ، فيا أخي الشاب، لا تعش وحدك، فيصيبك الاكتئاب، ويصيبك الهَمُّ، وتراودك الأفكار، وتسيطر عليك أشياء باطلة، كُنْ مع إخوانك؛ فالمرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه، ضعيفٌ بمفرده قويٌّ بجماعته.

ومن هنا قال القرآن الكريم: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]. لماذا لم يقل القرآن: إِلَّا الَّذِي آمَنَ وعمل صالحًا؟ لأنه لا يتصور الإنسان الناجي من الخُسْر إِلَّا في جماعة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، الجماعة المؤمنة هي الناجية، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، تواصلوا: يفيد هذا التعبير في اللغة التفاعل من الجانبين، أي توصي غيرك بالحق، وتقبل الوصية من غيرك بالحق، فليس هناك إنسان أصغر من أن يوصي ولا إنسان أكبر من أن يُوصى، لا بد أن تُوصي وتُوصى، هذا معنى التواصي.

وإنَّما كان التواصي بالصبر مقروناً بالتواصي بالحق؛ لأنَّ الحق ثقيل التكاليف، الحقُّ مُرٌّ لا يتجرَّعه إِلَّا حُرٌّ، طريق الحقِّ مفروشة بالأشواك لا بالأزاهير، مزرجة بالدماء، مليئة بالجثث والضحايا، فلا بد أن توطَّن نفسك على هذا، نريد من الشاب أن يتعاون مع غيره من المؤمنين الصالحين.

ومن أجل هذا عرف عصرنا الجمعيات، يعمل الناس في شكل جمعيات، حتَّى يشد بعضها أزر بعض، ويقوِّي بعضها بعضًا، هكذا

(١) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن عمر.

ينبغي، لا تعش وحدك فيصيبك الاكتئاب والقلق، ولكن كن مع إخوانك دائماً، من أجل هذا شرع الإسلام الجماعة، وجعلها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، حتّى يغرس في نفس الإنسان المؤمن الروح الجماعيّة، والشعور الجماعي، والتفكير الجماعي.

ولهذا يقول الإنسان المسلم وهو في صلاته، وهو يناجي ربه، ويقرأ الفاتحة، يقول ولو كان في عقر بيته منفرداً وحده: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]. لا يقول: إِيَّاكَ أَعْبُد؛ بل يتكلّم بلسان الجماعة، لأن الجماعة تحيا في ضميره، وتتمثّل على لسانه، إنّهُ دائماً يستوحيها، ويستشعرها ويستحضرها، ويعلم أنّه عضو في جسمها، وواحد في قافلتها، فهكذا يناجي ربّه بصيغة الجماعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ويدعوه بلسان الجماعة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. لا يدعو بالهداية لنفسه فقط، إنّما يدعو للمؤمنين جميعاً، يحشر نفسه في زمريتهم، لعلّ عنده عوائق أو موانع تحول بينه وبين إجابة دعائه، فإذا أدخل نفسه في زمرة المؤمنين فعسى الله أن يتقبّله معهم، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. هذا هو الواجب العاشر، أن يعيش في جماعة، ويعمل بروح الجماعة، ويتعاون مع إخوانه.

مخاطر ومحاذير:

وينبغي على الشباب المسلم أن يحذر من المخاطر التي قد تُضِلُّه وتهوي به في طريق سحيق، تنزل به إلى الهاوية التي لا مرجع منها - والعياذ بالله - إلا أن يتوب الله عليه، ليحذر الشاب المسلم من المضلّات، من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وخصوصاً فتن هذا العصر.

١ - الاستجابة لنداء الغريزة:

ينبغي أن يحذر من الاستجابة لنداء الغريزة، فهناك سماسة يريدون أن يُضلوا الشباب، ويفتنوهم عن دينهم عن طريق الغريزة، وخصوصاً إذا سافر الشباب إلى بلاد أخرى؛ فإنهم بمجرد نزولهم من الطائرة يجدون هؤلاء السماسرة لهم بالمرصاد، يأخذوهم إلى تلك الأماكن النجسة والملوثة؛ ليسرقوا أموالهم وشبابهم وأخلاقهم ودينهم، على الشاب المسلم أن يحذر من ذلك.

وقد خاطب النبي ﷺ الشباب فقال: «يا معشر الشباب، مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوّج؛ فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»^(١). يديم الصوم، ويدوم العبادة، ويتقرب إلى الله حتى يكتسب ملكة التقوى، التي تعصمه من اتباع الهوى، والنزول على حكم الشهوات.

٢ - الاسترسال في اللهو:

وعلى الشباب المسلم أن يحذر من الاسترسال في اللهو، لا مانع أن يلهو باللهو البريء، ولكن الناس في عصرنا تفتنوا في اللهو، لم يكتفوا باللهو البريء، وإنما هناك اللهو المسيء، اللهو المحرّم، وحتى اللهو البريء نفسه ينبغي أن يكون بقدر، فالأصل أن الحياة حياة جادة فيها لهو، وليست حياة لاهية فيها جد، الجد هو الأصل واللهو هو الرخصة والاستثناء، فلا ينبغي أن تصبح الحياة كلها لهواً.

كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: أعط الكلام من المرح بمقدار

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

ما تُعطي الطعام من الملح^(١). لا بد أن يكون هناك مزاح، وأن تكون هناك فكاهة، وأن يكون هناك ضحك، ولكن كما قال النبي ﷺ: «ولا تكثر من الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب»^(٢).

إذا كان الإسلام يكره الإسراف في العبادة، ويقول لمن غلا في عبادته - في صيامه وقيامه وقراءته -: قف عند حدك؛ «إنَّ لبدنك عليك حقًا، وإنَّ لعينك عليك حقًا، وإنَّ لأهلك عليك حقًا، وإنَّ لزورك عليك حقًا»^(٣).

هذا في العبادة، فكيف في اللهو؟ كيف يسرف الإنسان في اللهو؛ يصبح فيه، ويمسي فيه، ويضحى فيه؟ هذا لا يليق بشاب مسلم، ولا يليق بأمة جادة تريد أن تتبوأ مكانتها لتستعيد مجدها، وأن تأخذ حقها من يد أعدائها.

٣ - الثقافة المسمومة:

ثم على الشباب المسلم بعد ذلك أن يحذر من الثقافة المسمومة، فقد ابتلينا في عصرنا بثقافة مسمومة: تتمثل فيما يُقرأ، وفيما يُسمع، وفيما يُشاهد، أجهزة جبارة تعمل عملها لتلوّث الفكر، وتضلّل النفس، وإبعاد الإنسان عن ربه، فلا بد للشباب المسلم أن يحذر من هذه الثقافة، ويتخيّر منها ما ينفع، ويدع ما لا ينفع، لا بد أن يكون عنده وعي وبصيرة؛ بحيث يعرف الخبيث من الطيّب، والجيد من الرديء، والحلال

(١) اللطائف والظرائف للثعالبي ص ١٥١، نشر دار المناهل، بيروت.

(٢) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرّجوه: حديث جيد. والترمذي (٢٣٠٥)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه (٤١٩٣)، كلاهما في الزهد، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٠٦)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

من الحرام، ولهذا ينبغي عليه أن يتفقه في دينه؛ حتّى يعرف ما له وما عليه، وما يجوز له وما لا يجوز.

لقد ابتُلينا في عصرنا بأدوات الهدم الجبارة التي تتعاور على الشباب في الصباح والمساء، والليل والنهار، هذه الأدوات الهدّامة ينبغي للشباب أن يحذر منها، فلا يقرأ كل ما تنشره المطابع، ولا يسمع كل ما يذيعه المذيع، ولا يشاهد كل ما يُعرض في التلفاز؛ بل ينبغي أن ينتقي ما يصلح له، ويدع ما لا يصلح؛ فالوقت أغلى وأثمن، والعمر أنفس من أن يُنفق في مثل هذه الترهات، لا مانع أن يُروّح عن نفسه في بعض الأحيان، ولكن يتخَيَّر: ماذا يقرأ، وماذا يسمع، وماذا يرى؟ هذا هو الواجب على الشباب.

أخطر ما نعانیه في عصرنا: هو هذا الهدم المنظم للقيم والأخلاق والمفاهيم الإسلامية، هذا الهدم هو الذي يضيع ثمار إصلاح المصلحين، وتعليم المعلمين، وتربية المربين، وإرشاد المرشدين، كما قال الشاعر:

متى يبلغُ البنيانُ يومًا تمامه إذا كنتَ تبنيه وغيْرُك يهدِمُ^(١)؟

ويقول الآخر:

فلو ألفُ بانٍ خلفهم هادمٌ كفى فكيفَ بيانٍ خلفه ألفُ هادمٍ^(٢)؟

يكفي هادمٌ واحدٌ لأن يزيل آثار ألف بَناء، فكيف إذا كان الذي يبني واحدًا والذي يهدم ألفًا؟! خصوصًا أن الهدم في عصرنا أصبح بواسطة

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) من شعر عبد الله بن الرية المالقي. انظر: أعلام مالقة ص ٢٢٧، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الألغام، لا بواسطة الفأس والمعول؟! وكذلك صار الهدم في المعنويات بهذه الأجهزة الجبّارة التي تدخل على الناس بيوتهم ومخادعهم، وتؤثر في الكبير والصغير، والبدوي والحضري، والرجل والمرأة، والمُتعلّم والأُمّي، فينبغي للشباب أن يحذر من هذه الأجهزة، والوقاية خير من العلاج.

٤ - التسرّع والاستعجال:

وينبغي للشباب بعد ذلك أن يتعلم الأناة، ويحذر من الاستعجال، كثير من الشباب المسلم يستعجلون قطف الثمرة قبل أوانها، ولا بد للإنسان أن يصبر على مراحل النمو، لا بد أن يصبر على البذرة حتّى تنبت، وعلى النبتة حتّى تُورق، وعلى الورقة حتّى تُزهر، وعلى الزهرة حتّى تُثمر، وعلى الثمرة حتّى تنضج، فإذا نضجت وحن وقت اقتطفها: اقتطفها بأمان وسلام، ينبغي أن يصبر على هذه المراحل.

بعض الناس يريد أن يزرع اليوم ويحصد غدًا، أو يزرع في الصباح ويحصد في المساء، وليس هذا من سنة الله، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فآفة الكثيرين للأسف هي العجلة، ولذلك قد تدفع العجلة الشاب إلى عمل غير صالح وغير نافع، وغير مشروع في كثير من الأحيان.

٥ - تزييف الوعي:

ونريد للشباب المسلم أن يحذر من بريق الكلمات، التي توضع في غير موضعها، فللأسف في عصرنا قد شوهاوا الكلمات وشووها المفاهيم، أصبحت كثير من المفاهيم لا تؤدي ما تدل عليه حقيقة، أصبح



الجهاد في سبيل الله يُسمَّى عُنْفًا، والدفاع عن الأوطان المغتصبة يُسمَّى إرهابًا، والتكلم في شؤون المسلمين يُسمَّى إسلامًا سياسيًا، إلى آخر هذه الكلمات التي تظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، والنار في صورة الماء، والماء في صورة النار.

ينبغي للشباب المسلم أن يتحصَّن بالوعي، ولا تخذعه الألفاظ؛ فالعبرة ليست بالألفاظ والمباني، ولكن بالمقاصد والمعاني، ليست العبرة بالأسماء والعناوين، ولكن بالمُسَمَّيات والمضامين، ولهذا يجب أن نحدِّد المفاهيم، ونعرف مدلولاتها، ونأخذ ذلك من العلم الوثيق، من العلماء الثقات، لا من كل مَنْ هَبَّ وَدَبَّ.

هذا ما ينبغي للشباب المسلم أن يتحصَّن به، وأن يحذر من هذه المضلَّات حتَّى يمضي على طريق مستقيم، يضع يده في يد الله، ويقول: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[الممتحنة: ٤، ٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فادعوا ربكم يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

فلسطين واتفاق واي بلانتیشن:

لقد مللت من الحديث عن قضية المسلمين الأولى، وقضيتهم المحورية: قضية فلسطين، قضية أرض النبوات والمقدسات، أرض القبلية الأولى، أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، مللت الحديث عن هذه القضية، وما يُحاك لها من مؤامرات وما يُبيت لها من مكائد تواجهنا يومًا بعد آخر، منذ دخل العرب في هذه الاتفاقيات، منذ اتفاقية (كامب ديفيد) واتفاق (أوسلو)، وهذا الاتفاق المشؤوم الأخير (واي بلانتیشن).

قامت كل هذه الاتفاقيات على تقويض الأصل الإسلامي: وهو أن أرض المسلمين لا يجوز التهاون فيها، ولا بيعها بثمن بخس، وأن علينا أن نقاوم ما دام فينا عِرْق ينبض، ونَفْس يتردد، علينا أن نقاوم أعداءنا بما أوتينا من قوة، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لا يُكَلِّف النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَسْتَطِيعُونَ، أن يعدوا ما استطاعوا من قوة ليرهبوا عدوَّ الله وعدوهم.

كان ينبغي علينا ألا نستسلم أبدًا للواقع، وألا نُسلم لأعدائنا أبدًا مهما طال المدى، فلا بدَّ أن ينتصر الحق يومًا ما، قد يطول الزمن وقد يقصر، ولكن العاقبة للمتقين والعاقبة للحق، الحق منصور في النهاية، إذا كان للباطل جولة؛ فإنَّ للحق دولة، وجولة الباطل ساعة ودولة الحق

إلى قيام الساعة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ
النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ
كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

هذا ما كان ينبغي، ولكن الناس استطالوا الطريق، وضعفت
العزائم، وهبطت الهمم، وأرادت القبول بالدون وبالعيش الهون، كما
قال امرؤ القيس:

إِذَا لَمْ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصْيُ^(١)
هكذا إذا لم تكن إبل فعنزة، وإذا لم يكن الكثير فيكفي أقل القليل، هذا
هو عمل الراضين بالهون، والعيش الدون، وما هكذا شأن الإنسان المسلم.
لقد حدث اتفاق (أوسلو) وعلّقنا عليه في يومها بما يكفي، واليوم
حدث هذا الاتفاق الجديد (واي بلانتيشن)، وهو خطوة ثانية في هذا
الطريق، لقد بدؤوا الطريق من قبل، وإذا مضينا فيه سينتهي الأمر بنا إلى
ضياع الحقوق واحداً بعد آخر.

ماذا جاء به هذا الاتفاق الجديد؟ إنني أذكر أمثال العرب التي تقول:
أطال الغيبة وأتى بالخيبة. أو المثل الذي يقول: تمخض الجبل فولد فأراً.
أو المثل الذي يقول: سكت دهرًا ثم نطق كُفْرًا. كل هذه الأمثال تنطق
على هذا الواقع الأليم.

سيقول الناس: إنك رجل مثالي؛ تحلم وتعيش وتُحلّق في أجواء
الخيال، ولا تعيش في أرض الواقع.

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٩٥، عناية عبد الرحمن المصطاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٢،

وأقول للذين يعيشون في أرض الواقع: ماذا كسب هؤلاء من وراء هذا الاتفاق، وماذا سيكسبون؟ كل ما تريده إسرائيل أن توقع الفلسطينيين بعضهم ببعض، أن يضرب بعضهم بعضًا، أن يقتل بعضهم بعضًا، أن تتوجّه بندقية الفلسطيني إلى صدر أخيه الفلسطيني، أن تحدث هذه الجريمة النكراء، جريمة الجاهليّة، كما قال النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض»^(١).

كل ما أرادته إسرائيل من هذا الأمر هو القضاء على حماس والجihad الإسلامي، لو وضعوا الأمور في نصابها، ووضعوا النقاط على الحروف، وسُمّوا الأشياء بأسمائها بدل أن يقولوا: القضاء على الإرهاب، لقالوا صراحة: نريد القضاء على أبناء حماس، وعلى أبناء الجهاد.

وهم لا يريدون القضاء على المجاهدين وحدهم؛ بل يريدون ضرب الأبنية التحتية: المساجد التي تتبعهم، والمدارس، والمؤسسات الخيرية، ومؤسسات الصدقات والزكوات، وكل ما يخدم الناس، كل هذه الأشياء يريدون أن تُضرب، يريدون منع أي تبرع أو أي معونة لهؤلاء المجاهدين؛ حتّى تنقطع أنفاسهم، ولا يستطيعوا التحرك في أماكنهم.

كل ما جاء به هذا الاتفاق هو ضرب حماس والقضاء عليها، حفاظًا على أمن إسرائيل. كانوا يقولون من قبل: الأرض مقابل السلام. كلمة السلام غير واضحة؛ سلام مَنْ؟ الآن يقولون: الأرض مقابل أمن إسرائيل. وأمن إسرائيل في القضاء على الإرهاب، والإرهاب عندهم يعني الجهاد وحماس، الأمور واضحة!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

ولذلك لا عجب ولا غرابة أن تقرأ اليوم في الصحف: اعتقال أبناء حماس. هذه هي بواكير الاتفاق، وإنَّ مع اليوم غداً، وإنَّ غداً لناظره قريب، ومنذ عدة أيام اصطدموا حتَّى بأبناء فتح، حركتهم الأصليَّة، وقتلوا فيها مَنْ قتلوا، حتَّى الشيخ القعيد المريض - الشيخ أحمد ياسين - حُدِّت إقامته، أصبحت إقامته جبريَّة في بيته؛ حتَّى لا يتحرَّك، ولا يتكلم ولا ينقد، ولا يعارض ولو بالكلام؛ أليس للإنسان حق الكلام؟! أليس للإنسان حق في أن يقول: هذا صواب، وهذا خطأ؟! أليس هذا من الحرية التي تشدِّقون بها؟ أليس هذا من ثمار الديمقراطية التي تتغنون بها وتدعون إليها؟! لماذا لا يدع هؤلاء الحق لمن يعارض هذا الاتفاق أن يقول: لا، لا نوافق على هذا. لكن تكمिम الأفواه، وإخراص الألسنة، وكسر الأقلام، وإغلاق المؤسَّسات، وسدُّ الأبواب، كل هذا هو ما يريده هؤلاء.

أهذا الاتفاق هو نتيجة الجهاد الطويل يا أبناء فلسطين، يا أبناء الكفاح والجهاد عشرات السنين؟ أهذه هي الثورة حتَّى النصر؟ وأي نصر حقَّتموه، ولا يزال الأقصى أسيراً، ولا يزال الهدم تحت جدران، ولا تزال القدس تفرَّغ من أهلها؟ لماذا تركتم أمر القدس إلى النهاية، وأمر اللاجئين إلى النهاية، وأمر المستوطنين إلى النهاية؟ ولماذا وقَّع أبو عمار على أمن إسرائيل، وأنَّه يجب أن يمنع كل حركة في سبيل الجهاد، وأن يقضي عليها؟

بينما لم يتعهَّد نتيها هو بشيء من ذلك، لم يتعهَّد بإيقاف المستوطنين عند حدِّهم، المستوطنون يغدون ويروحون بأسلحتهم وبحريَّاتهم، لا يستطيع أحد أن يعترض عليهم، أو يقول لهم: لِمَ؟ فضلاً عن أن يقول: لا. لماذا لم يتعهَّد نتيها هو بإيقاف هؤلاء كما تعهَّد أبو عمار بإيقاف أبناء حماس والجهاد وإلجامهم، ومنعهم من أي حركة من أجل وطنهم؟



الواقع أن هذا ظلم مبين، ولكن الظلم لا يدوم، اعتقادنا أنه سيأتي يوم لا ريب فيه: ينتصر فيه الإسلام وتعلو فيه كلمة الحق، ويستعيد أهل فلسطين ديارهم التي شردوا منها، وأخرجوا منها بغير حق، إلا أن يقولوا: ربنا الله.

هؤلاء الملايين الذين شردوا في الأرض وأخرجوا من وطنهم بالقوة الغاشمة: بالحديد والنار، بالدم والعنف، بالسيف والقهر، لا بد أن يعودوا إن شاء الله، هذه عقيدتنا، وهذا يقيننا، سيأتي يوم يكون فيه كل شيء في صفّ أبناء فلسطين، وفي صفّ المجاهدين، حتّى الشجر والحجر يقول: «يا عبد الله، يا مسلم؛ هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله»^(١). فاللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، اللهم آمين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٣)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١)، عن ابن عمر.



الشباب هم أغلى الثروات

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الثروة التي لا تقدّر بثمن:

لا نزال مع الشباب، لا نزال مع فتیان هذه الأمة وفتياتها، الشباب هم أغلى الثروات التي تمتلكها أمة من الأمم، إنّها ثروة لا تقدّر بالدولار ولا بالجنيه ولا بالريال، إنّها أعلى وأعلى وأثمن من ذلك كلّ، إنّها الأمة، إنّها المستقبل.

ولهذا كان علينا أن نطيل الحديث عن شباب هذه الأمة، علينا أن نعمل على حمايتهم من الانهيار، من الانسياق وراء التيارات الغازية التي تريد أن تضللّهم عن هويتهم، والتي تريد أن تمحقهم محققاً، ولا تبقي فيهم شيئاً ينفع هذه الأمة أو يصلحها.

الشباب والمشكلة الجنسية:

الشباب هم عدّة الأمة وذخيرة غدها، ولهذا كان علينا أن نربيهم بالإيمان، وأن نربيهم على الفضائل والأخلاق، وأن نحميهم من الرذائل،

ونحميهم من التيارات الغازية، التي تحمل أفكارًا مستوردة، لا تمتُّ إلى هذه الأمة بسبب، ولا تتصل بها بنسب.

هناك ما يسمُّونه: «المشكلة الجنسية»، المشكلة الجنسية بين الرجل والمرأة، العلاقة بين الشابِّ والشابَّة، سموا هذه العلاقة الحسية: مشكلة، وما كانت يومًا من الأيام مشكلة، لو أنَّ النَّاس اتبعوا هدى الله، وساروا وراء منهج الله.

إنَّ الإسلام لم يعتبر الدافع الجنسي في نفس الفتى أو في نفس الفتاة، في نفس الرجل أو في نفس المرأة، لم يعتبره من الشيطان، ولم يعتبره شيئًا قدرًا ينبغي أن يستخبثه الإنسان ويستنجسه. لا؛ إنَّه دافع فطري رغبه الله تعالى في البشر لحكمة بالغة.

هذه الحكمة: أنَّه يدفع الإنسان ويسوقه سَوْفًا لبحث عن شريك حياته، يبحث الشابُّ عن شريكة حياته، وتبحث الفتاة عن شريك حياتها؛ لتنشأ الأسر، ومن وراء الأسر الجماعات، ويستمرُّ بقاء هذا النوع الَّذي استخلفه الله في الأرض، وطلب إليه عمارتها، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُود: ٦١].

ليس هذا الدافع الفطري قذارة ولا نجاسة.

لا، إنَّه يكون قذارة ونجاسة حينما يتعدَّى به حدود الله، حينما يتجاوز به ما أراده الشرع، إنَّما حينما يوضع في موضعه فليس قذرًا ولا رجسًا ولا نجسًا، لا حرج على الإنسان أن يطلب تصريح هذا الدافع الجنسي بما أمر الله وَجَّهًا، وقد أحلَّ الله النِّكاح وحرَّم السفاح، حرَّم الزنى، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [إسراء: ٣٢]،

حرّم الشذوذ الجنسي و«اللوواط» وعمل قوم لوط، فهو عمل قوم مجرمين^(١)، وقوم مسرفين^(٢)، وقوم مفسدين^(٣)، وقوم جاهلين^(٤)، وقوم عادين^(٥)، كما سمّاهم القرآن الكريم.

حرّم هذا ولكنّه طلب إلى الناس أن يتزوجوا، وأن يعينوا من أراد الزواج، «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فلينكح؛ فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج»^(٦).

وعلى المجتمع أن يساعد من أراد الزواج، ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ﴾، أي: زوّجهم، و﴿الْأَيْمَىٰ﴾ جمع: أيم، والأيم: من لا زوج له من رجل أو امرأة، الرجل الذي لا زوجة له يسمى أيمًا، والمرأة التي لا زوج لها تسمى أيمًا.

والمجتمع المسلم مطالب بمقتضى هذا الأمر الإلهي أن يزوّج الأيامي، أن يساعدهم على الزواج، وألا يعوّق الزواج الحلال، وألا يضع في طريقه العقبات والعراقيل، أن ييسّر الحلال ويعوّق الحرام.

هذا هو منهج الإسلام؛ فتح أبواب الحلال، وإزالة العقبات من طريقه، تيسير التكاليف، تيسير النفقات، اعتماد الدين والخلق مقياسًا

- (١) قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].
- (٢) قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].
- (٣) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].
- (٤) قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].
- (٥) قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦].

- (٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

قبل كل شيء، «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(١).

هكذا يريد الإسلام، يريد للناس أن يزوّجوا أياماهم، وأن يزيلوا العقبات من طريقهم، كما يريد لهم - من ناحية أخرى - أن يُعَوّقوا طريق الحرام، ألا يكون طريق الحرام ميسورًا.

ومن هنا حرّم الإسلام كل ما يؤدي إلى الفساد الجنسي؛ حرّم النظرة غير البريئة، النظرة التي تتغلغل في محاسن الجنس الآخر، قال النبي ﷺ لعلي: «يا علي، لا تُتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»^(٢).

وقال الله تعالى في شأن الرجال: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقال في شأن النساء: ﴿وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولاً ومرسلاً. وقد رجّح البخاري المنقطع على المتصل. وابن

ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٩١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في النكاح (٢١٤٩)، والترمذي في الأدب (٢٧٧٧)، وحسنه، وصحّحه الألباني في غاية المرام (١٨٣)، عن بريدة.

يريد الإسلام للمسلم أن يكون غاضاً للبصر، حافظاً للفرج، أن يحتفظ المسلم بحيائه وعفافه وإحصانه، وأن تحتفظ المسلمة بحيائها وعفافها وإحصانها.

هذا ما يريده الإسلام من المسلم، يريده أن يتربى على تقوى الله وَعَلَى، حتّى إنّ الفاحشة لتعرض له فيقول: إني أخاف الله رب العالمين؛ ليكون من السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، حينما تعرض له الفاحشة، ويتيسر له الحرام، وهو قادر عليه: يتراءى له ذلك الموقف، حينما تدنو الشمس من الرؤوس ويلجم النّاس العرق، ولا مظلة، ولا جدار، ولا شجرة، ولا شيء يقي النّاس من حرّ الشمس إلّا ظلّ الله؛ ظلّ عرش الرحمن، يتراءى له هذا، يتراءى له هؤلاء السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، ومنهم: «ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله»^(١).

الإسلام يربّي المسلم على هذا الخلق، على هذا العفاف، على هذه التقوى، حتّى إنّ ليرى الحرام أمامه فيعف عنه، لا لشيء إلّا خشية الله وابتغاء رضوانه.

وكذلك المسلمة قد تجد الحرام أمامها ميسوراً، ولكنها تعف نفسها، وتخصّن فرجها، كتلك الجارية التي راودها رجل عن نفسها فامتنعت منه، فقال لها: ما الذي يمنعك ولا يرانا إلّا الكواكب؟

ف قالت له: ويحك، وأين مكوكبها^(٢)؟!

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٣).

هذا ما يريده الإسلام، يريد من المسلمين والمسلمات أن ينشؤوا على خلق الإحسان.

أمّا ما تريده الجاهليات الحديثة المستوردة من الغرب والشرق، فإنها تريد أن تستبدل من وجدان الفتى والفتاة من أبناء الإسلام وبناته بهذه الأفكار والمفاهيم مفاهيم خبيثة جديدة، بدعوى أن ذلك من الحرية، وأن هذه الأفكار العتيقة القديمة، من رواسب عصور التخلف، ومن بقايا الانحطاط، وينبغي أن نتحرّر منها، ينبغي أن نحلّ عقدة الكبت عند الفتيان والفتيات، ينبغي أن ينظر كلّ منهما إلى الآخر نظرة جديدة، ينبغي أن نذيب الحواجز بين الجنسين، ينبغي أن يكون هناك اختلاط حرّ بين الفتى والفتاة، بين الشاب والشابة، في المدارس والجامعات والأسواق وغيرها، ينبغي أن تزول هذه الحواجز العتيقة التي تمثّل في نظرهم أفكاراً بالية، ومفاهيم قديمة عفى عليها الزمن.

ولكن هذه المفاهيم إنّما جاءت من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، فهؤلاء الذين يريدون أن يذيبوا الحواجز، يناقضون ما أمر الله به ورسوله.

إنّ الله ورسوله إنّما أرادا أن يقيما مجتمعاً مؤمناً عفيفاً مصوناً، يتربّى فيه كلُّ فرد على أنّ الزنى حرام، وعلى أنّ الفاحشة حرام، وعلى أنّ الحياء من الإيمان، وعلى أنّ الحياء لا يأتي إلا بخير، وعلى أنّ غضّ البصر عبادة، وأن حفظ الفرج فريضة، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

أمرنا الإسلام أن نغضّ البصر، أمرنا الإسلام ألا يختلي رجل بامرأة

ولا امرأة برجل إلا ومعهما مَحْرَم؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قد يغري الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، ولا يدَّعي أحد أنه ملك من الملائكة، الشَّيْطَانُ أَشْطَرُ وَأَمْهَرُ وَأَخْبَرُ، ولهذا فَإِنَّ الإسلام يسدُّ الذرائع إلى الفساد سدًّا، فيمنع الخلوة، ويمنع التبرُّج، يمنع أن تخرج المرأة بزینتها في الطرقات والشوارع تغري الرجال وتغري الشبان.

لا، زينة المرأة في بيتها، فإذا أرادت أن تخرج، فلا ينبغي لها أن تتعطر ولا أن تتطيَّب، ولا يجوز لها أن تضرب الأرض برجلها ليُعلم ما تخفي من زينتها كما قال القرآن: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

لا يريد الإسلام أن يضع النَّار بجوار البنزين، وإنما يمنع الفساد من بابه، من أصله، يسدُّ الأبواب التي تهبُّ منها رياح الفتنة، يراعى ضعف البشر، وغرائزهم، ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

هؤلاء الذين يريدون أن نذيب الحواجز بين الفتيان والفتيات، ويدعون إلى برامج مشتركة للاختلاط، حفلات مختلطة، وجوالة مختلطة، وتمثيليات مختلطة، ورقص فلكلوري مختلط، إلى غير ذلك ممَّا يزعمونه من علامات التحرُّر، ومن أمارات التحضر، هذا كله لا يليق بمجتمعات مسلمة تستقي مناهجها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

الذين يريدون لنا أن نستقي مناهجنا من الغرب، وأن نأخذ فلسفاتنا عن مدرسة التحليل النفسي، وعن المدارس الغربيَّة، عن المدارس التي تريد أن تُفسد على هذه الأمة فكرها، وتُفسد عليها اعتقادها، وتُفسد عليها سلوكها، وتُفسد عليها أسرها، وتُفسد عليها مجتمعاتها.

وما ذلك إلا أنهم يريدون أن ندع ديننا وقرآننا وسنة نبينا محمد ﷺ؛
لنتبع سُنَنهم، ونسير وراء أفكارهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، هؤلاء
دخلاء علينا، أجنب منّا، غرباء عنّا، ليس لهم مكان في مجتمعاتنا.
نحن مجتمعات مسلمة، نعتز بالإسلام، نعتز بالحياة وبالإحسان
والعفاف، نعتبر هذه فضائل.

ولكن مجتمعات أخرى أصبحت والعياذ بالله كالبهائم يتسافدون في
الطرق، هل يراد لنا أن نكون كهؤلاء؟!!

هم الذين حلّوا عُقد الكبت - كما يقولون، ماذا صنعوا حينما تركوا
الحرية للفتى والحرية للفتاة؟

حرية الحب، حرية ممارسة الجنس، حرية العلاقات بين الجنسين،
هل حلّوا المشكلة؟

لا والله، لقد زادت، وأصبح عقلاؤهم ومفكروهم ومصلحوهم
يشكون، ويقول بعضهم: إنّ المشكلة الجنسية أخطر على الغرب الآن من
القبلة الذرية؛ لأنّهم كلّما ازدادوا شربًا ازدادوا عطشًا، كلّما زادوا الأمر
حرية زادوه بهيمية، لم يحلّوا المشكلة.

لماذا نريد أن نقلد هؤلاء وعندنا ديننا وعندنا قرآننا وعندنا سنة نبينا
محمد ﷺ؟!!

إنّ الإسلام شرع لنا الطريق الوسط، المنهج المعتدل، لم يُرد لنا أن
نكون - كما في بعض الأديان - رهبانًا نبتعد عن الزواج، ونعتبر النساء
نجسًا، ونرى المرأة شيطانًا مجسمًا.

لا، النَّبِيُّ ﷺ يقول: «إِنَّمَا حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ، وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١).

وحينما أراد مَنْ أراد الرهبانية مِنْ صحابته، ونزع نزع الرهبانية في الغلو في التعبد والتزهد والتنسك، فقال من قال منهم: أقوم فلا أنام، وقال من قال: أصوم فلا أفطر، وقال من قال: أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فقال لهم ﷺ: «والله إِنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأُصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مِنِّي»^(٢).

لم يعتبر الإسلام الزواج جريمة، ولا التفكير في الجنس المشروع جريمة. لا، إِنَّ القرآن يعرض هذا في أسمى المقامات الروحية، حين يتحدث عن الصَّيَامِ وعن الدعاء، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، في هذا المقام الرفيع يحدثنا عن الناحية الجنسية ويقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، في قلب آيات الصَّيَامِ لا يجد حرجاً من الحديث عن العلاقات الجنسية.

وفي نفس السورة يقول الله معلماً للمؤمنين: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، اتوا حرثكم أنى شئتم ما دام ذلك في القبل، في موضع الحرث فلا حرج عليك في أي طريقة تتبعها.

(١) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والنسائي في عشرة النساء (٣٩٣٩)، وصحح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، وحسنه ابن حجر في التلخيص الحبير (١١٦/٣)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٣٢٩١)، عن أنس بن مالك.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) كلاهما في النكاح، عن أنس.

إلى هذا الحدّ يتحدّث كتاب كريم كتاب الخلود كتاب الله عن هذه العلاقات ولا يتحرّج منها.

والنبي ﷺ يقول: «لو أنّ أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقَدَّرَ بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً»^(١).

حتى في هذه اللحظة لحظة الغريزة، لحظة دفع الشهوة، في هذه اللحظة لا ينسى المسلم ربّه، يسمي الله ويستعيذ به من الشيطان، باسم الله، اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتني.

الإسلام لا يرى الناحية الجنسية قذارة ولا رجساً، إنّما تكون قذارة ورجساً حينما يتجاوز بها الحلال إلى الحرام، أمّا إذا صنعها في الحلال فهي عبادة، وهي صدقة، وفيها مثوبة وأجر، ولهذا حدّث النبي ﷺ الصّحابة عن أنواع من الصدقات ثمّ قال لهم: «وفي بُضْعِ أحدكم صدقة».

قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟!

قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٢).

أي دين هذا الدين العظيم الذي ينزل إلى واقع النّاس، ويعرّفهم أمورهم بصراحة وبلا مواربة؟!

الإسلام يربّي النّاس تربية جنسية منذ الصّغر، يتعلّم ذلك المسلم حينما يدرس نواقض الوضوء، أو موجبات الغسل، أو الحيض أو

(١) متّفق عليه: رواه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤)، كلاهما في النّكاح، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الزّكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٦٩)، عن أبي ذر.

النَّفاس أو غير ذلك، فيتعلَّم كثيرًا من هذه الأمور، ولكنه يتعلَّمها في جو نظيف، بعيدٍ عن ذلك الجو الخبيث الموبوء، يتعلَّم العبارة النظيفة، العبارة المؤدَّبة المهدَّبة، كما قال ابن عبَّاس رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]. قال: الدخول، والتغشّي، والإفشاء، والمباشرة، والرفث، واللمس، هذا الجماع، غير أن الله حيي كريم يكتفي بما شاء عما شاء^(١)، أي: يعلم النَّاس أدب التعبير في مثل هذه الأمور، يريد ألا يخدش الحياء فيتحدث عنها بالطف العبارات وأرقّ الكلمات.

هذا ما يريده الإسلام.

الإسلام يحلُّ المشكلة الجنسية، بل لا ترى المجتمعات هذه مشكلة أصلاً في ظلّ الإسلام، يوم كان هذا المجتمع مجتمعاً فطرياً بسيطاً لا يعرف هذه الأمور الدخيلة، ولا تلك الأفكار المستوردة، ولا تلك العادات الغريبة، كان تتم أموره بسهولة ويسر، الزواج يتم بسهولة، والرجل يتزوج بأكثر من واحدة إذا احتاج إلى ذلك، ولا يصنع ذلك مشكلة لا مع المرأة الأولى ولا مع المرأة الثانية، ولكن المفاهيم الدخيلة تريد أن تغير هذا المجتمع.

هؤلاء الذين يريدون أن يغيروا التركيب الإسلامي لهذا المجتمع، يريدون أن يدخلوا عليه مفاهيم جديدة باسم هذا الصنم الجديد الذي يسمّى: التطور.

هؤلاء لا يعرفون رُوح هذا المجتمع، ولا يعرفون رُوح هذا الدين، هؤلاء الذين يسمون كلَّ تصوُّن وكلَّ تعفُّف عُقْداً وكبتاً، يقولون: الذي

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).

لا يمارس الجنس مكبوت معقّد، أمّا الَّذي أطلق لشهواته العنان وسار وراء غرائزه فهذا إنسان عصري، إنسان خال من العُقد.

يوسف ﷺ حينما راودته امرأة العزيز عن نفسه وهيأت الأسباب وغلّقت الأبواب وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، يوسف حينما رأى الإغراء يومًا، ورأى التهديد يومًا آخر، من امرأة تملك أن تقول وتفعل، وأن تهدّد وتنفّذ، حينما قالت: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُوجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، يوسف الَّذي واجه هذا كلّه بإيمان قوي وقوة المؤمن ولجأ إلى ربّه داعيًا مستعيذًا يقول: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

يوسف الصديق كان معقّدًا في نظر هؤلاء، كان مكبوتًا، لو استجاب للمرأة لكان متحضرًا، لكان متحرّرًا في نظر هؤلاء، هؤلاء المغزوون بالفكر الغربي، والمنبطحون للثقافة الغربيّة وللحضارة الغربيّة، ليكونوا ما يكونون، ولكن لا يُقبل منهم أبدًا أن يؤثّروا في مجتمعاتنا، لا يُقبل أبدًا أن ينقلوا هذه الأفكار الخبيثة النجسة إلى مجتمع مسلم يعتزُّ بإسلامه وبتقاليده، ويعتزُّ بفضائل العفاف والإحصان، ويرى أن حماية الشرف وحماية العرض من أخلاق الرجال المؤمنين.

إنّ الحضارة الغربيّة لا تعرف شيئًا اسمه العرض، أو شيئًا اسمه الشرف، حتّى الذين درسوا هذه اللغات قالوا: لا نرى فيها كلمة تعبر عما تعبّر عنه الكلمة العربيّة كلمة: العرض أو الشرف، لا يوجد في هذه اللغات ما يماثل هذه الكلمة، التي يقول فيها الشاعر:

أصون عرضي بمالي لا أدنّسه لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه ولست للعرض إن أودى بمحتال^(١)
إذا ذهب العرض لا يعوّض، ولكن المال يعوّض.

هؤلاء يأتون إلينا بحضارة غريبة دخيلة، بأفكار لا تمت إلينا بسبب،
ولا تتصل بنا بنسب، لا نعرفها، هل يريدوننا أن نكون صورة كصورة
ذلك المجتمع، هل يقبل أحد منا لبنيه أو بناته أو لزوجته أو لأخته أو
لأمّه أن تكون مثل النساء في أوروبا وأمريكا والسويد والنرويج ولندن
وغيرها؟ وقد شاهد بعضكم هنا ما شاهد في أثناء رحلاته وجولاته، هل
يريدوننا أن نكون كتلك المجتمعات حذو القذة بالقذة أو النعل بالنعل؟!

* * *

(١) من شعر الصّحابي حسان بن ثابت. انظر: الدر الفريد (٢/٢٨٥)، تحقيق كامل سلمان
الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.



التربية الإيمانية للشباب

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّبَابِ، عَنْ ثَرْوَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي لَا تُقَدَّرُ بِكُنُوزٍ، عَنْ هَذِهِ الثَّرْوَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَعَنْ وَاجِبِنَا نَحْوَ الْحِفَازِ عَلَيْهَا وَتَنْمِيتِهَا وَصِيَانَتِهَا، وَقُلْنَا: إِنَّ أَفْضَلَ سَبِيلٍ إِلَى ذَلِكَ هُوَ التَّرْبِيَّةُ: أَنْ نَرْبِيَ هَذَا الشَّبَابَ، بِأَنْ نَجْنِبَهُ الْمَخَاطِرَ وَالْمَهَالِكَ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَهَذَا جَانِبُ التَّخْلِيَةِ، وَأَنْ نَرْبِيَهُ التَّرْبِيَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمُتَكَامِلَةَ السَّلِيمَةَ، وَهَذَا هُوَ الْجَانِبُ الْإِيجَابِيُّ: جَانِبُ التَّحْلِيَةِ؛ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

غرس العقيدة السليمة:

عَلَيْنَا أَنْ نَرْبِيَ الشَّبَابَ، وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ نَرْبِيَ عَلَيْهِ الشَّبَابَ أَنْ نَغْرِسَ فِي نَفْسِهِ الْعَقِيدَةَ السَّلِيمَةَ، هَذَا مَا تَحَدَّثْنَا عَنْهُ فِي الْأَسْبُوعِ الْمَاضِي، أَنْ نَغْرِسَ فِي عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَكَيَانِهِ كُلِّهِ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، أَنْ يَشِبَّ وَيَشْيِبَ وَيَحْيَا وَيَمُوتَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ مَهْمَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ لَا يَمْلِكُونَ لَهُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا، أَنْ تَرْتَفِعَ جَبْهَتُهُ عَنِ الْخُضُوعِ وَعَنِ الذِّلِّ؛

فلا يخضع إلا لله، ولا يذل لغير الله! فالتوحيد هو الأساس، أن نغرس في قلبه التوحيد، وأن يعلم أن لا إله إلا الله.

التوحيد هو الحقيقة الأولى التي بعث الله بها النبيين مبشرين ومنذرين، أرسل الله بها الرسل، وأنزل بها الكتب، ومن أجلها كان الدين، ومن أجلها حقت الحاقّة، ووقعت الواقعة، وبُعِثَ الناس يوم الحساب، وانتصبت الموازين، ونُشِرت الدواوين، وقامت سوق الجنة والنار من أجل كلمة (لا إله إلا الله)، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الكفر بالطواغيت، كل الطواغيت، كل ما يُعْظَم ويُعبد ويُطاع طاعة مطلقة من دون الله فهو طاغوت، ولا ينبغي لمؤمن أن يمضي في سبيل الطاغوت، فهما سبيلان لا ثالث لهما: سبيل الله، وسبيل الطاغوت، الذين آمنوا في سبيل الله دائماً، والذين كفروا في سبيل الطاغوت.

العقيدة الصحيحة أساس الكرامة والأخوة:

العقيدة الأساسية التي ينبغي أن يُربّى عليها الطفل، ويشب عليها الشاب، ويهرم عليها الشيخ، ويموت عليها المسلم، ويُبعث عليها يوم القيامة: هي عقيدة التوحيد، الذي بُعث به الرسل جميعاً، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هذه هي العقيدة الأولى، ومن هنا كان النداء الأول في كل رسالة، لكل رسول، إلى أي قوم: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

هذه العقيدة إذا استقرت فهي أساس الحرية للبشر، هي أساس الكرامة

للإنسان، هي أساس الأخوة بين الناس جميعًا، فلا حرية إذا كان هناك من يستعبد الناس ويقول لهم: أنا ربكم الأعلى! ولا حرية إذا كان هناك فرعون من الفراعين يتأله بلسان حاله، أو بلسان مقاله على بقية البشر، ولا كرامة للإنسان يرى أنه عبد لغيره، ومربوب لغيره من المخلوقين، ولا يمكن أن تكون أخوة بين ربٍّ ومربوب، وإنما تكون الأخوة بين عباد لرب واحد.

ومن هنا كان النبي ﷺ يقول: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب»^(١). هذا التوحيد هو أساس الحرية، وأساس الأخوة، وأساس المساواة، أن الله واحد، وأن الناس جميعًا متساوون في العبودية له.

ولهذا كان يختم النبي ﷺ رسائله إلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى المقوقس، وإلى غيرهم من ملوك أهل الكتاب ورؤسائهم بهذه الآية الكريمة، بعد أن يدعوهم إلى الإسلام: «أسلموا تسلموا». يختم رسالته بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(٢). ليس هناك أحد ربًّا لأحد، كلنا عباد لله.

رسالة تحرير من عبودية البشر:

هذه هي رسالة الإسلام: رسالة تحرير للبشرية من عبودية الإنسان للإنسان، سواء كان الإنسان المُستعبد رجل دنيا أم رجل دين! حررت

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

(٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣) (٧٤)، عن

ابن عباس.



هذه الرسالة الناس من العبودية للملوك والباطرة، والأكاسرة والقياصرة، وحررتهم أيضًا من العبودية للأخبار والرهبان، الذين اتخذهم بعض الناس أربابًا من دون الله، يحلون لهم الحرام، ويحرمون عليهم الحلال، أعطوهم حق التحليل والتحرير، والتشريع المطلق من دون الله!

جاء الإسلام يحرر الناس بالتوحيد، فالتوحيد أساس الحرية، وأساس الكرامة الآدمية، وأساس الأخوة الإنسانية، وأساس المساواة البشرية، هذا هو التوحيد، ومن هنا ينبغي أن نربي أبنائنا وبناتنا وأجيالنا على التوحيد.

الإيمان أساس التربية:

ولا عجب أن علّمنا الإسلام أنّه بمجرد أن يُولد المولود فمن السُّنة أن يُؤذّن في أذنه، لماذا وهو لا يعي، ولا يميز ولا يعقل؟ ولكن هذا الأذان له معنى، له دلالة، له إيحاء، أن أول ما يطرق سمع المسلم حينما يستقبل الحياة هو شهادة أن لا إله إلا الله، والله أكبر.

وحينما يُحتضر على فراش الموت، حينما يودع الحياة؛ أمرنا النبي ﷺ أن نلقن المحتضر: لا إله إلا الله، وبهذا يدخل الدنيا بلا إله إلا الله، ويخرج منها بلا إله إلا الله، يستقبلها بالتوحيد، ويستدبرها بالتوحيد، لأهمية هذا الأمر.

ينبغي أن يكون الإيمان أساس التربية: أساس التربية المنزلية، وأساس التربية المدرسية، وأساس التربية الجامعية، وأساس الرعاية عند الشباب، وأساس الإعلام، وأساس الثقافة، وأساس الفكر. هو هذا الإيمان.

الأسئلة المصيرية:

إِنَّ الإنسان منذ خُلِقَ وفكَّر؛ حَيَّرته أسئلة: من أين، وإلى أين، ولم؟ من أين جئت وجاء هذا العالم من حولي؟ وإلى أين أذهب بعد أن أعيش هذه الأيام التي أعيشها، طالت أم قصرت؟ ثم ما بين الحياة والموت لماذا خُلقت؟ هل لي رسالة أم لا رسالة لي؟ ما الذي يجيب عن هذه الأسئلة؟ إِنَّ الذي يجيب عن هذه الأسئلة إجابة تشفي الصدور، وتطمئن بها القلوب، وتقتنع بها العقول، وتُحلُّ بها العقد والألغاز، هو الدين، هو الإيمان، هو الإسلام.

الإنسان لم يُخلق عبثًا:

إِنَّ الإنسان لم يُخلق عبثًا، إِنَّ الإنسان لم يَخْلُق نفسه، ولكن خلقه خالق، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٥ - ٣٦]، من أين جئت وجاء هذا العالم؟ إِنَّه من خلق الله، هناك خالق مدبر، هناك عالم حكيم، فوق هذا الكون مُكوّن.

إِنَّه لا تُوجد صنعة بلا صانع، ولا أثر بلا مؤثر، إِنَّه قانون العلية أو السببية الذي تحدث عنه الفلاسفة قديمًا وحديثًا، وعبر عنه الأعرابي ببساطته فقال: البعرة تدل على البعير، وخط السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ أفلا يدل ذلك على العليّ القدير؟

من أين؟ وإلى أين؟ إذا كان مبدئي من الله، وليس نتيجة الصدفة العمياء كما يظن ظانون؛ فإلى أين المصير؟ بعد هذه الأيام التي أعيشها إلى أين أنتهي؟ هل الموت نهاية المطاف أم هناك حياة أخرى؟ إذا كان

الموت نهاية المطاف فما أتفه هذه الحياة، إنَّها لا معنى لها، أخلقنا لنعيش هذه الأيام ثم نعدم وننتهي؟!

أهي أرحام تدفع وأرض تبلع ولا شيء غير ذلك؟ أم هناك حياة أخرى؟ هل الموت فناء تام وعدم صرف؟ أم الموت انتقال كما قال عمر بن عبد العزيز: إنَّما خُلِقْتُمْ للأبد، وإنَّما تُنْقَلُونَ بالموت من دار إلى دار^(١). من دار الدنيا إلى دار الآخرة، الدنيا قنطرة عبور، وجواز مرور إلى تلك الدار، وكما يقول الشاعر الصالح:

وما الموتُ إلَّا رحلةٌ غيرُ أنَّها من المنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي^(٢)

انتقال من دار إلى دار:

هو خلود دائم إذن، وإنَّما تنتقل من دار إلى دار، ولهذا قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المك: ٢]. ولو كان الموت عدمًا صرفًا لم يُخلق؛ فإنَّ العدم لا يُخلق!

الدنيا إذن مزرعة للآخرة، نحن نزرع هنا لنحصد هناك، نحن نُعد ونُصقل هنا ليكون الجزاء هناك، هذه الدار للابتلاء، للبذر، للزرع، للعمل، اليوم عمل ولا حساب، والغد حساب ولا عمل.

هكذا ينبغي أن نعلم: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

رسالة الإنسان في الحياة وغايته:

لماذا خُلِقنا؟ لماذا نعيش؟ هل لنا رسالة؟ هل للإنسان غاية؟

الذين لا يؤمنون لا يعرفون لهم غاية، ولا يعرفون لعيشهم ولا لحياتهم

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٧/٥).

(٢) من شعر أبي العتاهية. انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ١٥١.

رسالة، فهم يأكلون كما تأكل الأنعام، وينفقون كما تنفق الدواب في النهاية، ليس لهم رسالة، لا معنى لحياتهم، لا طعم لها ولا مذاق.

أمّا المؤمنون فيعلمون أنّ لهم رسالة، وكلما قوي الإيمان، واستنارت به البصائر، وهُديت به القلوب، تفتحت أمام أعينهم الآفاق، واستبان لهم الغايات، واتضحت لهم السبل والطرائق، فعرفوا مصيرهم، وعرفوا غايتهم، وعرفوا طريقهم، فاطمأنوا واستراحوا.

عرفوا أنّهم لم يُخلقوا عبثاً، ولم يُتركوا سدى، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، أمعقول أن ينهد سرادق هذه الدنيا بعد أن يعيش الناس فيها ثم ينتهي ولا شيء: لا حساب، ولا جزاء؟!

عدالة الله والحساب والجزاء:

سرق السارق، ونهب الناهب، وقتل القاتل، وظلم الظالم، وطغى الطغاة في البلاد؛ فأكثروا فيها الفساد: هتكوا الأعراض، وسفكوا الدماء، وانتهكوا الحرمات، وعذبوا البشر، وفعلوا الأفاعيل، وبعد ذلك لا شيء، لا عقاب، لا جزاء؟! أين العدل؟ ألهذا الكون إله يحكمه؟!

هؤلاء الذين أفلتوا من القوانين لم تستطع يد العدالة أن تصل إليهم، وإنّما استمتعوا بحقوق غيرهم، وبأموال غيرهم، وعاشوا على حساب غيرهم، بنوا القصور من جماجم البشر، هؤلاء لا شيء عليهم؟! هذا ما يقوله الماديون!

الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الحق والخير والهدى، والذين قدموا رقابهم من أجل أمتهم، ومن أجل مثل عليا يؤمنون بها،

ما جزاؤهم؟ ما الذي أخذوه؟ إذا قيل: تركوا وراءهم ذكراً حسناً. فماذا يفيدهم الذكر الحسن بعد موتهم؟ وإذا قيل: أخذوا راحة الضمير. فأين الضمير وقد ماتوا؟!!

إنه لا يحل هذه العقدة إلا القول بأن هناك داراً أخرى وحياة أخرى هي خير وأبقى، هي الحيوان أي هي الحياة الحقيقية، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، لا بد من هذه العقيدة، ولا بد أن نغرسها في النفوس من أول الأمر، أن هناك حياة بعد هذه الحياة، وداراً بعد هذه الدار.

عقيدة الإسلام قوة لا تقهر:

هذه العقيدة تخلق في الإنسان القوة التي لا تُقهر، والقوة التي لا تعجز، بها يستطيع الإنسان أن ينتصر للحق، وأن يقف في وجه الباطل، وأن يقف مع العدل، وأن يقاوم الظلم والطغيان، بهذه القوة النفسية - التي أعطاها له هذا الإيمان - يستطيع أن يفعل هذا.

ما الذي جعل إبراهيم عليه السلام وهو فتى شاب في مستقبل العمر يهدد قومه الذين يعبدون الأصنام؛ بأنه سيكسر أصنامهم، ﴿وَتَأْلُوهُ لَأكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، قال هذا بعد أن حاجهم وجادلهم، وأقام عليهم الحجة، ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٥٤]، هذه الأصنام التي لا تبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع، جادلهم وكان صاحب حجة؛ فلم تغن حجته شيئاً عندهم، فحلف ليكدن لهذه الأصنام، وليفعلن بها فعلاً، وقد فعل!

في يوم عيد من أعيادهم ذهب إلى هذه الأصنام؛ فوجد عندها من المطاعم والمشارب ما لذ وطاب؛ حيث يُحرم من هذا الكثير من الناس، فقال متهمًا: ما لكم لا تأكلون؟ ثم راغ عليهم ضربًا بيمينه يكسرها ويحطمها، فلما جاؤوا وجدوها جُذاذاً إلا كبيراً لهم؛ لعلمهم إليه يرجعون، ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩ - ٦٠]، يتوعد هذه الآلهة بالكسر والتحطيم.

محاكاة قوم إبراهيم:

هذا الفتى لم يغره طيش الشباب، لم يفكر في لهو ولا لعب، لم يجر وراء شهوة ولا لذة، لم يسر وراء امرأة ولا كأس؛ كان يشغله الحق الذي قامت به السماوات والأرض، كان همه أن يرد الناس إلى الفطرة، إلى العدل، إلى التوحيد، فتوعد هذه الأصنام ونفذ ما توعد، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠ - ٦١]، وحاكموه، ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، فقال ساخراً: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وفي لحظة من لحظات رجوع الإنسان إلى الفطرة وإلى الرشد، انتصرت الإنسانية فيهم لحظة، ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، بعد أن غابوا عنها طويلاً، ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، قالوا هذا لأنفسهم، وقالوه بعضهم لبعض، ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، سرعان ما غلبهم شيطانهم فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]. أنت تعرف أنهم لا ينطقون، ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦ - ٦٧]، أتعبدون ما لا يدفع عن نفسه، من لم يستطع أن يحمي نفسه من التحطيم والتكسير!

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٥ - ٩٦]، صخرة من الصخور يأتون بها من الجبل فينحتونها، ويجعلون لها رأساً وأنفاً، وعينين وكذا؛ فتصبح إلهاً يستحق التقديس! نحتها الإنسان وصنعها ثم أصبح يرجوها ويخشها، ويعبدها ويخاف منها، ويلتمس عندها البركات، والنصر على الأعداء، والشفاء من الأسقام!

منطق القوة عند غياب قوة المنطق:

عندما لا توجد قوة المنطق يلجأ الناس إلى منطق القوة، وعندما لا يجدون الحجة يلجؤون إلى البطش، وإلى التعذيب والإرهاب، وهذا شأن الطغاة دائماً، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، وأوقدوا له ناراً عظيمة تنافسوا في إيقادها، وإيجاد الحطب والأخشاب والوقود لها، ثم ألقوه فيها، ولكن الله سبحانه قلب النار إلى روح ورياحين، وقال لها: ﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

الإيمان يصنع هذه القوة:

ما الذي جعل إبراهيم في هذه القوة؟ إنه الإيمان، حتى حكوا عنه أن جبريل جاءه - وهو في داخل النار - يقول: ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، وأمّا حاجتي إلى الله فلا تنقطع أبداً! وكان نشيده منذ ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

الإيمان هو الذي يصنع القوة، إذا أردنا جيلاً من الأقوياء، لا جيلاً من المهazيل الضعفاء، فعلينا أن نغرس في نفسه الإيمان. مشكلة هذه الأمة كما حدثنا النبي ﷺ ليست في قلة العدد؛ بل نبأنا بهذا الزمن أننا سنكون كثرة كثيرة، ولكنها كثرة «كغناء السيل». والغناء: الذي يحمله

السيل من القش والحطب، والأوراق والعيدان والأغصان، التي لا يجمعها جامع، لا تناسق بينها ولا هدف لها، يسوقها التيار هنا وهناك، كثرة «كغشاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم»، وقد كانت هذه الأمة تُنصر بالرعب مسيرة شهر، بينها وبين أعدائها مسيرة شهر! ولكن أخبارها وأنباء انتصاراتها، وأخلاق رجالها، وبطولات أبنائها تسبقهم فتقذف في القلوب الرعب قبل أن يلقوهم!

«وليقذفن في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ لم يسأل الصحابة عن المعنى اللغوي؛ فالوهن معروف لديهم أنه الضعف، ولكنهم سألوا عن علته، قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»^(١). حين تسود الأنانية، ويكره المرء أن يضحي بنفسه، وتكون قطرة الدم عزيزة على كل إنسان! وهذا غير ما كان عليه الصحابة، الذين كانوا يتسابقون على الشهادة، وعلى الموت في سبيل الله، وكل منهم يريد الجنة، ونشيدهم: هبي يا رياح الجنة!

كان خالد بن الوليد يبعث برسائل إلى قادة الفرس والروم؛ فيختمها بهذه الكلمة: افعلوا كذا وكذا؛ وإلا غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة^(٢). يحرصون على الموت! أحب شيء إليهم أن يموتوا في سبيل الله، هكذا كان يقول خالد، وقد أوصاه أبو بكر رضي الله عنه بكلمته التاريخية الخالدة الشهيرة: احرص على الموت تُوهب لك الحياة^(٣).

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرّجه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهو ضعيف وقد وثق. عن الشعبي مرسلًا..

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٧/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

في سنة ١٩٤٨م. كان هناك متطوعون، شباب نذروا أنفسهم لله، وذهبوا ليلقوا اليهود؛ يريدون النصر أو الشهادة، هؤلاء المتطوعون - من شباب الجامعات وغيرهم - كان اليهود يخافونهم أشد الخوف، ويفزعون منهم أشد الفزع، وقد قالوا لضابط مؤمن أسير من ضباط الجيش المصري: نحن لا نخاف أي جيش من الجيوش العربية، لا نخاف إلا من هؤلاء الجماعة. قال: أي جماعة؟ قالوا: جماعة الله أكبر، الذين يدخلون المعارك وشعارهم الله أكبر. قال: وعلام تخافونهم؟ إنهم شباب جاؤوا من القرى والجامعات، ليسوا مدربين كتدريب الجيوش. قالوا: لا نخاف من هذا، إنما المشكلة أننا جئنا من بلاد شتى إلى هنا في أرض فلسطين لنعيش، وهؤلاء جاؤوا من بلادهم ليموتوا. فأين من يطلب العيش ممن يطلب الممات؟! القوة التي يبعثها الإيمان في الأنفس لا تعادلها قوة.

فتية آمنوا بربهم:

ما الذي جعل هؤلاء البضعة من الفتيان يقفون في وجه قومهم وحكامهم، ويعلنون عقيدتهم أمام الملأ في غير خشية؟ أولئك هم فتيّة أهل الكهف الذين قصّ الله علينا قصتهم، وسُميت سورة من سور القرآن باسمهم: سورة الكهف، ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُوا عَلَيْهِمُ الْبُتُنُ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٣ - ١٥].

ما الذي أعطاهم هذه القوة، وهم لا يزيدون عن سبعة؟ أقصى

ما قيل فيهم: إنهم سبعة وثامنهم كلبهم. إِنَّهُ الْإِيمَانُ، ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَّةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، هذا هو سر القوة.

إيمان سحرة فرعون:

ما الذي جعل سحرة فرعون يغيرون موقفهم بسرعة غريبة، ويبدلون نمط حياتهم، ويقفون في وجه المتأله الجبار: فرعون الذي يملك المال والسلطان، ويملك الجنود والجيوش، ويملك التعذيب والإيذاء؟!

ما الذي غير هؤلاء الحُواة؟ أولئك السحرة الذين جمعهم فرعون من كل حذب ووصول؛ ليتحدى بهم موسى - وهو يعلم أنهم في صفه، ومن رجاله - وقد جاؤوا في أول الأمر شامخين بأنوفهم، ثانيين أعطافهم، يقولون: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. وقالوا لفرعون في أول الأمر: ﴿أَيْنَ لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]. هل ستعطينا المال أجراً؟ قال: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢]. أموال ومناصب، وتقريب وجاه، وهذا ما يسعى إليه أهل الدنيا!

إلام يسعى الناس من عبيد الدنيا؛ إلا إلى المال والجاه، والقرب من ذوي النفوذ والسلطان، ﴿فَالْقَوَىٰ جِبَاهُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الشعراء: ٤٤]، أدوات السحر، ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، حلفوا بعزة فرعون - الذي كانوا يعتبرونه إلهاً - أنهم الغالبون، ﴿فَالْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]، تبتلع الحبال والعصي ولا تبقي لها أثراً، وهذا شيء غير ما عرفوه في السحر!

قد يغلب الساحرُ الساحرَ؛ ولكن تبقى الأدوات كما هي، أمّا عصا تنقلب إلى حية، وتبتلع كل ما أمامها من أدوات السحر؛ فهذا شيء فوق قدرة السحر وطاقة البشر!



علموا أن هذا من قدرة الله وقوته؛ فخروا ساجدين، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿[الشعراء: ٤٧ - ٤٨]. هنا جُن جنون فرعون؛ كيف
ينقلب أعداء موسى أعواناً له، الذين جمعهم فرعون من هنا وهناك،
يصبحون في لحظة واحدة أضداداً له ومعارضين له، ويقولون بعبارة
صريحة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠].

ما هذا الذي حدث؟ إنه الإيمان - والإيمان وحده - الذي غيّر هؤلاء
السحرة، وجعلهم ضد هذا الطاغوت، وحينما هددهم بالتصليب والتقتيل
لم يرهبهم الوعيد، ولم يخفهم التقتيل والتصليب، وقالوا هذه الكلمات:
﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي
هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ﴿[طه: ٧٢ - ٧٣].

لقد غيّر الإيمان منطقهم، وغيّر سلوكهم، وغيّر حياتهم، فأصبحوا أمة
جديدة ونمطاً جديداً، وهذا هو الإيمان، وهذا هو صنع الإيمان.

نسأل الله وَجَّلاً أَنْ يجعلنا من المؤمنين الصادقين، وأن يوفقنا لتربية
أجيالنا على الإيمان واليقين؛ إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



تربية الشباب على الإسلام الصحيح

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تحدثنا عن الشباب وبعض مشكلات الشباب، وهذه السنة يسمونها السنة الدولية للشباب، وما أجدرنا أن نطيل الحديث، ونبدئ ونعيد في الكلام عن الشباب: ثروة الأمة، وذخيرة المستقبل.

تحدثنا عن بعض المشكلات، وكل المشكلات تنشأ من بعدنا عن المنهج الصحيح، عن الدواء الناجع الذي لا دواء غيره، وهو الدواء المأخوذ من صيدلية الإسلام، لا طبيب لمشكلات الشباب، ولا لمشكلات المجتمع، ولا لمشكلات الإنسانية كلها؛ إِلَّا هَذَا الدِّينَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ؛ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

المنهج الإلهي علاج لمشكلاتنا:

هو تبيان لكل شيء، من رب كل شيء، وخالق كل شيء، الله هو الذي خلق الإنسان وصنعه، وهو أعلم بما يصلحه وما يفسده،

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، صانع الجهاز هو أدرى بما يصون الجهاز، وهو يعطيك - حين تشتري الجهاز أو الآلة أو الماكينة - كتالوج؛ يبين لك فيه كيف تشغله، وكيف تصونه، وكيف تصلحه. وإذا عجزت عن إصلاحه ذهبت إلى مصنعه، وإلى ورشته الأصلية!

والله هو صانع الإنسان، هو الذي يعلم ما يرقى بهذا الإنسان، وما يهبط به، ما يصلحه وما يفسده، ولذلك لا ينبغي أن نطلب علاج هذا الإنسان وحل مشكلاته إلا من رب هذا الإنسان، من الله وَحْدَهُ.

تربية الشباب على الإسلام:

والله قد شرع لنا دينًا قيّمًا، شرع لنا منهاجًا رشيدًا سديدًا، فيه دواء لكل داء، وحل لكل معضلة، وشفاء لكل مرض، فإذا أردنا أن نعصم شبابنا، أن نصونهم، أن نصلحهم، أن نرقى بهم، أن ننزههم عن الأوبئة الفتاكة، أن ننأى بهم عن المخدرات والمسكرات والآفات، أن نبعدهم عن أوحال الشهوات، إذا أردنا أن نربي شبابًا يكون للأمة ذخرا وكنزا ينفعها في سلمها وفي حربها، في يومها وفي غدها، يكون لها ويكون على عدوها، إذا أردنا ذلك فلنرجع إلى الإسلام.

لا بد أن نربي شبابنا على الإسلام، ونوجهه إلى الإسلام: الإسلام الصحيح، إسلام القرآن والسنة، إسلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، إسلام خير قرون هذه الأمة، إسلام الحق والقوة، إسلام العلم والعمل، إسلام العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والخلق القوي، والدعوة على بصيرة.

تعاون مؤسسات المجتمع في توجيه الشباب:

لا بد أن نربي شبابنا على الإسلام، ونوجهه إلى الإسلام، ولا بد أن نتعاون على هذه التربية وهذا التوجيه كل أجهزة التعليم والتوجيه والإعلام والتأثير: البيت والمدرسة والجامعة، والإذاعة والتلفزيون والسينما، والصحافة والكتاب والشارع، كل الأجهزة وكل المؤسسات يجب أن تتعاون على بناء هذا الجيل، لا يجوز أن يبني جهاز ويهدم آخر، لا يجوز أن يوجه المنبر إلى خير وتوجه الأجهزة الأخرى إلى شر. متى يبلغُ البنيانُ يومًا تامَّه إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدمُ^(١)؟!

لا بد أن تتعاون الأجهزة كلها، والمؤسسات جميعها على تلقين هذا الجيل مبادئ الإيمان، وأسس الإسلام، ودعائم الأخلاق، وركائز الفضائل، وآمال المؤمنين، وطموحات المتقين، لا بد أن نغرسها في أنفس الشباب: بالكلمة الطيبة، بالصورة المرئية، بالقصة المروية، بالكتاب يُقرأ، بالمسلسل يُشاهد، بالمقالة تُكتب، بالصورة في الشارع، بالتقاليد المرعية، كل هذا لا بد أن يعمل على تربية الشباب وتوجيه الشباب.

غرس معاني التوحيد:

لا بد أن نوجه شبابنا للإيمان، أن نربيه على مبادئ الإيمان، أن نغرس في أعماقه أن هناك وراء هذا الكون واحدًا أحدًا، لا والدًا ولا ولدًا، ولم يكن له كفوا أحد.

لا بد أن نغرس في قلبه التوحيد، ألا إله إلا الله، ولا ضار ولا نافع، ولا خافض ولا رافع، ولا معطي ولا مانع، ولا محيي ولا مميت إلا الله،

(١) البيان والتبيين (٢٥٨/٣).

لا بدّ أن نغرس في نفسه منذ نعومة أظفاره أنّ الذي يملك أمره كله، أنّ الذي يملك رزقه وأجله إنّما هو الله!

إذا كان الناس يخافون على أرزاقهم أن تنقص، أو يخافون على أعمارهم أن تعجل، فإنّ الأجل محسوم، وإنّ الرزق مقسوم، وإنّها أيام معدودة، وأنفاس محدودة، ولا يستطيع أحد أن يزيد من عمره أو ينقص فيه، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ولا يستطيع أحد أن يعطيك درهماً ليس من رزقك، ولا أن يزيدك لقمة لم تكتب لك، فالرزق عند الله والله ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

يجب أن نغرس في أبنائنا وبناتنا منذ الصغر عقيدة الوجدانية، عقيدة التوحيد، أنّ الذي يُرجى ويُخشى، أنّ الذي تنحني له الرؤوس، وتتعفر له الجباه، وتطأطأ له الظهور هو الله وحده، وأنّ المخلوقين جميعاً - كبروا أم صغروا - لا يملكون لك ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، هذه العقيدة، عقيدة التوحيد، أنّ الله وحده سيد هذا الكون، وأنّ أحداً لا يملك في هذا الكون مثقال ذرة، يجب أن نربي عليها شبابنا، أن نربي عليها أولادنا.

الإيمان بالله واحداً أحداً، الإيمان بالله العليّ القدير، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي أحاط بكل شيء خبراً، وأحصى كل شيء علماً وعدداً، ووسعت رحمته كل شيء، ووسع رزقه كل حي، ولا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية، هذه العقيدة يجب أن تغرس في الأعماق، في السويداء؛ حتى لا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يذل إلا الله، ولا يخضع إلا لله.

الإيمان بالآخرة:

يجب أن نربي أبناءنا على هذا الإيمان، أن نربي أبناءنا على أن هناك آخرة، على أن هذه الحياة الدنيا ستنتهي ولا محالة، ولكن نهاية الحياة ليست هي نهاية المطاف.

ولو أننا إذا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
ولكنَّا إذا مِتْنَا بُعِثْنَا لِنُسْأَلَ بِعَدَها عَنْ كُلِّ شَيْءٍ^(١)

بعد الموت بعث، بعد البعث موقف، بعد الموقف حساب وسؤال وميزان، وجنة ونار! لا بد أن نغرس هذه المعاني في نفوس أبنائنا، أن هناك لقاءً لله، وأن كل أحد سيُسأل، سيُسأل عن كل كلمة تكلمها: جهراً، أو سراً، عن كل عمل عمله: خيراً، أو شراً، عن كل شبر خطاه: بحراً، أو برّاً، عن كل شيء كان في دنياه، ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وعلى كل أن يحضر للسؤال جواباً، وأن يستعد لهذا اليوم، الذي تُنشر فيه الدواوين، وتُنصب فيه الموازين، ويحكم على كل إنسان ميزانه: حسناته، وسيئاته، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

الإيمان يسمو بصاحبه:

لا بد أن نربي أبناءنا وبناتنا على هذه العقيدة، على التوجيه إلى الإيمان. إذا غرسنا في نفوسهم الإيمان؛ فإنهم بهذا الإيمان يستعلون

(١) البيتان للدلف بن أبي دلف في رؤيا رآها، رواهما الخطيب في تاريخ بغداد (٤١٥/١٤)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

على التراب، يستعلون على الشهوات، تسمو نفخة الروح بين جنوبهم، على حمأة الطين في نفوسهم، فالإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، فيه طين وحمأ مسنون، وفيه سر قول الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [ص: ٧٢]، فالطين يجذبه إلى أسفل، ونفخة الروح تشده إلى أعلى، يظل الأمران يتجاذبان، فإما أن يهبط إلى حضيض الحيوان، وإما أن يرقى إلى أفق الملائكة.

لا بدّ أن نعمل على إعلاء الجانب الروحي الرباني، على الجانب الطيني في أبنائنا وبناتنا: بحسن التربية، بغرس مبادئ الإيمان، حينما يوجد هذا الإيمان يصبح الإنسان قادرًا على أن يركل الشهوات، على أن يقاومها.

أثر الترغيب والترهيب في التربية:

والإنسان بطبيعته أناني، يحب منفعة نفسه، ما الذي يجعل الإنسان يضحي بمنفعة نفسه؟ لا بدّ أن يكون شيء أكبر من هذه المنفعة، هذا الشيء هو رضوان الله تعالى ومثوبته، حينما تقول له: هناك جنة تجري من تحتها الأنهار، عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ٧٢]، هنالك ينسى كل شيء؛ في سبيل هذه الغاية، في سبيل هذه العاقبة.

حينما ترغبه وترجيه، أو حينما تخوفه وترهبه من النار، هذه النار التي نار الدنيا بجوارها جزء من سبعين جزءًا، حينما تخوفه من هذه النار التي وقودها الناس والحجارة.

جِسْمِي عَلَى الشَّمْسِ لَيْسَ يَقْوَى وَلَا عَلَى أَهْوَنِ الْحَرَارَةِ
فَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى جَحِيمٍ وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ^(١)؟
الإنسان لا يترك منافعه الدنيوية إلا من أجل شيء أكبر، يرجوه أو يخافه، وليس هناك ما يُرجى أعظم من الجنة ورضوان الله، وليس هناك ما يُخشى أكبر من النار والحجاب عن الله.

والإنسان يجب العاجلة، والنفس مولعة بحب العاجل، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ
الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]، لماذا يترك الإنسان لذاته العاجلة إلا في مقابل لذات
آجلة أكبر، ونعيم آجل أعظم، ذلكم هو ما عند الله، ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنَّعُ
الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]،
﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
لِمَنِ أَنْتَقَى وَلَا تَنْظُمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

استعلاء أصحاب النبي على مآلوفاتهم:

جاء النبي ﷺ إلى العرب، كانوا يشربون الخمر، كانوا مولعين
بالخمر، يعشقون الخمر، ولهم مجالسهم الخاصة، والندماء والأقداح،
قالوا فيها الشعر وأكثروا، سموها أكثر من مائة اسم: اسم العلم،
والأوصاف، والكنايات، فهي الخمر، والسُّلَافَة، والراح، والصهباء، وبنت
العنقود، وبنت الجنان، وكذا وكذا!

كان لهم ولع بها، ولذلك أخذهم الإسلام بمنهج تدريجي في
تحريمها، حتى إذا كانت الآية الحاسمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) ذكره بلفظ مقارب من غير نسبة: الشارعي في مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (١/٤٣٨)، نشر

الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ.

الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿[المائدة: ٩٠، ٩١]؟ قالوا: انتهينا انتهينا^(١).

كان الرجل في يده الكأس قد شرب بعضًا وبقي بعض؛ فلم يكمل الكأس! لم يقل ما قال امرؤ القيس قديمًا، حينما بلغه مقتل أبيه وهو في مجلس الخمر. قال: اليوم خمر وغدا أمر! لا، المسلم حين بلغته الآية: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾؟ ألقى بما في الكأس على الأرض، ولم يكتفِ بهذا؛ بل ذهب إلى البيت فما كان فيه من خمر أراقه في الطرقات، شقوا القرب التي فيها الخمر ولم يبقوا منها قطرة، وقالوا: انتهينا يا رب!

عجز القوانين والتشريعات بدون إيمان:

في العصر الحديث حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنع الخمر، وصدر تشريع من المجلس التشريعي، وقرارات من الحكومة، وكُلف الشرطة والجيش والأسطول؛ بمراقبة البر والبحر، وسُودت ملايين الصفحات للإعلام بأضرار الخمر وغير ذلك، ولكنهم أخفقوا، انتشرت السوق السوداء لصناعة الخمر وتهريبها هنا وهناك، وضغط تجار الخمر، وشرب الخمر، وعشاق المسكرات على الجهة التشريعية؛ فعادت وأباحَت الخمر من جديد؛ لم يكن عندهم ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حينما وُجد (يا أيها الذين آمنوا) وجاءهم التشريع والإلزام: التزموا وانتهوا، وقالوا: انتهينا يا رب.

(١) رواه أحمد (٣٧٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، والنسائي في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

الإيمان صانع البطولات والفضائل:

الإيمان هو صانع كل شيء: صانع البطولات، صانع الفضائل، صانع الأخلاق، صانع السلوك الطيب هو الإيمان. وأمتنا لا يحركها شيء كما يحركها الإيمان، طالما قلت: إن لهذه الأمة شخصية، ولكل شخصية مفتاح، كما أن للسيارة مفتاحًا بلمسة من هذا المفتاح تتحرك السيارة وتشتغل، فللشخصية الإنسانية مفتاح، ومفتاح أمتنا الإسلام، الإيمان، أن تذكرها بالله، بالآخرة، بالجنة، بالنار! وبغير هذا لن تتحرك، وبغير هذا لن ترتدع، وبغير هذا لن تهتدي، ولن تنتهي عن شر.

معرفة أهدافنا في الحياة:

يجب أن نصنع مع أبنائنا ما صنع النبي ﷺ وأصحابه مع أبنائهم، لقد أحيوهم في مثل عليا كبيرة، أحيوهم لأهداف، لرسالة، لآمال كبرى، يجب أن يعرف أبنائنا لأي شيء يعيشون، لماذا يعيشون؟ ما رسالتهم؟ ما هدفهم في هذه الحياة؟ أهمتنا أن نأكل ونشرب ونلهو ونلعب، ثم ننفق كما تنفق الدواب؟ أقصة الحياة: أرحام تدفع، وأرض تبلع، نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر؟! أهذه هي الحياة؟ خلقنا من التراب، ونأكل من التراب، ونمشي على التراب، ثم ننتهي أخيرًا إلى التراب؟ كله تراب في تراب؟ أهذه هي الحياة؟ لا بد أن يكون للحياة معنى، لا بد أن يكون لها رسالة، لها طعم، لها هدف.

اليهود عاشوا لرسالة، أن يقيموا دولة وأقاموها، والنصارى يريدون أن يبشروا بالمسيحية في أنحاء العالم، وأن ينصروا المسلمين في أنحاء العالم، ورصدوا لذلك ما رصدوا من آلاف الملايين، والشيوعية تريد أن تغزو العالم كله.

ما هي مهمة الإنسان المسلم؟ ما هدف الإنسان المسلم والشاب المسلم؟ أن يتفرج على الكرة؟ من الفريق الذي يغلب؟ ومن الفريق الذي يغلب؟ أهذه مهمتنا؟ أن يسهر على المسلسلات والقصص؟ أن يتفرج على الصور العارية في المجلات أو في الأفلام التي تدخل متسللة من وراء ظهر السلطة؟ ما هي مهمة الشاب المسلم؟ ما هي مهمة الفتاة المسلمة؟ ما أهداف هذا الإنسان المسلم في هذا العصر؟!

نماذج من شباب الصحابة:

لا بدّ أن يعيش لهدف كما عاش الصحابة وأبناء الصحابة، هذا الشاب الذي ذهب إلى أبيه يقول له: إن رسول الله ﷺ ردني لصغر سني، وأجاز رافع بن خديج! قبله في الغزوة في الجيش، مع أنني أصرع رافعاً، أنا وإن كنتُ أصغر منه سنّاً أقوى منه جسمًا، وأغلبه في المصارعة، فذهب الأب إلى النبي ﷺ ينقل له خطة هذا الولد وطموحه - هذا الفتى الذي بكى لأنّه لم يذهب إلى الجهاد - وقال له: إن ابني يصرع رافعاً، فكيف أجزت رافعاً ورددت ابني؟ فأمر بهما النبي ﷺ؛ فاصطربا أمامه، ليختبر أيهما أقوى، فصرع هذا الشاب - أظنه سمرة بن جندب - رافعاً، فأجازه النبي ﷺ^(١). هكذا كانت طموحاتهم!

قال أحد الشيوخ الكبار لشاب من هذا النوع من الشباب، وقد أمسك بالسيف، وذهب إلى الحرب: يا بني إنك قصير، ماذا تعمل بهذا السيف؟ فقال: يا عماه إنني وإن كنتُ قصيراً؛ أطيله بخطوتي إلى الأمام، أطيل سيفي بخطوة إلى الأمام لأدرك به العدو فأضرب به الأعناق. هذه طموحاتهم!

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٦١/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

سعد بن خيثمة وأبوه خيثمة تنافسا للخروج إلى الغزو، أيهما يبقى؟ لا بد أن يبقى أحدهما في البيت، الأب يريد أن يذهب إلى الغزو، والابن يريد أن يدركه هذا الفضل، ولم يتنازل أحدهما لصاحبه، فاقترعا، فلما اقترعا صار السهم لابن سعد، كان هو صاحب الحظ أن يخرج للجهاد، فقال له أبوه خيثمة: يا سعد، أنا أبوك وصاحب الحق عليك، أثرتني بها. فقال له: يا أبتِ إنها الجنة، ولو كان شيء غيرها لآثرتك^(١)!

لو كان مالا أو طعاما أو لباسا أو شيء من زينة الدنيا؛ كنتُ آثرتك به وتركته لك، ولكنها الجنة التي فيها يتنافس المتنافسون، وعليها يحرص المؤمنون، ومن أجلها يتسابق المتسابقون، إنها الجنة يا أبتِ، ولو كان شيء غيرها لآثرتك!

المسؤولية الجماعية عن تربية الشباب:

إننا في حاجة إلى أن نربي شبابنا على معاني الإيمان: الإيمان بالله، الإيمان بالآخرة، الإيمان برسالة محمد ﷺ، الإيمان بهذا الدين، وأن من واجبنا أن يقود ويسود، وتملاً أشعته آفاق العالم، وترتفع راياته على الدنيا كلها.

الإيمان بهذا هو الذي يجب أن نوجه إليه شبابنا، أن نوجه إليه أبناءنا وبناتنا، كل منا مسؤول، مسؤولية الأب في بيته، مسؤولية الأم في أسرتها، مسؤولية المعلم في مدرسته، مسؤولية الخطيب في مسجده، مسؤولية الحاكم في حكمه، مسؤولية المفكر في فكره، مسؤولية

(١) رواه ابن المبارك في الجهاد (٧٩)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٨٩/٣)، وسكت عنه، وقال الذهبي: مرسل، في إسناده ضعف.



الصحافي في صحافته، مسؤولية الإعلامي في إعلامه، المجتمع كله مسؤول عن إشاعة جو الإيمان ومناخ الإيمان، ومقاومة كل وباء يلوث هذا الجو، العالم الآن يشكو من التلوث: تلوث البيئة، التلوث المادي. وأخطر من التلوث المادي التلوث المعنوي، التلوث في أجواء الإيمان، أجواء الفضائل.

التغيرات السلبية للمجتمعات المعاصرة:

انظروا ماذا دخل على هذا المجتمع، كم كان نقيًا صافيًا فتكدر، كم كان نظيفًا فتلوث، انظروا كيف كان آباؤكم، كيف كان أجدادكم، لم يكن عندهم كثير من المال، ولم يكن عندهم كثير ولا قليل من هذه الأجهزة التي يسرت الحياة، وملأت البيوت بالرفاهية، وقربت البعيد، وألانت الحديد، ولكنهم كانوا يملكون نفوسًا أصفى، وقلوبًا أتقى، وأخلاقًا أزكى، كانوا أسعد في حياتهم العادية القليلة التكاليف، منا بهذه الحياة الصاخبة، المليئة بأنواع النعيم والرفاهية.

حقيقة السعادة:

السعادة ليست في أن تملك السيارة، ولا أن تملك الأجهزة والأدوات الأتوماتيكية، السعادة تنبع من قلبك، تنبع من هنا من داخلك، لا تُشترى، لا تُستورد، السعادة تنبع من اليقين، تنبع من الإيمان، تنبع من الرضا، من الأمن النفسي، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

رضي الله عن عمر وزوجه أم كلثوم؛ حينما تلاحا في أمر من أمور البيت، فقال لها متوعدًا: لأشقيك. قالت له: لا تستطيع. قال: كيف

لا أستطيع؟ قالت: لو كانت سعادتي في مال لقطعتَه عني، لو كانت في زينةٍ لحرمتني منها، ولكنني أرى سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي!

هذه هي السعادة، هذا هو الإيمان، علينا أن نتجه لغرس هذا الإيمان، لزراعته في القلوب، والزراعة تحتاج إلى رعاية، إلى تعهد حتى يؤتي هذا النبات أكله بإذن ربه، ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فقد ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلّا استجاب له^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأذهب عن أرض المسلمين سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهمّ انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم خذ بأيديهم إلى مواطن النصر، اللهم أيدهم بملاً من جنّدك، وأمدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهمّ اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، ونياتهم على الجهاد في سبيلك، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا

(١) سبق تخريجه ص ٢١.



وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



موقف الإسلام من التمييز ضد المرأة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

احتفل العالم في الأسبوع الماضي بيوم المرأة العالمي، وتحدث المتحدثون، وكتب الكاتبون عن وضع المرأة في العالم، وقال مَنْ قَالَ: إن هناك أمماً تضطهد المرأة، ولا زالت تضطهدُها، وتعتبرها دون الرجل.

وأشار كثيرون إلى الاتفاقية التي صدرت من الأمم المتحدة، وتريد أن تفرضها على العالم كله المعروفة باتفاقية (السيداو)، وهي اتفاقية عنوانها: (منع جميع أشكال التمييز ضد المرأة).

رفض التمييز المعادي:

ونحن لا شك نعادي أي اتجاه ضد المرأة؛ لأنَّ المرأة هي أمُّنا، وهي بنتُنا، وهي أختُنا، وهي زوجتُنا، وهي عمَّتُنا وخالتُنا، فليس بيننا وبين المرأة معركة، المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، هذه قضية إسلامية

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٦ مارس ٢٠٠١م.

واضحاً، الله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِّي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. أي أن الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، هو يُكَمِّلُها، وهي تُكَمِّلُه، ليست بينهما خصومة ولا عداوة، فلولا المرأة ما كان الرجل، ولولا الرجل ما كانت المرأة، الله تعالى خلق الزوجين: الذكر والأنثى، ومنهما نشأ الجنس البشري كله.

فإذا كان المراد بأشكال التمييز ضد المرأة: التمييز المعادي للمرأة، المضاد لها، المغتصب لحقوقها، الذي يعاملها كأنها ليست بإنسان، فهذا التمييز نرفضه من غير شك.

رفض المساواة التامة:

أمّا إذا كان القصد: منع التمييز المطلق بين الرجل والمرأة، وفرض المطابقة التامة بينهما، أن تكون المرأة مثل الرجل في كل شيء، فهذا مرفوض كذلك، لأن هذا ضد الفطرة، وضد الواقع، وضد الشرع.

وإذا كانت الأمم المتحدة تريد أن تفرض هذه الاتفاقية على العالم كله؛ بغض النظر عن اختلاف الأديان، واختلاف الثقافات، وتنوع الحضارات فهذا أمر مرفوض يقيناً، فإن لكل أمة من الأمم مُسَلِّماتها الدينية والعقائدية والحضارية والثقافية، ولا يجوز أن يُفرض عليها ما ينافي عقائدها ومُسَلِّماتها.

ولذلك فنحن المسلمين ينبغي أن يكون لنا موقف من هذه الاتفاقية، وفي الصيف الماضي قامت اللجنة الإسلامية المنبثقة من المجلس العالمي الإسلامي الأعلى للدعوة والإغاثة، والذي يرأسه شيخ الأزهر،

ويُمثِّل عددًا من الهيئات والجمعيات الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي كله؛ بعقد عدّة اجتماعات شاركت فيها، وأصدرنا وثيقة بديلة لهذه الوثيقة.

التكوين الجسدي للمرأة:

إنَّ الله تعالى خلق الجنس البشري من نوعين: من ذكر وأنثى، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]، قالت أم مريم حينما وضعتها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]. فالله تعالى غاير بين النوعين، حتّى في التكوين الجسدي، تكوين المرأة غير تكوين الرجل، تكوينها الجسمي، تكوينها العصبي؛ لأن الله تعالى أعدّ المرأة لوظيفة لم يعدّ الرجل لها، أعدّها للأمومة، ولذلك كان جسمها مهياً لهذا الأمر، فمحاولة تذويب الفوارق تمامًا بين الرجل والمرأة هذا أمر نرفضه نحن المسلمين.

تعليم المرأة:

هناك أشياء لا نقبلها لأنّها ضد المرأة، الأشياء التي تحرّم على المرأة أن تتعلّم، لا يجوز أن يقبل هذا الأمر، أن تُمنع المرأة من التعليم، وأذكر بهذه المناسبة أنّهم كانوا يقولون: حركة طالبان في أفغانستان تمنع المرأة من التعليم. وحينما لقيناها هناك منذ أيام عرفنا أنّ القضية قضية مالية، وأنّهم لا يجدون ما ينفقونه على التعليم، حتّى للذكور أنفسهم، وأنّ عندهم كليات للطب يتعلم فيها من الطالبات أكثر من ألف ومائة طالبة، تدرس الطب في هذه الكليات، وأنّهم قرروا ابتداء من العام المقبل أن تُستخدم المساجد للتعليم، للبنين وللبنات معاً.

ولذلك نحن المسلمين ليس عندنا موقف ضد تعليم المرأة، وكلنا يقرأ هذا الحديث: «طلب العلم فريضةً على كل مسلم»^(١). والبعض يقرؤه: «على كل مسلم ومسلمة». والمعنى صحيح، لم ترد كلمة مسلمة في الحديث، ولكن المفهوم: كل إنسان مسلم، سواء كان ذكرًا أو أنثى.

ولذلك من حقّ الأنثى أن تتعلّم كما يتعلّم أخوها، ولا تعيش أميّة ولا جاهلة بشؤون عصرها، من شأنها أن تتعلّم حتّى تعرف ما يجري في الحياة، وحتى تشارك زوجها المتعلّم، وحتى تساعد في تعليم أبنائها وبناتها في المراحل التعليمية الأولى على الأقل، هذا هو المفروض.

عمل المرأة:

ولذلك إذا كان هناك مَنْ يقف ضد تعليم المرأة بإطلاق، أو ضد عمل المرأة بإطلاق؛ فنحن نقول: من حقّ المرأة أن تتعلّم، وأن تعمل، بشروط معينة.

تستطيع المرأة أن تعمل إذا كانت هي بحاجة إلى العمل، إذا لم يكن لها مورد، وليس لها عائل، وهي قادرة على أن تعمل؛ هل تتسوّل وتتكفّف، وتسأل الناس؟ لا بل تستطيع أن تعمل إذا كانت هي نفسها في حاجة إلى العمل.

وتستطيع المرأة أن تعمل إذا كانت أسرتها في حاجة إلى العمل، كما رأينا الفتاتين اللتين ذكرتهما سورة القصص، حينما ذهب سيدنا موسى

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

إلى مدين، فلمّا وصل عند ماء مدين ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤]، أي إنّ حاجة الأسرة في ظلّ شيخوخة الأب، وعدم وجود ذكور من الإخوة: جعلت الفتاتين تقومان بالمهمّة في رعاية الأغنام، وهكذا إذا احتاجت الأسرة. وتستطيع المرأة أن تعمل إذا احتاج المجتمع إلى عملها، مثل حاجة المجتمع إلى من يعالج النساء، ويُعلّم البنات، وإلى مَنْ يُمرّض النساء، هذه حاجات اجتماعية.

كل هذه الحاجات تفرض على المرأة أن تعمل، سواء من أجل نفسها، أو من أجل أسرتها، أو من أجل مجتمعها، بشرط أن تلتزم آداب الخروج إذا خرجت، وآداب الزيّ إذا لبست، وآداب الكلام إذا تكلمت، وآداب المشي إذا مشت، ففي كل هذا آداب مرعيّة، وأحكام شرعيّة معروفة لكل مسلم ومسلمة. كما يشترط أن يكون عملها نفسه مشروعاً غير مُحَرَّم ومحظور، وألا يكون ذلك على حساب بيتها وأولادها، لأنّ عملها الأوّل هو رعاية البيت، وحقوق الزوجيّة، وحقوق الأولاد؛ فإذا كان عملها معاكساً ومناقضاً لهذه المهمّة عادت على مهمتها الأولى بالإبطال، وهذا لا يجوز. نحن إذن نقف ضد مَنْ يقف معادياً لتعلّم المرأة، أو لعمل المرأة بإطلاق، فمن حقّ المرأة أن تتعلّم، ومن حقّ المرأة أن تعمل في هذه الحدود، وبهذه الشروط، نحن المسلمين إذن ليس عندنا تمييز ضد المرأة.

قوامة الرجل:

لكن الاتفاقية المعروضة والمفروضة من الأمم المتّحدة، والتي وقّعت عليها بعض الدول الإسلامية للأسف: تريد أن تلغي كل تمييز بين

الرجل والمرأة، تريد أن تُلغي القوامة، قوامة الرجال على النساء، والله تعالى يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

هناك شركة، ولا بد للشركة من مدير، لا يمكن أن تترك مؤسسة دون أن يكون لها مدير، ولا يمكن أن يكون لها مديران متكافئان في سلطاتهما واختصاصاتهما، كما يقول المثل: يغرق المركب الذي به رئيسان. لا بد إذن من مدير لهذه المؤسسة أو هذه الشركة، والله تعالى جعل الإدارة موكولة للرجل لأمرين:

أَنَّ الرجل أقدر على تبصُّر العواقب، وأَنَّهُ هو الَّذي ينفق على الأسرة، فقد كلفه الله بأن يدفع مهرًا، وأن ينفق على الأسرة، حتَّى وإن كان المرأة غنيَّة، هو الَّذي يتولى الإنفاق، ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وهذه النفقة تجعل الرجل يحرص على بقاء الأسرة، وعلى استمرارها، لأنَّها إذا انهدمت ستنهدم على أم رأسه، وسيُكلف من جديد بتأسيس أسرة جديدة، وغرامة أسرة، فلهذا جعل المسؤولية على الرجل.

مشاورة المرأة:

وليس معنى أَنَّ المسؤولية على الرجل أن تصبح المرأة صفرًا على الشمال، لا يهتم الزوج بها، ولا يشاورها، ولا يتعاون معها في أمر، لا، ليس هذا شأن الإسلام، الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. الحقوق متكافئة، ولكن الرجل عليه من الواجبات أكثر من المرأة، لأنَّه هو الَّذي يتحمَّل المسؤولية، فهذا ما جاء به الإسلام في قضية القوامة.

ولذلك كان النبي ﷺ يشاور نساءه، وشاور أم سلمة رضي الله عنها في أمر من أمور المسلمين العامة في صلح الحديبية، فأشارت عليه بالرأي السديد، وكان فيه الخير للإسلام والمسلمين في ذلك الوقت^(١).

وليس هناك حديث يقول: شاوروهن وخالفوهن. كما يدعي بعض الناس، فليس هذا بصحيح؛ فإن الله تعالى قال في أمر من الأمور اليسيرة، في رضاع الطفل وفطامه: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. فدلَّ على أَنَّ الأبوين ينبغي أن يتراضيا ويتشاورا في فطام الطفل، هذا ما جاء به هذا الدين العظيم.

فإذا أُريدَ بالتمييز ضد المرأة المواقف المعادية للمرأة، المضطهدة لها؛ وهذا للأسف يحدث في كثير من البلاد، وعند المسلمين للأسف، لا زالوا يضطهدون المرأة، ولا زالوا يعتبرونها مجرد خادمة للرجل، وهذا ليس من الإسلام في شيء!

رعاية الإسلام للمرأة:

الإسلام هو الدين الذي كَرَّم المرأة وأنصفها إنساناً، وكَرَّم المرأة وأنصفها أنثى، وكَرَّم المرأة وأنصفها أمّاً، وكَرَّم المرأة وأنصفها بنتاً، وكَرَّم المرأة وأنصفها زوجة، وكَرَّم المرأة وأنصفها عضواً في المجتمع، كَرَّم المرأة وأنصفها، وقرّر لها حقوقها وأعطاه كرامتها في هذه النواحي كلها، وذلك دون أن يُطالب النساء بحقوقهن.

حين جاء الإسلام لم تقم مظاهرة نسائية تُطالب بحقوق المرأة، فما كان النساء يعلمن أنَّ لهنَّ حقوقاً في ذلك الوقت، ولكن كان هذا شرعاً

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

العليم الحكيم، كان شرع الله ﷻ، الشرع العادل الذي لا يتحيز لامرأة ضد رجل، ولا لرجل ضد امرأة، لأنه هو خالق الرجل والمرأة، ورب الذكر والأنثى.

لو كان هذا الشرع من صنع لجنة من الرجال لقلنا: إنهم تحيزوا ضد النساء. ولكن هذا الشرع هو من صنع الله تبارك وتعالى، الشرع شرع الله، والعباد عباد الله، وهو أعدل الحاكمين، فلا يتصور من الله البر الرحيم العادل الحكيم أن يتحيز لأحد من عباده ضد الآخر.

رعاية المرأة إنساناً:

كرم الله ﷻ المرأة ورعاها باعتبارها إنساناً، هي إنسان مكتمل الإنسانية، لها أهليتها في تحمّل المسؤولية، من حقّها أن تتصرّف، ومن حقّها أن تملك، ومن حقّها أن تكتسب.

وهي مكلفة مثل الرجل، أول تكليف إلهي صدر للرجل والمرأة معاً، لآدم وزوجه، حين أمرهما الله تعالى أن يسكنا الجنة، ﴿وَقُلْنَا يَكَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فالتكليف صدر إليهما معاً، لم يُفرّق بينهما، وهذا دليل على المساواة في الأهلية وفي الإنسانية بين الرجل والمرأة، المرأة إنسان كامل، ولذلك تُكلّف بالعبادات والشعائر مثل الرجل.

كل ما في الأمر أن الشرع يعفيها من أشياء ربما تتنافى مع وظيفتها، لم يفرض عليها صلاة الجمعة مثلاً، ولكن لو صلت الجمعة لا حرج عليها، ولكن لأنها مشغولة بأمر البيت، وأمر الأولاد، ربما كانت مرضعة في ذلك الوقت، أو كانت مشغولة بنحو ذلك، فلم يجعل هذه الصلاة

فرضاً عليها، فأحياناً يكون التمييز بينها وبين الرجل لمصلحتها، كما أنه حرّم على الرجل أن يلبس الحرير، وأن يتحلّى بالذهب، وأباح ذلك للمرأة، لأنّه راعى طبيعتها، وفطرتها في حبّ التّجمل والتّزيّن.

رعى الإسلام إنسانيّة المرأة في الحقوق والتكاليف، والكرامة، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ولفظ (بني آدم) يشمل النساء والرجال جميعاً، وهذا أمر لا شك فيه، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]. فليس الأمر كما يقول بعض الناس: إنّ المرأة ليس لها أهليّة التكليف. وبعضهم يقول: ليس لها أهليّة التكليف إلّا بعد أربعين سنة. وبعضهم يقول: إنّها لا تدخل الجنّة. وهذا كله ليس له أي أساس في الإسلام، فالإسلام راعى إنسانيّة المرأة.

رعاية المرأة أنثى:

كما رعى الإسلام أنوثة المرأة، اعترف بها أنثى، لأنّ الله تعالى أراد لحكمة أن يجعل هذا الجنس نوعين: ذكراً وأنثى، لأنّ لكل منهما وظيفة، ومن وظائف المرأة أن تكون أمّاً، فهي تحمل، وتلد، وترضع، وتربّي، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ولذلك جعل لها حقّ الحضانة، ولأقارب الأم الحق أكثر من أقارب الأب، هذا كله رعاية لجانب المرأة.

وحينما أمرها أن تغضّ من بصرها، وأن تحفظ فرجها، وألا تُبدي زينتها إلّا ما ظهر منها، وأن تضرب بخمارها على جيبها، كل هذا ليس عملاً ضد المرأة، إنّما هو حماية للمرأة أن تفترسها ذئاب الأعراض،

الَّذِينَ يَنْتَهَكُونَ الْحُرْمَاتِ، وَيَأْكُلُونَ الْمَرْأَةَ لَحْمًا ثُمَّ يَرْمُونَهَا عَظْمًا، حِينَما أَمَرَ اللَّهُ الْمَرْأَةَ بِالْإِحْتِشَامِ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهَا حَتَّى تَكُونَ كَمَا يَحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى وَيَرْضَى، لَزُوجِهَا فَقَطْ، وَلَيْسَتْ سَلْعَةً لِكُلِّ النَّاسِ.

الإسلام هنا يخالف الحضارة الغربيّة التي تريد المرأة سلعة للجميع، وممتعة يلهو بها الجميع، وتريد أن تتخذ من المرأة أداة للإثارة، وآلة للإعلام، تعلن عن كل شيء، عما يُؤكل، وعما يُشرب، وعما يُلبس، حتّى الأشياء المتعلقة بالرجال تعلن عنها المرأة.

الإسلام يعارض هذه الحضارة التي تنظر إلى المرأة باعتبارها جسداً يُستهي، جسداً يُغري، لا يقبل الإسلام هذه النظرة، ولا هذه الفلسفة، ولذلك يعارض تيار الإباحيّة الذي نراه في الغرب اليوم، وقلّده كثير من البلاد الأخرى، الإباحيّة التي تفتح الباب على مصراعيه لكل مَنْ يشتهي، لكل مَنْ يريد أن يستمتع بالجنس الآخر؛ بلا حدود ولا قيود ولا ضوابط، ولا زواج ولا عقد، هذا ما يريده الغرب!

وهذا ما جنى على الغرب، جنى عليه أخلاقياً، وجنى عليه صحياً، وجنى عليه أسرياً، وجنى عليه اجتماعياً، وهم يشكون الآن من هذه الإباحيّة المفرطة والمسرقة، والتي لا تقف عند حد.

كانوا يقولون: حُلُّوا الْعُقْدَ، عقد الكبت، اسمحوا للنوافذ أن تفتّح، اسمحوا لكل من الجنسين أن يلتقي بصاحبه، فإذا انحلت عُقْدُ الكبت صارت الأمور على ما يُرام.

ولكنهم - كما جرّبوا، وكما قال نُقّادهم ومُصلحوهم - لم يحلّوا العقدة، لا زالت العقدة قائمة، مع أنّهم فتحوا الأبواب، وتركوا الأمور

على عواهنها، ولكن المرأة الجميلة يتهافت عليها الكثيرون، والمرأة التي ليس عندها أي مسحة من الجمال تظل منبوذة، فهنا تشعر بالقلق والاكتئاب، وتكاد تقتل نفسها، وتعرض نفسها رخيصة، ولهذا لم تُحل المشكلة لدى الغربيين.

الإسلام رعى أنوثة المرأة، وحافظ على هذه الأنوثة، وادّخر المرأة لتكون زوجة صالحة، لتكون ربّة بيت، لتكون شريكة الرجل في عمره وفي حياته، هذا ما أراده الإسلام، ولذلك حرص على أنوثة المرأة.

رعاية المرأة بنتًا:

ورعى الإسلام كذلك المرأة بنتًا، كان العرب يعتبرون ولادة البنت مصيبة، يقول أحدهم: والله ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء، وبرّها سرقة. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۚ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، وكثيرًا ما انتصرت الفكرة الثانية، ودسّ الرجل ابنته في التراب، قتلها أشنع قتلة، وأدها وهي حيّة، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

لو لم يكن للإسلام مفخرة إلا أنّه أنهى هذه الجريمة البشعة؛ فلم يعد لها وجود في المجتمع العربي، ولا المجتمع الإسلامي: لكفاه فخراً.

رعى الإسلام البنت، وأوجب على أبيها أن يرعاها، ويستبشر بها، ويربّيها ويحسن تربيتها، ويعلمها ويحسن تعليمها، وإذا أراد أن يزوّجها عليه أن يأخذ رأيها، لا بد أن تُستأذن، ولو بالصمت والسكوت؛ «إذنها صماتها»^(١).

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤١٩)، وأحمد (٢١٦٣)، عن ابن عباس.

رعاية المرأة زوجة:

ورعى الإسلام المرأة زوجة، وجعل الحياة الزوجية قائمة على المشاركة، والتشاور، وتبادل الحقوق والواجبات، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

رعاية المرأة أمًا:

ورعى الإسلام المرأة أمًا، ولا يوجد دين كرم الأمهات كالإسلام، قال العلماء: للأم ثلاثة أرباع البر. أخذوا ذلك من قول النبي ﷺ حينما سأله سائل: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أَبُوكَ»^(١). فقالوا: للأم ثلاثة أرباع البر. لأنها هي التي حملته وهنا على وهن، وتعبت في حمله، وتعبت في وضعه، وتعبت في إرضاعه وتربيته، ولذلك كان حقها أكبر من حق الأب.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله أن يذهب إلى الجهاد في سبيل الله، قال له: «ألك أم؟». قال: نعم. قال: «ارجع فالزمها؛ فإن الجنة عند رجليها»^(٢). ولذلك شاع عندنا نحن المسلمين: الجنة تحت أقدام الأمهات.

هذا حق الأم، خصوصًا في حالة الكبر، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. هذا هو شأن الأم في الإسلام.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٣.

رعاية المرأة عضواً في المجتمع:

ورعى الإسلام المرأة بوصفها عضواً في المجتمع، وتكفينا هنا هذه الآية الكريمة الرائعة القاطعة، وهي قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]. المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض: في هذه الوظيفة الاجتماعية العامة، وظيفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فليست هذه الوظيفة مقصورة على الرجال، إنها وظيفة الرجال والنساء، المؤمنين والمؤمنات، وهذا ما كان يفعله المسلمون والمسلمات في عهد النبي ﷺ، وفي عهد الصحابة.

وقد وجدنا القرآن ينزل دفاعاً عن بعض حقوق النساء، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]. ولذلك تُسمى السورة سورة الممتحنة، والأخرى تُسمى المجادلة أو المجادلة، أي المرأة التي تجادل الرسول في أمر زوجها، ورأينا سورة مريم، ورأينا سورة آل عمران، أي أسرة عمران: امرأة عمران، وبناتها مريم، إلى آخره.

ومن مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي أن رأيناها ترد على سيدنا عمر وهو يخطب على المنبر، فيقول: أصابت المرأة، وأخطأ عمر^(١).

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٤٢٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٠٦)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٠٢): رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، وقد وثق. وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٢٧٦)، بسند أبي يعلى؛ وجود إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٤٤/٢)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤) بلفظ: كل الناس أفقه من عمر.

رعاية الحقوق بأداء الواجبات:

هذا هو الإسلام، وموقفه من المرأة، فلسنا في حاجة إلى مَنْ يُعَلِّمنا حقوق المرأة، نحن في حاجة إلى أن نتعلَّم ديننا نفسه، ونفقه منه حقوق المرأة علينا، وحقوقنا عليها أيضًا، يجب أن يتعلَّم الرجل والمرأة جميعًا ما لكلٍّ منهما من حقوق، وما عليه من واجبات، لا ينبغي للإنسان أن يطالب بحقه الذي له، وينسى واجبه الذي عليه.

قامت الحضارة الغربية على طلب الحقوق، لا على رعاية الواجبات، فكل إنسان هناك مُطالب سائل، كل همّه أن يقول: ماذا لي؟ أمّا في المجتمع الإسلامي، فكل إنسان ينبغي أن يقول: ماذا عليّ؟ فهو يطلب الواجب قبل أن يطلب الحق.

ومن خلال أداء الواجبات تُرعى الحقوق، فالحقوق إنّما تُرعى بأداء الواجبات، لأن حقَّ الولد على والده هو واجب الوالد نحو ولده، وحقَّ الوالد على ولده هو واجب الولد نحو والده، وكذلك حق الزوجة على زوجها هو واجب الزوج نحو زوجته، وحق الرعيّة على الحاكم، هو واجب الحاكم نحو الرعيّة، وحق الحاكم على الرعيّة هو واجب الرعيّة نحو الحاكم، وهكذا، فالواجبات هي المطلوبة أساسًا، وإذا رعى الناس الواجبات رُعيّت معها الحقوق.

الالتزام بالقطيّات:

نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى مَنْ يُعَلِّمنا أن نُعطي المرأة حقّها، وإنّما الله تبارك وتعالى هو الذي قرّر هذه الحقوق الأصلية، وينبغي أن تراعى الأحكام الشرعية.



من ذلك حكم الميراث: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. فهذا الحكم فرضه الله تعالى بنصوص قاطعة، لا مجال فيها لاجتهاد ولا تجديد ولا تطوير.

ذلك أن هناك منطقة في الشريعة لا يدخلها الاجتهاد، وهي منطقة القطعيّات، وهذه هي التي تحفظ على الأُمَّة وحدتها، وهي تُجسّد الثوابت التي تلتفُّ الأُمَّة حولها، وبدونها تفقد الأُمَّة شخصيّتها بل ووجودها.

هذا هو الذي ينبغي أن نستمسك به، ونعصّ عليه بالنواجز؛ لأنّه العروة الوثقى لا انفصام لها، أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأنّ يُعلّمنا ما ينفعنا، وأنّ ينفعنا بما علّمنا؛ إنّّه سميعٌ قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنّّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ربما كان الكثيرون يتوقعون أن أحدثهم عن رحلتنا إلى أفغانستان وما وجدناه هناك، ولكنّي اكتفيت بالبيان الجماعي الذي أصدرناه بالأمس، ونشرته الصحف القطرية جميعها، وسأعود إلى الموضوع في برنامج (الشرعية والحياة) في قناة (الجزيرة) مساء الأحد المقبل إن شاء الله.

وفاة الأستاذ عادل حسين:

أمّا الآن فأحدثكم عن أمر فجعني بالأمس، وهو ما نقلته الأنباء ب وفاة الأخ الصديق، الكاتب والمفكر الإسلامي: عادل حسين رَحِمَهُ اللهُ، هذا الرجل الذي نذر نفسه في السنين الأخيرة لنصرة الحق، ومقاومة الباطل، والدفاع عن الإسلام في مواجهة القوى المعادية له والمتربصة به.

وكان يحارب في أكثر من جبهة، وأكثر من عدو: الجبهة الصهيونية وعملائها، والجبهة الصليبية وفروخها، والجبهة الإلحادية الشيوعية ودعاتها، والجبهة الإباحية ورعاتها، وجبهة اللصوصية وحراسها، وجبهة النفاق ورموزها، جبهات شتى رصد نفسه ليقاومها، ووقف لها بالمرصاد، ونذر حياته وقلمه وفكره لكشف هذه القوى الزائفة، ورأيانه ينتقل من معركة ليدخل في معركة.

وكانت آخر المعارك الحاسمة التي دخلها معركة تلك الرواية الكافرة الفاجرة التي حدثكم عنها من فوق هذا المنبر، الرواية التي سموها (وليمة لأعشاب البحر)، وقف عادل حسين، وجريدته (الشعب)،



وإخوانه في هذه الجريدة، وكشفوا هذا الزيف وهذا الباطل، الذي تحمله هذه الرواية، وللأسف الرواية نشرتها وزارة الثقافة المصرية من أموال الشعب، وقف عادل حسين وشهر قلمه؛ كأنه سيف خالد بن الوليد، أو سيف صلاح الدين الأيوبي ضد هذا الباطل، ووقف معه الأزهر: شيخه، ومدير جامعته، ومجمع بحوثه، وطلابه وطالباته، ووقف الرأي العام المصري عامة ضد هذا الباطل الذي تجرّأ صاحب الرواية فيه على الله، وعلى رسوله، وعلى كتابه، وعلى المقدسات الإسلامية كلها.

ولكن للأسف كانت نتيجة هذه المعركة أن يُسجن عادل حسين، وأن يُحاكم، وأن يُجمّد حزبه، وأن تُغلق صحيفته، وأن يُفَرَج عنه أخيراً بكفالة عشرين ألف جنيه، وهو لا يعيش إلا على الكفاف.

ظل عادل حسين أيّها الإخوة رجلاً صادقاً منذ عرفته من بضعة عشر عاماً، كان عادل حسين ماركسياً يسارياً شيوعياً، وكان جلدًا في ماركسيّته، ملتزمًا بها، مدافعًا عن مبادئها، ودخل السجن من أجلها، ثمّ هداه الله إلى حقيقة الإسلام، وشرح صدره ليقراً للإسلام من جديد، فيما أنتجته أفكار المجددين الحقيقيين للإسلام؛ فغيّر خطّه، وغيّر هدفه، وغيّر منهجه، وعاد إلى الإسلام بكل قوته، بفكره، بقلبه، بلسانه، بقلمه، بحياته، وكان رجلاً مريضاً بالقلب، ولكنّه كان قويّ العزم، فتبيّ الإرادة، صادقاً فيما ينويه، فعاش حياته مدافعاً عن هذا الدين، لم يهن ولم يضعف، ولم يستكن كالذين قال الله فيهم: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

آخر مرة لقيت فيها عادل حسين في أواخر شهر يناير الماضي؛ حينما ضمنا (مؤتمر القدس العالمي) في بيروت، ورغم زحمة الأوقات حرص

على أن يلتقي بي، ويحكي لي آخر أوضاعه وأحواله، وتواعدنا أن نلتقي في أقرب فرصة، ولم أكن أدري ولا هو يدري: أن هذا هو آخر العهد وآخر اللقاء، فنسأل الله أن يجمعنا في مستقر رحمته في الآخرة.

هكذا أيها الإخوة نودع أحبابنا، حبيبًا بعد حبيب، وفقيدًا بعد فقيد.

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي حَبِيبٌ أَوْدَعُ فَلَا أَنَا أَقْفُوهُ وَلَا هُوَ يَرْجِعُ^(١)؟

لا نملك إلا أن ندعو الله لأخينا وصديقنا عادل حسين، المجاهد المكافح، المناضل بالفكر والقلم: أن يغفر له ويرحمه، ويسكنه الفردوس الأعلى، ويتقبله في عباده المتقين، ويخلفه في أهله وذويه بخير ما يخلف عباده الصالحين، وأن يحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وسنصلي عليه إن شاء الله صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة.

* * *



(١) البيت لعلي بن خلف الأحوازي، كما في موسوعة الأدب العربي في الأحواز خلال حكم إمارة المشعشين والكعبيين للدكتور عبد الرحمن كريم اللامي ص ٢١٠، نشر الدار العربية للموسوعات.

تكريم المرأة في الإسلام

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

احتفل العالم منذ أيام باليوم العالمي للمرأة، ومِمَّا يُوَسِّفُ لَهُ: أَنْ نجد بعض النَّاسِ فِي بعضِ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ، يَرُدُّونَ أَقْوَالَ أَشَاعَهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، نَسَخَتْهَا أَقْلَامُ مَرِيضَةٍ، وَوَرَاءَهَا قُلُوبُ حَاقِدَةٍ، تَقُولُ: إِنَّ الْإِسْلَامَ ظَلَمَ الْمَرْأَةَ، وَأَهَانَ الْمَرْأَةَ، وَجَارَ عَلَى حَقُوقِ الْمَرْأَةِ.

وهذا من غير شك فِرْيَةٌ مَا فِيهَا مَرِيَّةٌ، وَكَذِبٌ وَتَزْوِيرٌ عَلَى هَذَا الدِّينِ، الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْأَةَ مِنْ ظُلْمِ الْجَاهِلِيَّةِ وَظُلَامِهَا، وَقَدْ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلِمَةً، يَنْبَغِي أَنْ نَعِيَهَا وَنَسْجِلَهَا فِي قُلُوبِنَا وَعُقُولِنَا. قَالَ: إِنَّمَا يُنْقَضُ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ^(١). فَيَنْبَغِي أَنْ نَعْرِفَ الْجَاهِلِيَّةَ وَمَاذَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ؟ وَكَيْفَ صَنَعَ بِهَا الْإِسْلَامُ.

(١) مدارج السالكين (٣٥١/١).

وضع المرأة في الجاهلية:

كانت المرأة في الجاهلية - سواء الجاهلية العربية، أو الجاهلية غير العربية - إنساناً لا كرامة له، ولا أهلية له، لا من الناحية الدينية، ولا من الناحية الدنيوية، كانت متاعاً أو كالمَتَاع، تُورث ولا تُرث.

كان النَّاس في روما وفي غيرها يبحثون: هل للمرأة روح كالرجل؟ هل هي مكلفة كالرجل؟ هل تدخل الجنة كما يدخل الرجل؟ وقررت بعض المؤتمرات أنَّ المرأة شيطان، وأنها وراء غواية الرجل، وأنها هي التي أخرجت آدم من الجنة، هي سبب ويلات البشرية وشقائها.

أي إنَّ ما نعانیه اليوم في أنحاء العالم من آلام، وحروب وويلات ومظالم. سبب ذلك كله المرأة، هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة، وتسببت في خروجه من الجنة، ووصلنا إلى ما وصلنا إليه، هكذا يقولون!

وكانت الجاهلية العربية ترث المرأة ولا تُورثها، ما كانوا يورثون إلاَّ مَنْ حمل السلاح، إلاَّ مَنْ حَمَى الحِمَى، وذاد عن القبيلة، أمَّا النساء والصغار فلا يرثون، لا ترث المرأة، ولا يرث الأطفال، لأنَّهم لا شوكة لهم، ولا يستطيعون أن يدافعوا عن حوزة القبيلة.

كانت المرأة تورث، يرث الرجل من أبيه داره، وعقاره، وأرضه، وبقره، وغنمه، ويرث كذلك امرأة أبيه، فإن شاء تزوجها إن كانت جميلة، وإن شاء أمسكها وعضلها: أي منعها من الزواج؛ حتَّى تفدي نفسها بإتاوة تعطيها له، ليحررها من نيره ومن قيده، وكان الطلاق بغير حدٍّ ولا قيد، وكان تعدد الزوجات بغير قيد ولا شرط، يتزوج الرجل ما شاء من النساء، وسواء كان قادراً أو غير قادر، عادلاً أو غير عادل.

معالم تكريم المرأة في الإسلام:

هكذا كانت المرأة في الجاهلية، فجاء الإسلام وكرم المرأة وأنصفها، كرمها وأنصفها إنساناً، وكرمها وأنصفها بنتاً، وكرمها وأنصفها زوجة، وكرمها وأنصفها أمّاً، وكرمها وأنصفها عضواً في المجتمع.

١ - تكريم المرأة إنساناً باعتبارها:

اعتبر الإسلام المرأة إنساناً كامل الإنسانية، لها أهلية كأهلية الرجل، من حقها أن تكتسب كما يكتسب الرجل، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢]، من حقها أن تملك كما يملك الرجل، ولذلك وُجد النساء الغنيّات، وأزواجهن فقراء.

من حقها أن تحتفظ باسمها وإن تزوجت، لا تُدمج في زوجها وعائلة زوجها، بقينا إلى اليوم نعرف أمهات المؤمنين، وزوجات الرسول الكريم: خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية الأصل، وهكذا احتفظت كل واحدة بشخصيتها ونسبها، ولها ذمتها المالية المستقلة، لا يستطيع زوجها أن يلغي شخصيتها، ولا أبوها أن يلغي شخصيتها.

جاء الإسلام ورفع شأن المرأة، وجعلها مؤهلة كالرجل للدين وللحياة، مسؤولة كما يُسأل الرجل، إذا قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. فهذا خطاب للرجل والمرأة، وإذا قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾. فهذا خطاب للرجل والمرأة. كان النبي ﷺ في مسجده يقول: «أيُّها الناس». وكانت زوجته أم سلمة تُمشطها جاريتها، فقالت لها: اتركي هذا لأذهب إلى الرسول. قالت: إنه يقول: «أيُّها الناس». قالت: أنا من الناس^(١). فلا بد أن تذهب وتسمع ما يقول.

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٩٥)، عن أم سلمة.

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]. الذكر والأنثى سواء في ذلك، مع أنه لو لم يذكر ذلك لعلم من الآية، لكنه أراد أن ينص: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّمَّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. أي: الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، هو يكملها، وهي تكمله، ليست المرأة خصمًا للرجل، ولا الرجل عدوًا للمرأة، بل هو منها، وهي منه، ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾، هذا ما يقرره الإسلام، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. تهاجر المرأة في سبيل الله كما يهاجر الرجل، وتقاتل كما يقاتل الرجل.

ولهذا كان أول شهيد في الإسلام امرأة، وليس رجلاً، سمية بنت خياط، زوج ياسر، وأم عمار.

وأول صوت ارتفع بتأييد رسول الله ﷺ ونصرة دعوته: لم يكن صوت رجل، وإنما كان صوت امرأة، إنه صوت خديجة بنت خويلد، حينما جاءها النبي ﷺ يرجف فؤاده، ويقول: «زملوني، زملوني». يخاف ممّا رأى، أدركت بفطرتها السليمة، وب عقلها الرشيد سنّة الله مع عباده، فقالت له: والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرّحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر^(١). مثل هذا لا يُخزى في سنن الله ورسوله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

هكذا كَرَّم الإسلام المرأة إنساناً، جعلها مخاطبة بالتكاليف كما يُخاطب الرجل، مسؤولة كما يُسأل الرجل، تُجزى بالجنة والنار كما يُجزى الرجل، هكذا ارتفع الإسلام بشأن المرأة.

شهادة المرأة:

هناك أشياء يثيرها بعض الناس مثل شهادة المرأة في الشؤون المالية، حيث جعل الإسلام شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وهذا إنما صنعه الإسلام للاستيثاق، حينما تريد أن تكتب صكاً، وتشهد عليه قال لك: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]. الأولى لك أن تستشهد بشهيدين من الرجال، لأن الرجل يستطيع أن يحضر للشهادة في أي وقت، والمرأة قد يمنعها زوجها، أو أبوها، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾، لماذا؟

علل القرآن هذا الأمر فقال: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. المرأة لا تهتم بالشؤون المالية كما يهتم بها الرجل، لا تغرسها في ذاكرتها كالأمر المتعلقة بالنساء ونحو ذلك، ولذلك الاعتماد عليها يُضعف حقك، فلكي تستوثق لنفسك فليكن هناك امرأتان بدل الرجل، فإن نسيت إحداهما ذكّرتها الأخرى، هذا في مجال تأكيد الحقوق وإثباتها، حتى لا يتناكر الناس، وحتى لا تضيع الحقوق.

لكن في بعض الأحيان تُقبل شهادة امرأة واحدة، وتُقبل شهادة النساء ولو لم يكن معهم رجال، في مجتمعات النساء، قالوا: في حمامات النساء. فإذا ضربت امرأة أخرى في هذه الحمامات وجرحتها؛ مَنْ الَّذِي يشهد؟ هل نشترط شهادة الرجال في مثل هذا؟ قالوا: لا. وفي الأعراس

يتزوّج سيدفع لزوجته خمسين ألفاً مثلاً، وحين تريد أن تتزوج سيُدفع لها أيضاً خمسون ألفاً، فأصبحتا متعادلين، وإذا دفع الابن أكثر قلّ نصيبه، وإذا دُفع إلى البنت أكثر ارتفع نصيبها، فالالتزامات ليست واحدة.

كما أنّ على الرجل كفالة المرأة، سواء كانت بنتاً، أو زوجة، أو أمّاً، عليه أن ينفق عليها ويرعاها، ولو كانت من أغنى الأغنياء، لو تزوج رجل امرأة ثريّة فعليه نفقتها، ولا يلزمها أن تنفق على نفسها، إلّا إذا تبرعت هي من مكارم أخلاقها، مساعدة لزوجها، أو لأولادها، أو لبنتها، أمّا الرجل فهو المكلّف بالنفقة، فمن أجل اختلاف التكاليف، وتفاوت الالتزامات كان التفاوت في أنصبة الموارث، ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، فالإسلام كرم المرأة إنساناً.

٢ - تكريم المرأة باعتبارها أنثى:

كما كرم الإسلام المرأة أنثى، وكرمها بنتاً، كان العرب يعتبرون الإناث أدنى درجة من الذكور، بل كانوا يعتبرون ولادة الأنثى كارثة، مصيبة يحزن لها الرجل، قيل لبعضهم: إن امرأتك ولدت. قال: وما ولدت؟ قالوا: أنثى. قال: ما هي بنعم الولد؛ نصرها بكاء، وبرّها سرقة. يعني إذا نصرتنني على أعدائي لا تحمل السلاح، وإنما تبكي، وإذا أرادت أن تبرّني تسرق من زوجها، هذه نظرته إلى المرأة.

والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]. حينما يقال له: جاءتك أنثى. يسلك الحواري الخلفية، والأزقة الضيقة حتّى لا يراه الناس، كأنما ارتكب جريمة أو فضيحة،

﴿يَنُورِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ أَيْمَسِّكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ؟، يظل يفكر: أيرضى بالواقع، أم يتخلص من هذه البلوى بالدس في التراب؟

كانوا يتخلصون من البنات بالوآد، وهي جريمة شنيعة، القتل في ذاته جريمة من أشنع الجرائم، فكيف بقتل الطفل؟ وكيف إذا كان الطفل هو فلذة كبذك؟ وكيف إذا كنت تقتله لأنه سيأكل معك، مخافة أن يطعم معك، من إملاق أو خشية إملاق؟ وكيف إذا كان القتل بهذه الطريقة البشعة الوحشية، أن تدسه في التراب؟ فالوآد أن تضعه في حفرة وتردمها عليه وهو حي، أيُّ جناية صنعتها الجاهلية على الإنسان عامّة، وعلى المرأة خاصة؟!

الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]. يكفي أن الإسلام حمى المرأة من هذه الجريمة، ما عاد إنسان يفكر في الوآد بعد الإسلام، والحمد لله، وقال الشاعر بعد ذلك:

لولا بنيات كزغب القطا رُدَدْنَ من بغضٍ إلى بغضٍ
 لكان لي مضطربٌ واسعٌ في الأرض ذات الطول والعرضِ
 وإنّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض^(١)

انظروا إلى هذه النفسية، وهذه الشاعرية:

وإنّما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرضِ
 ماذا صنع الإسلام؟ صنع هذه القلوب الرحيمة التي تنظر إلى البنت هذه النظرة.

(١) الحماسة لأبي تمام (١٦٥/١)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ومع هذا لم يُخَوَّل الإسلام للأب أن يسيء إلى ابنته، أو أن يُفَضِّل أبناءه الذكور عليها في الحياة، إذا ابتسم للذكر يبتسم للأنثى، إذا حمل طفله الذكر يجب أن يحمل طفله الأنثى، وعندما تريد أن تتزوج لا يجوز له أن يجبرها أن تتزوج مَنْ لا تريد، ليس من حق الآباء أن يكرهوا بناتهم على الزواج بمن يكرهن، ليس هذا من حقه.

جاءت فتاة إلى النبي ﷺ تقول: يا رسول الله؛ إنَّ أبي يريد أن يُزَوِّجني من ابن أخيه، وأنا له كارهة. فقال لها: «أجيزي ما صنع أبوك». قالت: يا رسول الله؛ إنني له كارهة. قال لها: «أجيزي ما صنع أبوك». ثلاث مرات وهي تقول له: لا. فقال: «إذن الأمر إليك». لا يجوز له أن يجبرك، فقالت: يا رسول الله؛ إذن أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن يعلم الآباء: أنَّهم ليس لهم من أمر بناتهم شيء^(١).

أجازت فعلاً ما أشار عليها به النبي ﷺ، ولكنها رفضت هذا في أول الأمر، لتأخذ هذا الحق من النبي ﷺ، أن الآباء ليس لهم أن يفرضوا إرادتهم على بناتهم كما يفعل الكثيرون للأسف، ويزوجوا بناتهم بمن لا يُحِبُّن، وتكون النتيجة الفشل والإخفاق الحتمي؛ حين تتزوج الفتاة بمن تكره، فجاء الإسلام وكرَّم المرأة إنساناً، وكرَّمها بنتاً.

٣ - تَكْرِيم المرأة باعتبارها زوجةً:

كما كَرَّم الإسلام المرأة زوجةً، ففرض لها الصداق، لم يفعل كما يفعل بعض الناس، بل يُدفع لها، ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ نَحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَاءً مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، فرض لها المهر.

(١) رواه أحمد (٢٥٠٤٣)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والنسائي في النكاح (٣٢٦٩)، عن عائشة.

وفرض لها من الحقوق كما عليها من الواجبات، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. بعض المفسرين قالوا هنا: الدرجة هي درجة القوامة والمسؤولية عن الأسرة، فالرجل قوام عن الأسرة ومسؤول عنها، لأنه هو الذي ينفق عليها، وهو الذي يؤسسها بماله، فإذا سعى في خرابها فإنها ستتهدم على أم رأسه، وعليه أن يكلف نفسه بناء أسرة جديدة، بأموال جديدة، ونفقات جديدة، فلهذا جعل هو القوام.

وبعض العلماء مثل الإمام الطبري يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]: أي أن الرجال أكثر مسؤولية من النساء، فلهم درجة في رعاية الحقوق^(١). على الرجل من الواجبات والأعباء والمسؤوليات أكثر مما على المرأة، هكذا تقوم الحياة الزوجية.

وقوامة الرجل على المرأة لا تعني أن المرأة كم مهمل، أو لا رأي لها؛ كما يقول بعض الناس: شاوروهن وخالفوهن. فليس لهذا أصل في الدين، فالله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقد شاور النبي ﷺ أم سلمة في أمر من أمور المسلمين العامة؛ فأشارت عليه برأي كان سدادًا، وكانت فيه المصلحة، وخرج فنّفذه في الحال، وكان فيه الخير للأمة والحمد لله، كان ذلك في صلح الحديبية^(٢). هكذا كرم الإسلام المرأة وأنصفها زوجةً.

(١) تفسير الطبري (٥٣٥/٤).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٧.

٤ - تكريم المرأة باعتبارها أمًا:

كما كَرَّمَ الإسلام المرأة وأنصفها أمًا، لا يوجد دين كَرَّمَ الأمَّ كما كَرَّمها الإنسان، حينما سُئِلَ النبي ﷺ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أَبُوك»^(١).

ولذلك قال العلماء: للأم ثلاثة أرباع البر. لماذا؟ لأنَّ الأم تعبت أكثر ممَّا تعب الرجل، يقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]. وفي الآية الأخرى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. تعبت الأم ما لم يتعب الأب، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: إنَّ الأبناء يجترئون على الأمَّهات أكثر ممَّا يجترئون على الآباء.

ومن ناحية ثالثة: إنَّ حاجة الأم إلى الرعاية أكثر من حاجة الأب، قد يستطيع الأب أن يكتسب، ولكن الأم لا تستطيع ذلك، كثير من الأمَّهات قعيدات البيوت، فهن في حاجة إلى الرعاية أكثر، وجاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يبأيه على الجهاد، قال: «ألك أم؟». قال: نعم. قال: «اذهب فالزَّمْها؛ فإنَّ الجنة عند رِجْلِها»^(٢).

ولذلك تأخَّر بعض طلاب العلم يومًا عن مجلس العلم، فقيل له: ما الذي أخَّرَكَ؟ قال: كانت والدتي مُتعبَةً؛ فكنت أُمَرِّغُ خدي في رياض

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلوة (٢٥٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٣.

الجنة، وقد شاع عند المسلمين أنَّ الجنة تحت أقدام الأمهات، أي: أن بر الأم ورعايتها من أوسع الأبواب المؤدية إلى جنات النعيم.

٥ - تكريم المرأة باعتبارها عضواً في المجتمع:

هذا شأن الأم في الإسلام. وكرّم الإسلام المرأة باعتبارها عضواً في المجتمع، تكفي هذه الآية الكريمة العظيمة التي تقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

إذا كان المنافقون والمنافقات؛ كما ذكر في آية سابقة على هذه الآية: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، كما نرى في عصرنا العلمانيين والعلمانيات، واللادينيين واللادينيات يأمرّون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويقفون ضد الشريعة، ويحاولون تشويهها.

إذا كانوا كذلك؛ فليكن المجتمع المؤمن برجاله ونسائه على عكس ذلك المجتمع المنافق، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. ولهذا رأينا المرأة في المسجد ترد على عمر بن الخطاب، ويرجع عمر إلى قولها، ويقول: أصابت المرأة وأخطأ عمر^(١).

(١) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٥٩)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد. وساقه ابن كثير في تفسيره (٢٤٣/٢ - ٢٤٤) بإسناد أبي يعلى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عمر، وقال عقبه: إسناده جيد قوي. وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٩٦/١ - ٢٩٧)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف. وقد ذكرها ابن كثير في تفسير سورة النساء (٢١٣/٢)، وقال: إسناده جيد.

هذا ما جاء به الإسلام في شأن المرأة، فقد كَرَّمَهَا وأنصفها إنساناً، وكَرَّمَهَا وأنصفها بنتاً، وكَرَّمَهَا وأنصفها زوجة، وكَرَّمَهَا وأنصفها أمّاً، وكَرَّمَهَا وأنصفها عضواً في المجتمع.

الانحراف عن الإسلام في شأن المرأة:

صحيح أننا نحن المسلمين لم نطبق كل هذه التعاليم القرآنية والنبوية كما ينبغي؛ بل انحرف الكثيرون منا عن هذه التعاليم السماوية، واتَّبَعَ الهوى، أو اتبع التقليد الأعمى.

إكراه البنت على الزواج بمن تكره:

رأينا من الآباء مَنْ يجور على بناته، ورأينا من الأزواج مَنْ يجور على امرأته، ورأينا من الإخوة مَنْ يجور على أخواته، رأينا هذا في مجتمعنا، وتأتيني الرسائل تلو الرسائل، والهواتف بعد الهواتف تشكو من هذا الظلم الذي يقع على النساء في مجتمعنا!

رأينا الأب يعتبر ابنته وكأنها شيء في البيت، لا رأي لها، ولا كرامة لها، مع أنَّ الابنة تعلمت وتثقفت، وأصبح عندها علم وفكر ورأي، ولعله هو أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، ولكن يريد أن يفرض عليها رأيه بسلطان القوة، وبقوة السلطان، يريد أن يُزَوِّجها بمن يريد هو، لا بمن تريد هي! أنت الذي تتزوج أم هي التي تتزوج؟ رأينا هذا!

ورأينا بعض الأمهات تقف ضد بناتهن للأسف، حتَّى في المجتمع النسائي، كثير من الرسائل التي تأتيني تشكو من الأمهات اللاتي تقفن حائلاً دون زواج بناتهن، وترفض كل مَنْ يأتي إليها؛ أين قلب الأم التي تريد لابنتها أن تتزوج وتسعد؟ هذا للأسف ما نراه، نرى جوراً على

المرأة من قبل الآباء، بل من قبل الأمهات أحياناً، ومن قبل الإخوة المتحكّمين في أخواتهن.

ضرب الزوجات:

ونرى الأزواج الذين يظلمون أزواجهم، يؤذونهنّ بغير حق، يضربونهنّ بلا سبب، وحينما أجاز القرآن الضرب لم يجزه لأي امرأة، وإنّما للمرأة الناشز التي تترفع على زوجها، وتتمرد عليه، ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْزُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤].

ولم يُجز ذلك إلا بعد مرحلة الوعظ، ومرحلة الهجر في المضجع، ثمّ يضربوهن، وقد قال النبي ﷺ: «ولن يضرب خياركم»^(١). الخيار لا يضربون.

قال بعض السلف: لا يُكرمهن إلا كريم، ولا يهينهن إلا لئيم. والنبي ﷺ لم يضرب امرأة، ولم يضرب خادماً، ولم يضرب دابة في حياته^(٢)، فالخيار لا يضربون.

ثم إذا ضرب الإنسان، يجب ألا يضرب بشيء يجرح أو يكسر، كما قال النبي ﷺ ذات مرة لإحدى الجواري مرة وقد أغضبتة: «والله لولا خشية القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك»^(٣). هكذا يكون الضرب، ليس بالسوط، وليس بالخشبة، ولا أن تضرب وجهها،

(١) سبق تخريجه ص ١١٨.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، وأحمد (٢٤٠٣٤)، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه ص ١٣٦.

نهى النبي ﷺ أن تُضرب المرأة في الوجه^(١)، أو تضرب في مقتل، وهذا عند الضرورة، والضرورة تُقَدَّر بقدرها، ليس أمرًا مفتوحًا لمن يشاء كما يفعل بعض الناس.

هناك إذن بعض الأزواج يؤذون أزواجهنَّ، ولا تستطيع المرأة أن تفعل شيئًا، فكثير من النساء لا تريد أن تذهب إلى المحكمة لتشكو زوجها، وحتى لو اضطرت إلى ذلك فكيف تستطيع أن تثبت إيذاء زوجها لها؟ ما يحدث بين الزوجين في خلوة، وتحت سقف واحد، كيف تستطيع المرأة إثباته؟ هذا لا رقيب عليه إلا الله، ثم ضمير الإنسان المؤمن.

براءة الإسلام من ظلم المرأة:

إنَّ كثيرًا من الرجال يجورون على النساء، ويعطون سلاحًا لخصوم الإسلام للتشهير بشأن المرأة في المجتمع المسلم، والإسلام بريء من صنع هؤلاء، والإسلام - أيها الإخوة - دين عدلٍ، عدلٌ بين الرجال والنساء، لأنَّه عدلُ الله، وشرعُ الله الذي لا يُحابي أحدًا، ولا يجور على أحد، لا يتحيّز لفئة ضد فئة، ولا لفريقٍ ضد فريق، ولا لجنس ضد جنس؛ إنَّه عدلُ الله، وَمَنْ أَعْدَلَ مِنْ اللَّهِ؟ وقول الله، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؟ وحكم الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]؟

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه أحمد (٢٠١٣)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٢١٤٢)، والنسائي في الكبرى (٩١٧١)، وابن حبان (٤١٧٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن معاوية القشيري.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الدم الإسلامي بين الأمس واليوم:

لا زال الدم الإسلامي أرخص الدماء على وجه الأرض، كأنَّ المسلمين نوع من الدواب أو الوحوش في البرية، مَنْ قَتَلَ مِنْهَا مَا قَتَلَ فلا جُرم عليه، ولا عقاب عليه، هذا ما يشهد به الواقع.

يوم كان المسلمون مسلمين، وكان الإسلام إسلامًا، وكان المسلمون أُمَّةً لها خلافة، ولها قيادة، ولها خليفة لم يكن أحد يجروء على أن ينال من المسلمين شيئًا، أو يهتك لهم حرمة، أو يسفك لهم دمًا.

حينما تطاول أحدهم على امرأة في إحدى البلدان في رومية قالت مستغيثة: وامعتصماه. قالتها كلمة، ما كانت تظن أن تصل هذه الكلمة إلى الخليفة المعتصم، ولكن الخليفة وصلته هذه الكلمة فقال: لبيك أختاه. وجيش جيشًا عرمرمًا، وغزا الروم في واقعة شهيرة هي واقعة (عمورية)^(١)، وهي التي قال فيها الشاعر أبو تمام بانيته الشهيرة:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مَتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٢)

(١) راجع فتح عمورية في الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٨/٦)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٨٦/١٠)، نشر دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) ديوان أبي تمام (٤٠/١)، تحقيق محمد عبده عزام، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٥.

قال هذا لأنَّ المنجمين قالوا للمعتصم: الوقت ليس مناسباً فانتظر حتى ينضج التين والعنب، ثمَّ تغزو القوم. ولكنه لم يبالِ بقول المنجمين وكتبهم، وخاض المعركة، ولذلك أبو تمام يقول: السيف أصدق إنباء من الكتب. أي من كتب المنجمين.

وقال في قصيدته:

تسعون ألفاً كآساد الشَّرى نَضِجَتْ جلودهم قَبْلَ نُضْجِ التَّينِ وَالْعِنَبِ^(١)

يعني الذين قُتِلوا من الأعداء، فانتقم الخليفة لهذه المرأة، وثأر لكرامتها.

ولكنَّا الآن ليس عندنا خليفة، وليس عندنا معتصم، وليست عندنا وحدة تجمع الأمة، ولو صرخ عشرة آلاف امرأة وطفل وشيخ، لن يجدوا من ينجدهم.

أقول هذا بمناسبتين:

قتل العمال الفلسطينيين:

المناسبة الأولى: ما جرى في فلسطين، هؤلاء العمال الذين قتلهم الجنود الإسرائيليون ظلماً وعدواناً، وتطاولاً واجترأاً، اجترؤوا على الحرمات، وعلى الدماء، لأنَّهم لم يجدوا مَنْ يؤدِّبهم وَمَنْ يعاقبهم.

ثم لما ذهبوا إلى الشرطة أفرجت عنهم للأسف في صباح اليوم التالي، وكأنَّهم لم يرتكبوا جرماً، كأنَّهم لم يسفكوا الدماء المُحرَّمة، بقوا أسبوعين ثمَّ أفرجوا عنهم، انصرفوا أيُّها العرب، اصرخوا ما تصرخون، فلا قيمة

(١) ديوان أبي تمام (٤٠/١).

لصراخكم، حتّى صراخكم ليس صراخاً يدوّي، ليس صراخاً يقرع الأذان ويصمها، هو صراخ خافت، صراخ ضعيف، هذا ما حدث للأسف.

ومع هذا لا زال العرب يركضون، ويسابقون الريح وراء ما يسمونه عملية السلام، وإحياء عملية السلام، يريدون أن يحيوا الميت، والميت إذا مات لا يحيا، يجرون وراء السلام، وإسرائيل تفعل ما تفعل، كل يوم نسمع بهذا: مستوطن يضرب فلسطينياً بسكين، أو يضربه بالرصاص، وهكذا، فهذه هي المناسبة الأولى.

الاعتداء على كوسوفو:

وأما المناسبة الثانية: فهي ما يقع في كوسوفو، هذا البلد المسلم الذي أصبح الآن بوسنة وهرسك أخرى، الصربيون الأشرار المتوحشون المتعصبون الذين يدينون بالأرثوذكسية ظهروا مرة أخرى، وقد شحذوا أسلحتهم، وبرزوا بأنيابهم المفترسة؛ يريدون أن يفتكوا بهؤلاء الألبان المسلمين الذين يعيشون في هذا البلد، وليس لهم حقّ بأن ينطقوا بكلمة، أو ينبسوا ببنت شفة، أو يطالبوا بالاستقلال، أو يكون لهم حكم ذاتي، أو تكون لهم دولة كما طالب غيرهم، من ارتفع صوته فيجب أن تُخمد أنفاسه، القتل، والقتل الجماعي لهم بالمرصاد، هكذا عادت البوسنة مرة أخرى.

أين العرب؟ أين المسلمون؟ أين أمة الإسلام؟ أين المليار وثلث المليار في العالم؟ أين الأمم المتّحدة؟ أين مجلس الأمن الذي هروا من أجل العراق من قريب؟ أين القرارات الدولية؟ أين العالم الجديد، والنظام العالمي الجديد؟ أين هذا العالم؛ ألم ير، ألم يسمع، ألم يقرأ ما يحدث؟



ما بال هذا العالم يتحرّك ويغلي ويقلق؛ إذا كان المجني عليه من غير المسلمين، أمّا إذا كان المجني عليه مسلماً فيسد أذنًا من طين، وأذنًا من عجين، ويغمضون أعينهم كأنهم لا يرون، ﴿جَعَلُوا أَصَبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

هذا حالنا أيّها الإخوة المسلمون، أصبح الدّم الإسلامي أرخص الدماء على وجه الأرض، ولكن ثقوا أن هذا الوضع لن يدوم طويلًا، لن يستمر، هذه الأمة لن تموت إن شاء الله، وهذا الدين لن يُطفأ نوره، لأنّه نور الله الذي أبى إلا أن يُتمّه، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

اللهمّ إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم اسر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.





مؤتمر الدوحة العالمي للأسرة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

منذ أيام انعقد في الدوحة مؤتمر عالمي للأسرة، برعاية المجلس الأعلى لشؤون الأسرة في قطر، وبمشاركة من الأمم المتحدة، وبمشاركة من ممثلي الأديان السماوية، والاتجاهات الحضارية، وبحضور ممثلين لأكثر من ثلاثين دولة من أنحاء العالم، عربية وإسلامية وأوروبية وأمريكية، كان هذا المؤتمر من أجل هذه المؤسسة العظيمة، مؤسسة الأسرة.

طبيعة المؤتمرات السابقة:

وكانت مزية هذا المؤتمر أنه لم يسر في ركاب المؤتمرات التي عقدتها الأمم المتحدة في بلاد شتى، مثل مؤتمر السكان الذي عُقد في القاهرة في صيف سنة ١٩٩٤م. ومؤتمرات بكين، ومؤتمرات أمريكا، وغيرها من المؤتمرات، تلك المؤتمرات التي اتخذت وجهة ضد الأسرة

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٠ شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٣ ديسمبر

الطبيعية الشرعية، التي عرفتها الأديان، وعرفتھا الثقافات والحضارات، والأمم المختلفة.

١ - إنشاء الأسرة البديلة:

كانت تلك المؤتمرات تسعى إلى إنشاء أسرة بديلة عن الأسرة الفطرية الطبيعية الشرعية، التي هي ارتباط رجل وامرأة برباط شرعيٍّ مقدّسٍ مُعلنٍ، تترتب عليه حقوق وواجبات، وينشأ منه أبناء وبنات، هذه الأسرة التي عرفتها الأديان، وعرفتھا الأمم.

الاتجاهات الجديدة التي قذفتنا بها الحضارة الغربية المعاصرة، والتي وقف كل رجال الأديان ضدها، تريد أسرة أخرى، تريد أن نعرف بأسرة تتكوّن من الرجال فقط، أو النساء فقط، من رجلين أو امرأتين، الزواج المثلي: أن يتزوّج الإنسان بمثله، الرجل يتزوّج بالرجل، والمرأة تتزوّج بالمرأة، ويريدون أن نعرف بهذه الأسرة.

وهذا أمر ضد الفطرة، وضد الشرائع، وضد الأخلاق، وضد قوانين الكون العامة، فقوانين الكون العامة تقوم على أساس الازدواج، أن يلتقي الذكر بالأنثى فينشأ منهما نسلٌ وذريّة، ويعمر الكون والحياة، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. من البنين والأحفاد يظل النسل يتوافر ويتكاثر، وتبقى الحياة البشريّة إلى ما شاء الله، ولو أننا استجبنا لدواعي هذا الزواج المثلي، الذي يسمونه الشذوذ الجنسي؛ لفنيت البشريّة بعد جيل واحد.

حينما كنت في الصيف الماضي في لندن أثار اللوبي الصهيوني هناك ضجة حولي، وجّه إليّ مجموعة من الاتهامات، وأراد أن يمنعني بسببها

من دخول لندن، وإذا دخلتها يخرجني منها، كان من هذه التُّهم الأساسية: أنني ضد الشذوذ، وضد الشواذ، وأن موقفي عدواني من هؤلاء.

قلت لهم: أنا لست عدوانياً، وليس لي رأي منفرد. حينما سألوني: ما رأيك في الشذوذ والشواذ؟ قلت: هؤلاء يسمّون شواذ، والشذوذ خروج عن القاعدة؛ أتريدونني أن أجعل الشذوذ شيئاً مألوفاً؟ كيف يكون مألوفاً وهو ضد القاعدة؟ رأيي في هذا الأمر هو ما تقرّره الأديان كلها، ما قرّره اليهودية، وما قرّره المسيحية، وما قرّره الإسلام، هو ما جاء في التّوراة، وما جاء في الإنجيل، وما جاء في القرآن، رأيي في هذا الأمر هو رأي حاخامات اليهود، ورأي بابا الفاتيكان وآباء المسيحية، ورأي فلاسفة الأخلاق، ورأي علماء الإسلام، كل هؤلاء يرفضون الشذوذ، هذا هو الرأي الذي أتبنّاه.

كانت المؤتمرات التي تُعقد من أجل المرأة والأسرة في بلاد مختلفة تدور في هذا الفلك، أن نعترف بأسرة غير الأسرة الطبيعيّة التي تتكوّن من رجل وامرأة؛ حسب قانون الزوجيّة العام.

والله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]. أي الشيء ومقابله، وليس الشيء ومثله، فالشيء ومقابله يُكون زوجيّة أو ازدواجاً، أمّا الشيء ومثله فيُكوّن تكراراً، ولا يُكوّن ازدواجاً، هناك الذكر والأنثى، وهناك السالب والموجب في الكهرباء والمادة، حتّى في الذرة التي هي قاعدة البناء الكوني كله، الذرة عبارة عن إلكترون وبروتون، شحنة كهربائية موجبة، وفي مقابلها شحنة كهربائية سالبة، فلا يمكن أن تكون أسرة من مثلين، الأسرة من الشيء ومقابله، هذه هي الفطرة، وهذا هو قانون الكون كله.

٢ - إقرار الإباحية:

كانت المؤتمرات المعقودة من قبل تسير في هذا الاتجاه، كما تسير في اتجاه إقرار الإباحية بصفة مطلقة، أن يكون الناس أحراراً فيما يفعلون، أن يلتقي الرجل بالمرأة، والشاب بالفتاة كيفما شاء، وليس من الضروري أن يكون بينهما عقد شرعي، تترتب عليه الحقوق والواجبات، ولذلك نادوا بالإباحية الجنسية.

٣ - إباحة الإجهاض:

كما نادوا بإباحة الإجهاض بإطلاق، أن تكون المرأة حرة في جسدها، تحمل متى شاءت، وتُجهض جنينها متى شاءت، كأن الحياة الإنسانية لعبة، لكن هؤلاء الناس لا يعترفون بأن هناك خالقاً أودع هذه الروح في جسد هذه المرأة، وأن هذه الروح لها احترامها وكيانها منذ التقى الحيوان المنوي بالبويضة الأنثوية؛ فوجد مشروع الإنسان، ولهذا فقد حرّم الإسلام الاعتداء على هذا المخلوق الكائن الحي.

حتى إنه لا يُجيز أن يُقتص من المرأة القاتلة عمداً، إذا كان في بطنها جنين؛ لأنها إذا كان لها ذنب فما ذنب الجنين حتى يُقتل؟ لا بد أن تؤجل عقوبتها فترة حتى تلد، ولا بد أن تؤجل فترة أخرى حتى يكتمل رضاع هذا المولود، وهكذا فعل النبي ﷺ مع المرأة الغامدية التي طلبت منه أن يقيم عليها الحد^(١).

أباح هؤلاء الإجهاض، وطلبوا في مؤتمر السكان بالقاهرة أن يكون الإجهاض حقاً للمرأة، فوقف ممثلو الكنيسة الكاثوليكية، مندوب بابا

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

الفاتيكان، ووقفت الكنيسة الأرثوذكسية في مصر، ووقف الأزهر، ووقفت رابطة العالم الإسلامي، ووقفت جمهورية إيران الإسلامية، ووقف دعاة الأخلاق وممثلوها، ووقف كل مَنْ يغار على الأديان ضد هذا التوجه.

٤ - منع الآباء من تربية أولادهم:

كما كانت هذه المؤتمرات تريد أن تنزع يد الآباء والأمهات من تربية الأبناء، لا يجوز أن يتدخل الآباء والأمهات في تربية الأولاد، لا يجوز أن يفرضوا عليهم دينهم وعقائدهم، وأن يرثوهم حسب مُسَلِّماتهم العقائدية والفكرية والأخلاقية، أرادوا أن يكون للأولاد حرية مطلقة، لماذا تقول للولد: الزنا حرام؟ لا، اتركه كما يشاء، لماذا تقول للفتاة: لا يجوز أن ترتبطي بالرجل إلا برباط شرعي؟ لا، أطلقوا عنان الأولاد أبناءً أو بنات. هكذا أراد هؤلاء في المؤتمرات السابقة كلها.

مؤتمر الدوحة للأسرة:

ولكن مؤتمر الدوحة تبني خطأ آخر، هو احترام الأسرة، والمحافظة على الأسرة، وحماية الأسرة، الأسرة الحقيقية، الأسرة الطبيعية، الأسرة الشرعية، يجب حمايتها من المجتمع، ويجب حمايتها من الدولة، ويجب الحفاظ على مقوماتها وخصائصها.

الزواج ميثاق غليظ:

وهذه الأسرة المنشودة هي التي تنشأ من الزواج، السبيل الوحيد لتكوين هذه الأسرة هو الزواج، والزواج هو ذلك الرباط المقدس، العقد الشرعي الذي سمّاه القرآن ميثاقاً غليظاً: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، أخذت

المرأة من الرجل ميثاقاً غليظاً، وهو أخذ منها بالتالي ميثاقاً غليظاً، الميثاق الغليظ جبلّ متين، عهدٌ قويّ مكين، هذه الكلمة التي سمّى الله بها النبوة، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، فالنبوة ميثاق غليظ، والزواج ميثاق غليظ، الزواج هو السبيل الوحيد لتكوين الأسرة، هكذا قررت التوراة، وقرر الإنجيل، قالت التوراة: إنّ الرجل يترك أباه وأمه، ويلتصق بزوجه، ويتّحد بها^(١). وهكذا قرر المسيح عليه السلام^(٢).

الزواج من آيات الله:

وقرّر الإسلام ذلك بأوضح وأعمق وأقوى ممّا قرّرت التوراة والإنجيل، وجاء في كتاب الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. جعل رباط الزواج آيةً من آيات الله في الكون، آيات مكررة مزدوجة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾.

﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، فالمرأة من نفسك، من جنسك، من كيائك، وكلمة (أزواج) تصلح للرجل وللمرأة، فالمرأة زوج، والرجل زوج، هذا من روائع اللغة العربية أنّها تُعبّر عن كل من هذين الشريكين في هذا العقد المقدس بكلمة (زوج)، وكلمة (زوج) في الأصل تفيد اثنين، فكأنّ كل واحد من هذين الطرفين في الظاهر فرد، وهو في الحقيقة زوج، لأنّه يتضمّن ويستبطن الشريك الآخر، يُعبّر عنه، ويتضمّنه في ضميره وفي روحه، كأنّما يحمله في جوفه، وفي صدره.

(١) سفر التكوين (٢٤/١).

(٢) انظر: إنجيل متى (٤/١٩ - ٦)، وإنجيل مرقس (٦/١٠ - ٩).

﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، وهذا خطاب للرجال والنساء، لأن المرأة تسكن إلى الرجل، والرجل يسكن إلى المرأة، والإنسان في حاجة إلى سكنين: بيت يسكن فيه، وبيت يسكن إليه، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، لتشعروا بالسكينة، بالراحة، بعد الاضطراب، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، حينما خلق الله آدم، وأسكنه الجنة ليأكل منها رغداً لم يدعه وحده؛ إذ لا معنى للجنة، ولا طعم لها إذا بقي الإنسان فيها وحيداً، لا أنيس معه ولا جليس، فخلق له من نفسه زوجاً ليسكن إليها، هذه هي الحياة، نشأت أول أسرة بآدم وحواء.

جاء الإسلام يقرّر الزواج، ويعبّر عن العلاقة الحميمة بين المرء وزوجه بقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. بما توحيه كلمة (لباس) من معاني الالتصاق، والستر، والوقاية، والدفع، والزينة، والقرب، هذه هي الحياة الزوجية في الإسلام، إنها نعمة من الله تبارك وتعالى، وعنصر من عناصر السعادة كما قال النبي ﷺ في تحديد عناصر السعادة وأركانها: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»^(١). وقال ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»^(٢). جاء الإسلام يُرغب في الزواج وتكوين الأسرة.

(١) رواه ابن حبان في النكاح (٤٠٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٢)، عن سعد بن أبي وقاص.
(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

وليس الزواج مجرد متعة جسدية، إنه أكبر من ذلك، ليست المتعة الجسدية مرفوضة ولا محرمة، بل هي هدف أساسي من أهداف الزواج، كما قال النبي ﷺ: «يا معشر الشباب؛ مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوّج؛ فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج»^(١). حينما يُشبع الإنسان غريزته بالحلال.

أهداف الزواج:

ولكن الزواج له أهداف أكبر من ذلك وأوسع، من هذه الأهداف: التناسل، «تناكحوا تناسلوا تكثروا»^(٢)، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، فالزواج سبب من أسباب عمارة الكون، وبقاء هذا النوع البشري في هذه الأرض يعمرها بالحق والعدل، ويقوم بخلافة الله تعالى وعبادته، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فليس المقصود من الزواج مجرد المتعة، ولكن المؤمن يريد بالزواج أن يُكوّن بيتًا مسلمًا، وأن يُنشئ أسرة مؤمنة تقوم على الحق والخير، وعلى الإيمان والصلاح، وبها وبغيرها من الأسر الصالحة يتكون المجتمع الصالح، ومن هذه المجتمعات تتكوّن الأمة الصالحة، التي جعلها الله تعالى شهيدة على الناس، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، فللزواج أهداف كبيرة.

ومن أهداف الزواج أنه ليس علاقة بين المرء وزوجه فقط؛ بل هو علاقة بين أسرتين، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، ولذلك

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، كلاهما في النكاح، وأبو عوانة (٤٠١٨)، وابن حبان في النكاح (٤٠٥٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٨٩)، عن معقل بن يسار.

اهتمَّ الإسلام بأمر الزواج، واهتمَّت به كل المذاهب الإسلاميَّة، والمدارس الإسلاميَّة، وكتب التفسير، وكتب الحديث، وكتب الفقه، على أساس أنَّه يُمثِّل أصلاً أصيلاً، ويحقِّق هدفاً كبيراً، ويُعتَبَر كُليَّة من الكليَّات الشرعيَّة الضروريَّة الخمس، حيث توفَّر النسل، فالنسل من هذه الكليَّات الخمس، وهو يدخل أيضاً في حفظ الدين، فهذه هي الأسرة التي أرادها الإسلام.

كان كل المشاركون في مؤتمر الدوحة متفقين على الأصول الكليَّة للأسرة، كل المشاركون واقفين ضد تيار الإباحيَّة العام، الذي نراه في أوروبا وأمريكا وغيرها، هذا التيار الذي يضادُّ تكوين الأسرة، ويضادُّ الزواج. كان كل المشاركون يقفون ضد الشذوذ والشذاذ، الذين خسف الله بأمثالهم الأرض، وجعل قراهم عاليها سافلها، قرى سدوم وعامورا وصابورا وجامورا، كان جميع المشاركون يبارك الاتجاه إلى تكوين الأسرة الطبيعيَّة الشرعيَّة، والمحافظة عليها.

نعمة الأولاد:

كما اعتبر الجميع الأولاد نعمة من الله، وهبة من الله لعباده، كما قال القرآن الكريم: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. اعتبر الأولاد هبة من الله، وبدأ بالإناث ليرد على عرب الجاهليَّة الذين ضاقوا بالإناث، ووأدوا البنات ظلماً وعدواناً، ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]، اعتبر جميع المشاركون النسل من نِعَم الله، ومن ضروريَّات الكون، أمَّا الذين يريدون الزواج المثلي فلا نسل عندهم، إذا أرادوا أولاداً يتبنون أولاد غيرهم، لم ينسلوا أحداً.

احترام الخصوصية الدينية:

كان هذا هو ما اتفق عليه الجميع في مؤتمر الدوحة، ولكنني في إحدى جلسات المؤتمر قلت للمشاركين من مُمثلي الأديان، ومن مُمثلي الحضارات، ومن مُمثلي القارات: نحن متفقون على الأصول الكلية لبناء الأسرة، والمحافظة عليها، وهذا يكفي في هذا الأمر.

ولكن نريد أن يبقى لكل منا خصوصيته الشرعية، لا نريد أن يتنازل أحد عن أصوله وأسس حياته، التي قامت على أساس الدين والعقيدة والشريعة؛ من أجل إرضاء الآخر، فنحن المسلمين لنا خصائص تُميزنا عن غيرنا، اليهود لهم خصائصهم، أنهم ينسبون المولود إلى أمه، ليكن لهم ذلك، والمسيحيون لهم خصائصهم، والمسلمون أيضاً لهم خصائصهم.

نحن المسلمين عندنا أن الرجل هو القوام على الأسرة، المسؤول عنها، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، فلا يجوز أن نغيّر هذه القاعدة، ونقول: لا، بل على المرأة أن تنفق، حتّى لا يكون الرجل مسؤولاً. لا، فلا يجوز لنا أن نغيّر شرائع الله القطعية، فهي ليست محلّاً لاجتهاد مجتهد، الاجتهاد يكون في الظنّيات، أمّا القطعيّات والثوابت فلا يدخلها اجتهاد، ولا تطوّر، ولا زعم زاعم.

كما لا يجوز أن نغيّر نظام الموارث الذي جاء في القرآن، حتّى إنّ السّنة لم تجئ في الميراث إلّا بالقليل، فالميراث نظام قرآنيّ في أساسه وفي أركانه، فلا يجوز أن نقول: لا، المرأة ترث ما يرث الرجل. لا، فهذه ثوابت عندنا لا كلام فيها.

وعندنا كذلك تعدد الزوجات، هذا ما أباحه الإسلام، فلا يجوز أن نُحرِّم ما أحلَّ الله، في حين يريد الآخرون أن نُحلَّ ما حرَّم الله، يريدون أن نبيح الزنى، ونفتح الباب للزنى على مصراعيه، كما هي فلسفة حضارتهم الإباحية، وأن نُحرِّم تعدد الزوجات، لا، يمكن أن ندخل بعض التعديلات فيمن يريد أن يتزوج بأخرى: هل يملك القدرة على النفقة؟ هل يملك القدرة على الإحصان؟ هل يثق من نفسه بالعدل؟ هل يتعهد بأن يعدل بين زوجتيه أو زوجاته؟ لا نفتح الباب لكل من هبَّ ودبَّ، هذا نوع من الإصلاح نُرحِّب به، ولكن أن نُحرِّم ما أحلَّ الله فهذا لا يجوز.

والإسلام يجيز الطلاق، فلا يأتي مَنْ يقول لنا: لا يجوز الطلاق. ويصبح الإسلام كاثوليكيًا، يتزوَّج المسلم فلا يطلق، هذا أيضًا لا يُقبل.

الترحيب بالإصلاحات المعتبرة:

ولكن لا بدَّ أن ندخل إصلاحات على موضوع الطلاق، نأخذ بالآراء الإصلاحية التي نُفتي بها من سنين طويلة، مثل مسائل: الحلف بالطلاق، والطلاق المعلق، والطلاق في حالة الغضب، والطلاق في حالة السكر، والطلاق في حالات معينة، طلاق المرأة وهي حائض، إلى آخره؛ نُضيق في إيقاع الطلاق، بحيث لا يقع إلا في أضيق نطاق، وعندما يضيق الحال ولا يمكن التوفيق بين الزوجين، بعثنا حكمًا من أهلنا وحكمًا من أهلها، وانعقد مجلس العائلة أو هذه المحكمة العائلية، ولم تصل إلى نتيجة، هنا إذا لم يكن وفاق ففراق، ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، الطلاق بمثابة العملية الجراحية التي تُجرى لإنهاء الحياة الزوجية، وهذه العملية لا يُلجأ إليها إلا إذا ضقنا ذرعًا، ولم نجد وسيلة للإصلاح والتوفيق.

وهكذا قلت للمجتمعين والمؤتمرين من ممثلي الديانات والحضارات: نحن المسلمين لنا خصائصنا، ونريد أن نستمسك بها، لا نريد أن نخرج على ديننا، ولا أن نتنازل عنه لمخلوقٍ كائنًا مَنْ كان، ويكفيانا أننا مجتمعون على الأصول الكلية التي تحافظ على الأسرة، وتحمي كيانها من الآفات والأعاصير، التي تريد أن تقتلعها من الجذور، وتهدمها من الأساس.

وهذا ما يجب أن نحرص عليه، ونعصّ عليه بالنّواجذ، وفي سبيل ذلك نفتح أذرعنا، ونفتح صدورنا لنلتقي مع الآخرين، وإن كنا نختلف في بعض الجزئيات فنحن متفقون على الكليات، وتكفينا هذه القاعدة الذهبية: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويسامح بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

هذا ما كان في هذا المؤتمر العالمي، الذي أعتقد أن ثمرته كانت إيجابية، وينبغي أن نستفيد منها لنقاوم دعاة الإباحية والحرية الجنسية الذين يريدون أن يقوّضوا أسس المجتمعات القديمة، وأن ينشؤوا مجتمعات لا دين لها، ولا خلق، ولا عقيدة، ولا شريعة، هذا هو الخطر الأكبر على الحياة الإنسانية، وعلى الأسرة البشرية، ولا يمكن أن ننقذ الأسرة في الشرق أو في الغرب؛ إلا بالرجوع إلى الدين، إلا بالرجوع إلى وحي السماء، إلا بالاستمسك بحبل الله المتين، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

منذ آخر خطبة خطبتها في أواخر شعبان إلى اليوم حدثت أحداث كبيرة في العالم وفي منطقتنا، أحداث لها صلة بنا وتأثير علينا.

فوز بوش الابن في الانتخابات:

من هذه الأحداث نجاح الرئيس بوش الابن في الانتخاب الذي جرى في أمريكا، وبهذا أصبح متربّعاً على هذا العرش الذي يأمر فيه وينهى ويحكم العالم، ويعتقد هو ومن حوله أنّه مبعوث السماء إلى الأرض، كما قالت كونداليزا رايس، التي اختيرت لوزارة الخارجية: إنّ بوش هبة من الله للبشريّة. هبة لتدمّر العالم، كذلك كان يعتقد جنكيز خان الذي دمرّ البلاد، وقتل العباد، وفعل ما فعل، كان هو وأتباعه يعتقدون أنّه مبعوث الآلهة ليحكم الأرض، هذا حدث لا يهمنا منه إلّا ما يجري في منطقتنا العربية والإسلاميّة، ما يجري في العراق، وما يجري في فلسطين، وما يجري في أفغانستان، وما يجري في بلاد شتى.

اغتيال الرئيس ياسر عرفات:

وفي هذه الفترة أيضاً حدث أمر آخر، وهو وفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، وقد تحدثت عنه في شهر رمضان، وصلينا عليه صلاة الجنازة في الجامع الكبير، لكن الذي يهمنا هنا هو كيف مات عرفات؟ إنّ الذي تدل عليه الشواهد، وتؤكدته القرائن أنّه مات مغتالاً، مات مقتولاً بيد إسرائيل، وليس هذا بعيداً عن إسرائيل؛ فكم قتلت واغتالت علناً، اغتالت

الشهيد أحمد ياسين، اغتالت هذا الرجل القعيد وهو خارج من مسجده في صلاة الفجر، فليس عجباً أن تغتال ياسر عرفات، لكنها اغتالت أحمد ياسين في العلانية، واغتالت عرفات في السر، كما أرادت من قبل أن تغتال أخانا خالد مشعل بطريقتها الخاصة، وقد أكد الأطباء الذين رأوا وفحصوا عرفات قبل ذهابه إلى فرنسا أن ما يعانيه هو ما كان يعانيه خالد مشعل.

اغتالت إسرائيل عرفات، وهذه جريمة من الجرائم الكبرى التي يجب أن تسجل على هذه الدولة، التي لا تبالي بما تفعل، تخالف القوانين الدوليّة، وتخالف الشرائع السماويّة، وتخالف القيم الأخلاقيّة، وترتكب ما ترتكب، ولكن لا تجد من يسألها، ولا من يحاسبها، ومن يسأل إسرائيل أو يحاسبها وهي في حماية أمريكا القوّة العظمى المتفردة المتألّهة في العالم، التي لا تُسأل عمّا تفعل، ولا تُحاسَب على ما تقول؟!

مأس فلسطينيّة:

وحدثت أحداث أخرى أيّها الإخوة، أحداث يومية في فلسطين، لا نستطيع أن نقول: حدث كذا وكذا. لأنك لا تستطيع أن تتحدث عن مجازر بشريّة، ومذابح إنسانية، ومأس يوميّة يعانيها الشعب الفلسطيني في مدنه المختلفة، في قطاع غزة، وفي الضفة الغربية، والعالم يتفرج، يسمع ويرى، ولا يقدّم شيئاً، ولا يحرك ساكناً، ولا ينبه غافلاً، العالم شيطان أخرس؛ إن لم يكن هناك شيطان ناطق، يؤيد هذا الباطل المتجبر.

العدوان على الفلوجة:

وهناك حدث كبير آخر، إنّه ضرب الفلوجة، الهجوم الأمريكي على الفلوجة، هاجمت أمريكا بقضها وقضيضها، بترساناتها العسكرية، بما

تملك من أسلحة متطورة مدينة الفلوجة، هاجمتها بطائراتها من الجو، ودباباتها من البر، وصواريخها من البحر، بقنابلها وقذائفها: المباح منها والمحظور.

استعملت الأسلحة المحظورة؛ لأنّها في أمان من أن يكشفها أحد، فهي لا تسمح لعين أن ترى، ولا لأذن أن تسمع، ولا لكاميرا أن تصوّر، ولا للسان أن يُعبّر، كاميرات أمريكا وحدها هي التي تصوّر ما تشاء، وتخفي من الصور ما تشاء، وتظهر منها ما تشاء، لم يُسمح لأحد أن يشاهد هذه المعركة وينقلها إلى الناس، حتّى قناة (الجزيرة) التي كان يمكن أن تقوم بدور في هذه القضية منعتها منذ أشهر، كانت تحسب هذا الحساب، هذا أمر مُرتّب، لا تظنّوا كما يقول بعض الناس: هو رد فعل على المقاومة. لا، فأمريكا هي التي تريد أن تقوم بهذه الهجمات، وأعدت لها العدة، ورتبت لها الخطة، ومنعت الجزيرة مسبقاً، لم تمنعها مباشرة، ولكن منعتها بلسان الحكومة العراقية الأمريكية، الحكومة التي عيّنتها أمريكا، وتعمل تحت سمعها وبصرها، منعت الجزيرة حتّى لا يعرف أحد بما يجري، قد يسمحون ببعض الأشياء، إما أن تُفلت منهم، أو هم يريدون السماح بها.

رأينا تهديم المستشفيات على من فيها من الأطباء والمرضى، لم يراعوا أي حرمة إنسانيّة، رأينا تهديم المساجد على من فيها، لم يراعوا أي حرمة دينيّة، رأيناهم يقتلون رجلاً جريحاً، احتّمى بالمسجد فأجهزوا عليه، فأمريكا لا تراعي حرمة إنسانيّة ولا حرمة دينيّة، وتقتل من تشاء، وتُذبح من تشاء، وتُهدّم ما تشاء؛ فإلى من نشكو؟ إلى العالم الصامت، إلى الشيطان الأخرس؟!



حتى العرب، حتّى المسلمون لم يشجبوا بقوة، لم ينكروا بصراحة، لم يصرخوا في وجوه المعتدين، أنكروا بصوت خافت على استحياء، والإنكار لا يكون على استحياء، لم يقولوا: هذا ظلم مبين، هذا عدوان صارخ، هذا طغيان القوة الذي يرفضه الله، ويرفضه الناس، ويكرهه الدين، وتكرهه الدنيا.

سكت الجميع، ولم يجد إخواننا في الفلوجة، ولا في مدن العراق مَنْ يشد أزرهم، مَنْ يسند ظهرهم، مَنْ يقف بجوارهم إلا الجماهير المغلوبة في بلادنا العربية والإسلامية التي تدعو الله ﷻ أن يكون معهم، أن يؤيدهم بروح من عنده، أن يمدّهم بجند من جنده، أن ينصرهم على عدوهم، أن يأخذ أعداءهم أخذ عزيز مقتدر، لا تملك الجماهير إلا الدعاء، حتّى التبرع لا يضمنون أن تصل تبرعاتهم إلى إخوانهم؛ فكثير من الناس يحجم عن هذا التبرع.

ونحن نقول للإخوة: تبرعوا لإخوانكم، هنا اللجنة المشتركة في قطر تبعث إغاثات إلى إخواننا في العراق، إلى الذين يحتاجون إلى الغذاء، إلى الماء، إلى الكهرباء، إلى الدواء، إلى الكساء، إلى الفراش، إلى الغطاء، إلى كل شيء، بعضهم كاد يموت من الجوع لأنهم مُحاصرون ولا يجدون ما يأكلونه، لا يجدون ما يطفىء الحرق، أو يمسك الرَّمق، هؤلاء هم إخواننا الذين طغت عليهم القوة الباطشة الظالمة، فإلى من نشكو أيّها الإخوة هذا الظلم المبين، وهذا العدوان الصارخ؟

إذا لم نجد من نشكو إليه، فإننا نشكو إلى الله، اللهم إنا نشكو إليك دماءً سُفكت، وأعراضاً هُتكت، وحرّمات انتهكت، وأطفالاً يُتّمت، ونساء أُيِّمت، وأمّهات تُكَلّت، ومساجد خُرّبت، ومستشفيات دُمّرت، ومنازل



خُرِّبَتْ عَلَى مَنْ فِيهَا، وَمَنَازِلُ أُخْرَى هُجِّرَ أَهْلُهَا مِنْهَا، نَشْكُو إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا
هَذَا الظُّلْمَ الْمُبِينَ، نَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِنَا، وَقِلَّةَ حِيلَتِنَا، وَهَوَانَنَا عَلَى
النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، نَشْكُو إِلَيْكَ خِذْلَانِ الْأَقْرَبِينَ، وَضِيَاعَ
الْمُسْلِمِينَ، اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ هَذَا كُلَّهُ، إِلَيْكَ الْمَشْتَكَى، وَأَنْتَ
الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

* * *



رعاية الإنسان في الإسلام^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كنا قد ناقشنا بابا الفاتيكان فيما نقله عن إمبراطور الروم البيزنطيين من كلام أساء فيه إلى الإسلام، ونبي الإسلام، وإلى عقيدة الإسلام، وشريعة الإسلام، حيث قال هذا الإمبراطور لمحاوره الفارسي المسلم فيما يزعم: أخبرني ما الجديد الذي جاء به مُحَمَّدٌ غير هذه الأشياء الشريرة، وغير الإنسانية، ومن ذلك: أَنَّهُ نشر دينه بحدِّ السيف؟

وتحدثنا في بعض الخطب السابقة قبل رمضان عن الجديد الذي جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ، أَنَّهُ جاء بكثير من الجديد، ممَّا لم تأتِ به التوراة، ولم تأتِ به الإنجيل، ولم تأتِ به موسى، ولم تأتِ به المسيح، جاء بالجديد في العقائد، وجاء بالجديد في العبادات، وجاء بالجديد في الأخلاق، وجاء بالجديد في التشريعات.

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدُّوْحَةِ، بَتَارِيخِ ٢ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٧هـ الْمَوْافِقِ ٢٤ نَوْفَمْبَرِ

عناية الإسلام بالإنسان:

ونريد أن نناقش هنا: هل جاء مُحَمَّدٌ ﷺ بأشياء غير إنسانية؟ بأشياء شريرة كما يزعم ذلك الإمبراطور، وكما نقله البابا عنه نقلَ المعترف به، والمُقرِّ له؟

كلا والله، ما جاء مُحَمَّدٌ ﷺ بأشياء غير إنسانية، بل جاء بكل ما هو إنساني، جاء بكل ما يصلح الإنسان، وما يُزَكِّي الإنسان، وما يرقى بالإنسان، وما يحرر الإنسان، هذا هو الواضح في رسالة مُحَمَّدٌ ﷺ، إنَّ القرآن كله حديث عن الإنسان، أو حديث إلى الإنسان، إما أنه يتحدث عن الإنسان، أو يتحدث إلى الإنسان.

الرسول الإنسان:

ولم يكن مُحَمَّدٌ ﷺ إلَّا بشرًا، لم يكن إلهًا، ولا نصف إله، ولا ثلث إله، ولا بشرًا حلَّ فيه الإله؛ بل كان بشرًا رسولًا، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [فصلت: ٦، الكهف: ١١٠]، فهو بشر مثلنا، وكل الأنبياء كانوا كذلك، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨]، فمحمَّد ﷺ يُجسد البشرية، يأكل كما يأكل البشر، ويشرب كما يشرب البشر، يضحك كما يضحك البشر، ويبكي كما يبكي البشر، يفرح كما يفرح البشر، ويحزن كما يحزن البشر.

اجتهاد الرسول:

كما أنه ﷺ أيضًا يصيب كما يصيب البشر، ويخطئ كما يخطئ البشر، غير أنَّ ميزته أنَّ الله لا يُقرُّه على خطأ في اجتهداده، إذا اجتهد في قضية

فأخطأ فيها: سرعان ما ينزل الوحي يصحح له الخطأ، ويستدرك عليه، كما رأينا في اجتهاداته التي ذكرها القرآن، وعاتبه عليها: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، حينما أذن للمنافقين الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُزَكَّىٰ ۖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [عبس: ١-٤].

وفي طلاق زينب بنت جحش من زيد بن حارثة رضي الله عنه، الله أخبره أنه سيطلقها ويتزوجها، وأخفى ذلك في نفسه، ﴿وَتَخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فهو يخطئ كما يخطئ البشر.

ولكن ميزته ﷺ أن الله يصحح له ما يخطئ فيه؛ حتى لا يقلده الناس، ولا يتبعوه في الخطأ، ولذلك قال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ مَزِيَّتُهُ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، هُوَ النَّبِيُّ الْبَشَرُ، النَّبِيُّ الْإِنْسَانُ، وَإِنْسَانِيَّتُهُ وَاضِحَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَالْقُرْآنُ كِتَابٌ يَتَحَدَّثُ إِلَى الْإِنْسَانِ، وَيَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِنْسَانِ، وَالنَّبِيُّ بَشَرٌ إِنْسَانٌ يُوحَىٰ إِلَيْهِ ۖ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾.

تكامُل عناية الإسلام بالإنسان:

جاء الإسلام ليُعنى بشأن الإنسان: بفطرة الإنسان، بكرامة الإنسان، بحريّة الإنسان، بحقوق الإنسان، بحُرّمات الإنسان: حرمة دمه وعرضه وماله، جاء الإسلام ليرعى شخصيّة الإنسان، كل الإنسان: الإنسان جسمًا، والإنسان روحًا، والإنسان عقلًا، والإنسان عاطفًا، لا يهتم بجانب ويهمل جانبًا آخر، كما هو شأن البشر في تشريعاتهم وفلسفاتهم؛ يحفظون شيئًا، وتغيب عنهم أشياء.

الجانب الروحي والجسدي:

هناك مَنْ اهتم بالجانب الجسمي في حياة البشر، أو الجانب الصحي، أو الجانب الرياضي، ونسي الجانب الروحي، والإنسان مخلوق من طين وروح، طين وصلصال وحمأ مسنون، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

ولكن مزية الإنسان أنَّ فيه نفخة من الروح الإلهي، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢]. هذه النفخة هي التي ميّزته عن غيره، وجعلت الملائكة يسجدون تكريماً له، أمر الله الملائكة إذا سوى آدم ونفخ فيه من روحه: أن يقعوا له ساجدين، فالإسلام يرعى هذه الطبيعة المزدوجة في الإنسان، يرعى الجانب الطيني والجانب الروحي، الجانب الأرضي والجانب السماوي، الجانب الحيواني والجانب الربّاني، هذا هو الإنسان، فالإسلام رعى الإنسان كله، رعى الجانب الجسمي، ورعى الجانب الروحي.

الجانب العقلي والوجداني:

كما أنَّ الإسلام رعى الجانب العقلي، ورعى الجانب الوجداني والعاطفي، هناك من الفلاسفة مَنْ اهتم بالجانب العقلي في الإنسان، واعتبر الإنسان هو النفس الناطقة، أو هو العقل المفكر، والإنسان حيوان ناطق كما يصفه هؤلاء الفلاسفة، ويقصدون بناطق أنّه مُفكّر، من المنطق لا من النطق، الإنسان حيوان مُفكّر.

هم على كل حال يعتبرونه حيواناً، وإن كان مُفكّراً، أحياناً يقولون: حيوان مُفكّر. وأحياناً يقولون: حيوان اجتماعي. وأحياناً يقولون: حيوان

مُتَطَوِّر. يترقَّى من طَوْر إلى طَوْر، حتَّى انتهى إلى ما وصل إليه، فهو عندهم حيوان.

ولكنَّه في الإسلام شيء غير الحيوان، فيه جانب من الحيوانية، وجانب من النباتية، جانب النبوت والنمو، وجانب التَّغْذِي، وجانب الإفراز، وجانب التعضُّل، الجانب الذي يدل على الحياة، ولكنَّه ليس نباتاً، وليس حيواناً، إنَّه مخلوق آخر.

تكريم الإنسان:

الإنسان في الإسلام مخلوق مُكْرَّم، كرَّمه الله تعالى، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، كرَّم الله الإنسان، كرَّمه بحسن خلقه، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

القدرة على التمييز:

وكرَّمه بمنحه العقل الذي به يُمَيِّز، وبه يتعلَّم، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، بهذا العقل، تعلَّم ما لم تعلمه الملائكة، حين قال الله لهم: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣]. وأنبأهم بأسمائهم، فالله أهله لهذا؛ بهذا العقل الذي يستطيع أن يُسَخِّر ما في هذه الأرض لمنفعة الإنسان.

أعطى الله الإنسان العقل، وبهذا العقل خاطبه بالتكاليف، خاطبه بالوحي الإلهي، أحلَّ له، وحرَّم عليه، وفرض له، وأباح له، هذا باسم العقل، يخاطبه الله لأنَّه منحه العقل، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]،

وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

القدرة على البيان:

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ النِّطْقِي حَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبَيِّنَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَيُعَبِّرَ، عَلَّمَهُ اللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ بِهَذِهِ الْأَحْرَفِ الْمَعْدُودَةِ، ثَمَانِيَةَ وَعَشْرِينَ حَرْفًا، أَوْ أَقْلَ أَوْ أَكْثَرَ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ، يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يَكْتُبَ الْمَعَارِفَ وَالْعُلُومَ، وَأَنْ يَخْطَّ الْأَلْفَ وَالْمَلَايِينَ مِنَ الْكُتُبِ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ النِّطْقِي وَالْبَيَانَ الْخَطِّي، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤، ٥]، ﴿تَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، الْقَلَمُ هُوَ أَدَاةُ نَقْلِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ، وَمِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ، وَمِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ، الْقَلَمُ الْآنَ تُمَثِّلُهُ الْمَطْبَعَةُ، الْمَطْبَعَةُ هِيَ قَلَمُ هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي يَنْقُلُ الْمَعْرِفَةَ مِنَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَمِنْ الْأُمَمِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَمِنْ الْأَجْيَالِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.

القدرة على التعلُّم:

أَعْطَى اللَّهُ الْإِنْسَانَ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّعَلُّمِ، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]، هَذِهِ أَوَّلُ آيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْقُرْآنِ، تَحَدَّثَتْ عَنِ الْإِنْسَانِ مَرَّتَيْنِ، وَتَحَدَّثَتْ عَنِ الْقَلَمِ، وَعَنِ التَّعْلِيمِ، وَعَنِ التَّعَلُّمِ، وَأَمَرَتْ - أَوَّلُ مَا أَمَرَتْ - بِالْقِرَاءَةِ، وَالْقِرَاءَةُ هِيَ مِفْتَاحُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ هُوَ مِفْتَاحُ الْحَضَارَةِ وَالتَّقَدُّمِ، فَالْإِسْلَامُ غُنِي بِالْإِنْسَانِ مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ الْإِسْلَامُ.

حفظ كرامة الإنسان:

كَمَا غُنِيَ الْإِسْلَامُ بِكَرَامَةِ الْإِنْسَانِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، يَجِبُ أَنْ تُحْفَظَ كَرَامَةُ الْإِنْسَانِ، كَرَامَتُهُ حَيًّا، وَكَرَامَتُهُ مَيِّتًا، فَلَا يُهَانُ فِي حَضَرَتِهِ، وَلَا يُهَانُ

في غيبته، حتّى إنّ الإسلام حرّم أن يُذكر الإنسان بسوء وهو غائب، سماه الغيبة.

والغيبة أن تذكر الإنسان بما يكره: في شكله، في خلقه، في خلقه، في نسبه، في أي شيء يؤذيه وهو غائب، فينبغي أن تحفظ له كرامته وهو غائب، وتحفظ كرامته وهو حاضر، تحفظ كرامته حيًّا، وتحفظ كرامته ميتًا، فلا يُذكر الميت إلّا بخير، «لا تذكروا هلكاكم إلّا بخير»^(١)، «اذكروا محاسن موتاكم»^(٢)، لا يجوز أن تؤذي جسمه، لا يجوز أن تكسر عظمه، «كسر عظم الميت ككسر عظم الحي»^(٣). فللإنسان حرمة في حياته، وحرمة في مماته.

تقرير المساواة وإذابة الفوارق:

وقد ساوى الإسلام بين الناس في الكرامة الإنسانية، فجعلها للإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن لونه: أبيض كان أم أسود، عن شعره: ناعمًا كان أم أجعد، عن لون عينيه: أسود كان أم أزرق، عن هذا الأشياء التي يختلف فيها الناس، ويتفاوتون من جنس إلى جنس، الإسلام لا يعير هذه الناحية الجنسية أو العرقية التفاتًا، لأنّه ينظر إلى أنّ الناس جميعًا أسرة واحدة، تنتمي من جهة الخلق إلى الله تعالى، هو الخالق، وتنتمي من جهة النسب إلى آدم، ولذلك قال ﷺ في حجة

(١) رواه النسائي في الجنائز (١٩٣٥)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧١)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩)، واستغربه، وابن حبان (٣٠٢٠)، كلاهما في الجنائز، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠٦٣)، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٢٤٦٨٦)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات. وأبو داود (٣٢٠٧)، وابن ماجه (١٦١٦)، كلاهما في الجنائز. وصحّح إسناده النووي في المجموع (٣٠٠/٥)، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣١٠)، عن عائشة.

الوداع: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لَأَدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ»^(١).

التفاضل في الإسلام:

وهذا ما قرره القرآن بوضوح حينما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ﴿لِتَعَارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضًا، ويتفاهم بعضكم مع بعض، ويتعاون بعضكم مع بعض، لا لتتناكروا، ولا لتتعادوا، ولا لتتقاتلوا، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾: الكرامة عند الله بالتقوى، لا بالنسب ولا بالحسب، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَخَلَقَ النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ، وَلَوْ كَانَ حَرًّا قَرْشِيًّا، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣]، الحكم للميزان، الميزان هو الذي يحكم، هل يخف ميزانك أو يثقل؟ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

رفض التفاضل بالأنساب:

كان العرب في الجاهلية يتفاخرون، ويتفاضلون، ويتباهون بالأحساب والأنساب: أنا فلان ابن فلان، وجدي فلان، ومن القبيلة الفلانية. فجاء الإسلام يقول: نسبك في عملك. يقول النبي ﷺ لبني

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٤.

هاشم: «يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سألني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»^(١)، «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(٢)، هذا ما جاء به الإسلام، جاء بالمساواة الكاملة.

وهذه المبادئ هي التي تغرس معنى المساواة في الناس، هي التي تصنع المساواة الحقيقية، هل في المسجد لائحة تقول: الصف الأول للوزراء، والصف الثاني لوكلاء الوزارات، والصف الثالث لمديري العموم، والصف الرابع لموظفي الدرجة الأولى؟ لا، بل مَنْ جاء مبكراً أخذ مكانه في الصف الأول، فعملك هو الذي يُقدِّمك وليس نسبك، هذا في الصلاة.

والحج يصنع مساواة أكثر، لأنه يفرض على الناس - خصوصاً الرجال - أن تلبس ثياباً أشبه ما تكون بأكفان الأموات، ثياب بسيطة بيضاء، يلبسها الغني والفقير، والأمير والمأمور، والحاكم والمحكوم، لا تكاد تُميِّز أحداً عن غيره، هذه هي المساواة الإنسانية التي جاء بها الإسلام.

رفض التفاضل الطبقي:

وجاء الإسلام بهذه المساواة في عصر التفاضل الطبقي، التَّمييز بين الناس بعضهم وبعض: التمييز بالأموال: هذا غني، وهذا فقير؛ والتَّمييز بالشرف: هذا ذو نسب، وهذا غير ذي نسب؛ والتَّمييز باللون: هذا أبيض، وهذا أسود؛ والتَّمييز بالجنس: هذا عربي، وهذا عجمي؛ والتَّمييز بالطبقات: هذا من طبقة النبلاء أو من طبقة الحكام أو من الأسرة

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

المالكة، وهذا من عامّة الناس، هذا يجري في عروقه الدم الأزرق، وهذا يجري في عروقه دم آخر!

كان النَّاس هكذا في بلاد الفرس، طبقات بعضها فوق بعض؛ وفي بلاد الروم، هناك طبقة النبلاء، وطبقة الفرسان، وطبقة كذا وكذا. والناس في بلاد الهند طبقات أيضًا، يُخلق كل إنسان في طبقته لا يستطيع أن يترقّى منها إلى طبقة أعلى، وإن حصل ما حصل من العلم، إن أخذ الدكتوراه أو ما بعد الدكتوراه؛ فهو في طبقته التي وُلِدَ عليها.

هكذا كانوا في الهند ولا يزالون إلى اليوم، هناك طبقة البراهمة، وهناك طبقة أقل منها، هناك جماعة خُلِقُوا من فم الإله، وجماعة خُلِقُوا من ذراع الإله، وجماعة خُلِقُوا من فخذي الإله، وجماعة خُلِقُوا من تحت قدمي الإله، وهناك فئة ليس للإله بهم أي صلة، وهم المنبوذون الذين يُعاملون كأنهم أخط من البهائم، وأذل من الكلاب؛ لا يلمسهم أحد، كان هذا موجودًا حينما جاء الإسلام، ولا يزال موجودًا إلى اليوم.

فلما جاء الإسلام ألغى هذه الطبقية، أذاب الفوارق بين النَّاس بعضهم وبعض، لم يعد ينظر إلى اللون، ولا إلى الرِّق، كان بلال بن رباح عبدًا عند بعض قريش، فلما دخل في الإسلام - وكان من أول مَنْ دخلوا فيه من العبيد - صاروا يُعذِّبونه، ويصُبُّون عليه جام غضبهم كلما سمعوه يقول: لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله. ويبرأ من اللات والعزى وألتهن المزعومة، أخذوا يعذبونه ويشتدون في تعذيبه، فمرَّ أبو بكر وقال لهم: بيعوني إياه، اشتريه. فباعوه واشتراه أبو بكر وأعتقه، فكان عمر يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيِّدنا^(١). وجميع المسلمين طوال

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٥٤)، عن جابر بن عبد الله.

أربعة عشر قرناً أو يزيد يقولون عن بلال: سيدنا بلال رضي الله عنه. لا ننظر إلى سواد لونه، ولا إلى كذا، فلا قيمة لذلك في الإسلام.

المساواة في الفرائض والعقوبات:

أذاب الإسلام هذه الفوارق كلها بين الناس، وطبق عليهم الفرائض، فالفرائض تُفرض على الناس جميعاً، لا يُعفى شريف من الصلاة، أو من الزكاة، كما كانت التوراة تُعفى بعض بني هارون أو كذا، لا، الزكاة تدفع من الجميع، والصلاة تُفرض على الجميع، والعقوبات على الجميع.

حينما سرقت امرأة من بني مخزوم، وبني مخزوم فخذ من قريش، لها مكانة وعدة، فقالوا: مَنْ يُكَلِّم رسول الله ﷺ حتّى لا تُقطع يد هذه المرأة من قريش؟ فقالوا: لا يستطيع أن يكلمه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله وابن حبه.

زيد بن حارثة كان حبيب رسول الله، وأسامه ابنه حبيب ابن حبيب، قالوا: هو من يستطيع أن يكلمه. فكلمه، فقال له: «أتشفع في حدّ من حدود الله يا أسامة؟ إنّما هلك مَنْ كان قبلكم: أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد؛ وإنيّم الله لو أنّ فاطمة بنت مُحمّد سرقت لقطع يدها»^(١). حماها الله فلم تسرق، ولكنّه يضرب المثل، فلا مجاملة في حدود الله، لا مجاملة في فرائض الله، هذا ما جاء به الإسلام، أصبح يُكرّم الإنسان من حيث هو إنسان.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

روى الشيخان، أَنَّهُمْ مَرُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِجَنَازَةٍ فَقَامَ لَهَا وَاقِفًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِي. فَقَالَ ﷺ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟»^(١). فَمَا أَرُوعَ الْمَوْقِفِ، وَمَا أَرُوعَ التَّفْسِيرِ وَالتَّعْلِيلِ، مَوْقِفٌ عَظِيمٌ وَتَفْسِيرٌ عَظِيمٌ، «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟». حَتَّى اخْتَلَفَ الدِّينُ لَا يَجْعَلُنَا نَهْمَلُ شَأْنَ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ.

رعاية الإنسان في كل أحواله:

رعى الإسلام الإنسان - من حيث هو إنسان - في كل أحواله: حالة الغنى والفقر، وحالة اليسر والعسر، وحالة العافية والبلاء، وحالة الصحة والمرض، وحالة الرخاء والشدة، وحالة السلم والحرب، راعاه في كل حالاته.

لقد عُنِيَ الإسلام بالإنسان في كل أزمانه ومراحله: عُنِيَ بِهِ جَنِينًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَعُنِيَ بِهِ وَلِيدًا، وَعُنِيَ بِهِ طِفْلًا، وَعُنِيَ بِهِ صَبِيًّا، وَعُنِيَ بِهِ يَافِعًا، وَعُنِيَ بِهِ شَابًّا، وَعُنِيَ بِهِ كَهْلًا، وَعُنِيَ بِهِ شَيْخًا، عُنِيَ بِهِ فِي كُلِّ مَرَاكِلِ حَيَاتِهِ. وَعُنِيَ بِهِ فِي عِلَاقَتِهِ مَعَ نَفْسِهِ، وَعِلَاقَتِهِ مَعَ رَبِّهِ، وَعِلَاقَتِهِ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَعِلَاقَتِهِ مَعَ مَجْتَمَعِهِ، وَعِلَاقَتِهِ مَعَ أُمَّتِهِ، وَعِلَاقَتِهِ مَعَ أَعْدَائِهِ، وَعِلَاقَتِهِ مَعَ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، وَعِلَاقَتِهِ مَعَ الْكَوْنِ مِنْ حَوْلِهِ، مَعَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَهَذَا الْكَوْنُ الْعَرِضُ، عُنِيَ الْإِسْلَامُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هَذَا كُلُّهُ.

العناية بالضعفاء:

وعُنِيَ أَكْثَرَ مَا عُنِيَ بِالْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ، سَوَاءً كَانَ ضَعْفُهُ مِنْ نَاحِيَةِ فَقْدِ الْمَالِ: الْفَقِيرَ وَالْمَسْكِينَ، أَوْ مِنْ نَاحِيَةِ فَقْدِ الْآبِ: الْيَتِيمَ، أَوْ مِنْ

(١) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣١٢)، وَمُسْلِمٌ (٩٦١)، كِلَاهُمَا فِي الْجَنَائِزِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ.

ناحية فقد البيت أو الوطن: ابن السبيل، أو من ناحية فقد الحرية: الرقيق، ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، الإنسان الضعيف من أي جهة يُعنى به الإسلام.

يرعى الإسلام هذا الضعيف ويقول الرسول ﷺ للصحابة من حوله: «إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ»^(١). النَّاسُ يَهْتَمُونَ بِأَهْلِ الْجَاهِ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ، وَيَنْشَغِلُونَ عَنِ الضَّعْفَاءِ مِنَ النَّاسِ، لَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ».

هؤلاء الضعفاء الذين لا يُشار إليهم بالبنان، ولا يكاد يهتم بهم أحد: العمال والفلاحون، الزُّرَّاع والحرفيون، وأمثالهم، والخدم الذين يعملون في خدمة الناس، هؤلاء لا ينظر النَّاسُ إليهم هم الذين تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بهم، الرزق من الله، والنصر من الله يأتيان بإخلاصهم وسببهم.

وفي هذا أيضًا إشارة إلى قضيّة اجتماعية مهمة: أنّ هذه الفئات الضعيفة هي عُدّة الإنتاج في السلم، وعُدّة النصر في الحرب، هي التي تعمل، تزرع الأرض، وتحرك المصانع، هي التي تنتج، هي التي تُشغّل دولاب الحياة، هم عدة الإنتاج، وهم كذلك الجنود في الجيوش، الطبقات الراقية لا تحارب في أيام الحرب، ولا تنتج في أيام السلم، هؤلاء هم الذين ينتجون ويحاربون، «إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ».

من أجل هذا غني الإسلام باليتامى، والمساكين، وأبناء السبيل، ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وفرض لهم في خمس الغنائم، وفرض لهم في الفبيء، ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]. كما فرض الله لهذه الفئات الضعيفة من النَّاسِ نصيبًا من

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٦)، عن سعد بن أبي وقاص.

الزكاة، وما بعد الزكاة، وجعل لهم نصيبًا من الصدقات التطوعيّة، ومن ريع الأوقاف، وفي وصايا الأموات.

الدفاع عن الضعفاء:

اهتمَّ القرآن، واهتمَّت السنة بالضعفاء من الناس، الَّذِينَ يَهْمَلُهُم المجتمع، ويدوسهم الأقوياء بأقدامهم، لأنَّهم ليس لهم ظهر يحميهم، ولا أحد يسأل عنهم، الله هو الَّذي يحميهم بأوامره ونواهيهِ، بكتابه وسنّة نبيّه، هؤلاء الضعفاء جاء الإسلام ليرعاهم، ويرعى حرّماَتهم، ويحفظ حقوقهم، ويدافع عنهم، «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه»^(١)، ومن الثلاثة الَّذِينَ يكون الله خصيمهم يوم القيامة، كما جاء في الحديث القدسي: «رجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(٢).

هذا ما جاء به الإسلام، يرعى الإنسان من حيث هو إنسان، وخصوصًا الإنسان الضعيف، الإنسان الَّذي لا حول له ولا قوّة، يهتم به الإسلام حتّى لا يضيع في المجتمع، حتّى لا تدوسه أقدام الأقوياء، تفرمهم عجلات الحياة ولا تبالي، لا، الله ﷻ هو خالق الخلق، وهو أرحم بهم من أمّهاتهم اللاتي ولدنهم، وهو أبر بهم من أنفسهم، ولذلك عُني بهؤلاء الضعفاء والمستضعفين من البشر.

رعاية الضعف الجسمي:

عُني الإسلام بالإنسان في كل حالاته، وخصوصًا حالات ضعفه، حينما تطرأ عليه حالات الضعف: الضعف الجسمي، والضعف النفسي،

(١) رواه ابن ماجه في الرهن (٢٤٤٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٤٤)، وصحّحه الألباني

في صحيح ابن ماجه (١٩٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٧)، عن أبي هريرة.

ولذلك شرع الإسلام الرخص للضعفاء من الناس، في حالة المرض، وفي حالة السفر يكون الإنسان في حالة ضعف، ولذلك شرع له الرخص في الطهارة، وفي التيمم، وفي قصر الصلاة في السفر، وقصرها في المرض، «صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»^(١)، هذه كلها تخفيفات.

وفي الصيام شرع الفطر للمسافر، على أن يقضي عدة أيام أخر بقدر الأيام التي أفطرها، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

كما شرع الضرورات التي تبيح المحظورات، شرع إباحة المحظورات عند الضرورات، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

رعاية الضعف النفسي:

كما رعى الإسلام حالات الضعف النفسي للإنسان، حينما يضعف الإنسان فيقع في المعصية، يضحك عليه إبليس ويوسوس له، وتطاوعه نفسه الأمارة بالسوء؛ فيقع في المعاصي، وتزل قدمه بعد ثبوتها؛ هل يتركه الله وَعَلَى بعد أن سقط في حفرة المعاصي؟ لا؛ ليس هذا في الإسلام.

إنَّ الله سُبْحَانَهُ يُقدِّر الضعف الإنساني، أنَّ في الإنسان طيناً وروحاً، أحياناً يغلب الطين في الإنسان على الروح فيرتكب المعصية، ولكن الله تعالى البرَّ الرحيم لا يتركه ليتماذى في معصيته، ويستهلكه الشر، ويستهويه الشيطان فيصبح من جنوده وعبيده، فيفتح له الباب على مصراعيه

(١) رواه البخاري في أبواب الصلاة (١١١٧)، عن عمران بن حصين.

ليتوب، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «إِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

ويقول القرآن مُخَاطَبًا النَّبِيَّ ﷺ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. أذنبوا في حقّه، وأسرفوا على أنفسهم، وعصوا أمره، ومع هذا لم يغلق الباب في وجوههم، لم يحرمهم شرف الانتساب بالعبودية إليه، فقال: ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. فرحمة الله واسعة.

الإسلام يرعى الإنسان، حتّى في حالة تقصيره، وفي حالة ضعفه، وفي حالة معصيته لربه، لا يتركه، بل يكون معه، يُسَدِّدُهُ إِذَا أَخْطَأَ؛ حتّى يتدارك خطأه، ويستعيد ثقته بنفسه، ويتوب إلى ربه، ويثوب إلى رُشده، وينهض من عثرته، فالحياة قابلة للتعثّر والنهوض، قابلة للخطأ وتصحيحه، والله ﷻ ينادي عباده دائماً أن يتوبوا إليه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

معالم ومنازل:

هذا هو موقف الإسلام من الإنسان، موقفٌ عظيم، موقفٌ رائع، لا نجد في دين من الأديان مثل هذه الوقفة مع الإنسان، وكل جزئية ممّا ذكرته في هذه الخطبة تحتاج إلى تفصيل وإلى أمثلة، وإلى أدلة.

ولكنني أردت أن أعطيكم منارات تهدي، وإشارات تشير إلى الحقائق الكبيرة، حتّى نعلم أن هذا الدين لم يجرى بأشياء شريرة قط؛ بل كان ضد

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.



الشر، وضد السوء، وضد الفساد، وضد الرذيلة، وضد الظلم، ما جاء بشرّ قط، وما جاء بشيء غير إنسانيّ أبدًا؛ بل جاء بكل ما هو إنساني، جاء بكل ما يصلح الإنسان، وبكل ما يُزكي الإنسان، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُفقهنا في ديننا، وأن يُعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا؛ إنه سميعٌ قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

حملة وزير الثقافة على الحجاب:

فوجئت اليوم بما نشرته الصحف على لسان وزير الثقافة المصري، يحمل فيها على الحجاب الشرعيّ، ويزعم أنّ ارتداء هذا الحجاب عودة إلى الورا، إلى التخلف، ويقول: إنّ شعر النساء أشبه بالورود والأزهار الجميلة؛ فلماذا نُغطي هذه الورود؟ لا يجوز أن نحجب هذه الورود عن أعين الناس. ويقول: قد كانت أمّهاتنا في الزمن الماضي يكشفن رؤوسهن، ويذهبن إلى المدارس والجامعات، ولا يسألهم أحد، ولا يطالبهم أحد بتغطية الرؤوس.

مصر تُصدّر الخير والشر:

وهذا عجيب جدّا أن يصدر في بلد مثل مصر، بلد الأزهر، بلد العلماء، بلد الدعوة الإسلامية، بلد الصحوة الإسلامية، الصحوة الإسلامية انطلقت - أول ما انطلقت - من مصر، بدء الصحوة كان في مصر.

وأنا أقول دائماً: مصر تُصدّر الخير، وتُصدّر الشرّ؛ تجد في مصر أفضل قارئ للقرآن، وأفضل عالم من علماء الشرع، وأحسن أديب من الأدباء، وتجد في مصر أيضاً الراقصات، والفراعنة، وهكذا، هناك الخير، وهناك الشر، ومصر بلد الأزهر، وبلد الصحوة، وبلد الدعوة، وقبله الثقافة الإسلامية؛ فكيف يُقال فيها مثل هذا الكلام؟ أقل ما يجب أن يقول هؤلاء الناس: اتركوا النساء يفعلن ما يشأن.



حركة الحجاب:

وحركة الحجاب هي حركة نسوية خالصة، النساء هن اللاتي قُمن بها، الفتيات المسلمات هن اللاتي ارتدين الحجاب بأنفسهن، لم يجبرهن على ذلك أب ولا زوج، لا والله، رأيت بعض الآباء ضد بناتهن، وبعض الأزواج ضد زوجاتهم، ولكنهن أصررن على أن يلبسن الحجاب؛ امتثالاً لأمر الله وَعَلَّيْ.

فرضية الحجاب:

الحجاب ليس بدعة، الحجاب أمرٌ أمر به القرآن الكريم، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، الخُمُر هي غطاء الرأس كما شرحت لكم في خطبة سابقة، تسدلها المرأة ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، على فتحة الصدر.

وفي سورة الأحزاب: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. يرخين جلابيبهن وعباءاتهن وملاءاتهن وثيابهن الخارجية؛ حتى يسترن ما يجب ستره، وحتى تُعرف المرأة المتوقرة الملتزمة من المرأة اللعوب، والمرأة العابثة، ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾، ولذلك لا ترى امرأة مُحجَّبة يعاكسها بعض الشباب، أو يركضون وراءها؛ لأنها أعلنت عن نفسها بهذا الحجاب.

أصالة لا رجعية:

اعتبر الوزير أن الحجاب رجوع إلى الوراثة. ونحن نقول: لماذا لا نرجع إلى الوراثة، إلى عصر مُحَمَّد ﷺ؟ إلى عصر الصحابة والتابعين؟ إلى عصور الحضارة الإسلامية؟

لقد ظل المسلمون أكثر من ثلاثة عشر قرنًا لم تُعرف فيها امرأة كشفت رأسها، وأبانت شعرها، حتّى دخل الاستعمار بلاد المسلمين؛ فأثر في الطبقة الأرستقراطية العليا، وظل الأمر يتّسع شيئًا فشيئًا، وأخذ النَّاس يقلّد بعضهم بعضًا، بحكم التقاليد، وبحكم الإعلام، وبحكم التعليم، وبحكم الممارسة اتّسع هذا الأمر، حتّى في وقت من الأوقات لا يكاد المرء يجد امرأة محجبة في الشارع.

ثم جاءت الصحوة الإسلاميّة فقلبت الأمر رأسًا على عقب، فأصبحت الآلاف، وعشرات الآلاف، ومئات الآلاف، والملايين من البنات يرتدين الحجاب طوعًا لا كرهًا؛ فلماذا يريد الوزير أن نرجع إلى عصر الاستعمار؟ إلى العصر الذي تأثرت فيه المرأة المسلمة بالمرأة الأجنبية؟ لماذا يريد أن يجعل هذا أصلًا، ويلغي ثلاثة عشر قرنًا من حضارة الأمة وتاريخها؟ هذا أمر عجيب!

تخلف لا تقدم:

هذه الفترة التي يريد بعض النَّاس أن نرجع إليها هي فترة التبعية الذليلة، هي فترة النَّاس الذين انساقوا وراء الاستعمار، أرادوا أن يأخذوا الحضارة الغربية بخيرها وشرّها، وحلوها ومُرّها، ما يُحِبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب.

وهذا هو الذي أشار إليه الحديث النبوي حينما قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم - طرائقهم - شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع، حتّى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»^(١). من غير اليهود والنصارى؟

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.



والعرب تضربُ المثل بجُحر الضَبِّ في سوء رائحته، والتواءه، وضيقه، وكراهيته، فلو دخل هؤلاء جُحر الضب، تظهر موضة اسمها موضة جُحر الضب، هذا هو العصر الَّذي يريدون أن نرجع إليه، عصر جُحر الضب، عصر التقليد الأعمى للأجانب، أمّا عصر التحرر والاستقلال للمرأة المسلمة فهذا يعتبرونه تخلفاً.

حينما تلتزم المرأة بأمر ربها، وتنتصر على النوازع، وعلى الإغواء حولها، على مَنْ يقول لها حين تتحجب: لماذا تصنعين بنفسك هذا؟ لماذا لا تعيشين عصرك؟ لماذا لا تعيشين في المكياج، والوصل، والنمص، وهذه الأشياء التي تجعلك عصرية؟ لكن المرأة انتصرت على هذا، هذا هو التحرر الحقيقي للفتاة المسلمة والمرأة المسلمة.

هؤلاء يريدون أن نعود إلى التخلف الحقيقي، إلى التقليد الأعمى للحضارة الغربية التي استغرقت في اللذة البهيمية، التي خالفت تعاليم الأنبياء: موسى، وعيسى، ومحمد، وكل الأنبياء، خالفت هؤلاء جميعاً، هذه الحضارة التي أجازت زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، التي أجازت العري المطلق، التي أباحت الزنى والشذوذ، ويريدون أن نكون جزءاً منها!

ونحن لسنا جزءاً من أيّ حضارة، نحن حضارة مستقلة، لها فلسفتها، ولها عقيدتها، ولها شريعته، ولها قيمها، ولها وجهتها، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، تركنا لكم دينكم فاتركوا لنا ديننا، هذا ما ينبغي أن يحرص عليه المؤمنون والمؤمنات.

نسأل الله تعالى أن يسدّ خطانا، وأن ينير طريقنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك، اللهم



طَهَّرَ أَقْوَالَنَا مِنَ اللُّغْوِ، وَأَعْمَالَنَا مِنَ الْعَبْثِ، وَأَنْفُسَنَا مِنَ الضَّعْفِ، وَقُلُوبَنَا
مِنَ الْغَشِّ، وَأَلْسِنَتَنَا مِنَ الْكَذْبِ، وَأَعْيُنَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ، وَعِبَادَاتِنَا مِنَ الرِّيَاءِ،
وَحَيَاتِنَا مِنَ التَّنَاقُضِ؛ إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

* * *





حقوق الإنسان في الإسلام

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

خَالَالِ الْأُسْبُوعِ الْمُنْصَرَمِ احْتَفَلَتِ الْأُمَمُ الْمُتَّحِدَةُ وَاحْتَفَلَ الْعَالَمُ مَعَهَا بِالْيَوْمِ الْعَالَمِيِّ لِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ بِمُنَاسِبَةِ مَرُورِ أَرْبَعِينَ عَامًا عَلَى إِعْلَانِ «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان».

المسلمون أولى النَّاسِ بِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ:

وَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ أَوَّلُ مَنْ يَحْتَفِلُ بِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ وَيَهْتَمُّ بِهَا؛ فَالْإِسْلَامُ - قَبْلَ أَنْ يُعْلَنَ الْغَرْبُ مَوَاقِفَهُ عَنْ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ، سِوَاءَ مَنْ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ أَمْ مِنْ غَيْرِهَا مِنْ الْهَيْئَاتِ وَالثَّوَرَاتِ - قَدْ قَرَّرَ لِلْإِنْسَانِ حَقُوقَهُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا أَوْ تَزِيدَ.

الإسلام يوازن بين الحقوق والواجبات:

لَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَعْرِفُونَ أَنَّ لَهُمْ حَقُوقًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، كُلُّ مَا يَعْرِفُونَهُ: أَنَّ عَلَيْهِمْ وَاجِبَاتٍ، وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ لَهُمْ حَقُوقًا، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَرَّرَ أَنَّ

للإنسان حقوقاً تُرعى، كما أنّ عليه واجبات تُؤدّى، فكلُّ واجب يقابله حقٌّ، كما أنّ كلّ حقّ يقابله واجب.

ولهذا قامت التكاليف في الإسلام على هذين الأمرين: الواجبات والحقوق، وهذا ما يخالف فيه الإسلام فلسفة الغرب الآن.

فالغرب ينادي دائماً بالحقوق ولا يهتم كثيراً بالواجبات، حقوق الإنسان، حقوق الأطفال، حقوق العمال، حقوق المرأة، حقوق حقوق، وكأنّ الإنسان مطالب فقط بما له، وليس مطالباً بما عليه.

إذا أدّيت الواجبات فقد رعت الحقوق:

الإنسان في الشريعة الإسلامية مخلوق مكلف مطالب مسؤول، أكثر ممّا هو مطالب سائل، الإنسان في الغرب أبداً يقول: ماذا لي؟ أمّا في الإسلام فإنّه يجب أن يقول: ماذا عليّ؟

وإنّما تُرعى الحقوق حقّاً، يوم تُؤدّى الواجبات، فحقّ كلّ إنسان هو واجب على غيره: حقّ الولد في الرعاية المادية والمعنوية والتربية الحسنة هو واجب على أبويه، وحقّ الأب في البرّ والإكرام والرعاية عند العجز أو الشيخوخة هو واجب على أولاده، وحقّ الفقير في كفايته من العيش هو واجب على الغني، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

وحقّ المحكوم في العدل وتكافؤ الفرص واجب على الحاكم، وهكذا.

هذه الحقوق إنّما تُرعى حينما تُؤدّى الواجبات، فهذه فلسفة الإسلام الذي يمزج بين الواجب والحقّ، بل يؤكد كلّ التأكيد، ويركز كلّ التركيز على أداء الواجب، فإنّما تضيع الحقوق حينما تضيع الواجبات.

تقرير الحقوق لأهلها دون مطالبة منهم:

جاء الإسلام وقرّر أنّ للنّاس حقوقاً، ولكلّ إنسان حقوقاً. قرّر ذلك دون أن تقوم ثورة تطالب بحقوق الإنسان، دون أن تُسيّر مظاهرة تنادي بحقّ الفقراء في أموال الأغنياء، أو بحقّ الضعفاء على الأقوياء، أو بحقّ المرأة على الرجل، أو بحقّ المحكوم على الحاكم.

لم تحدث ثورة، ولم تحدث مطالبة، ولكن دون أن يطالب النّاس فإن ربّ النّاس، ملك النّاس، إله النّاس، هو الذي قرّر لهم هذه الحقوق. قرّرها من أوّل يوم، أوّل آيات نزلت في القرآن عُنيّت بالإنسان، ورفعت من شأنه: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، منذ هذه السطور الأولى في كتاب الله تعالى ارتفع شأن الإنسان.

الإنسان في الإسلام له شأن أيّ شأن، وهذا أساس من أسس تثبيت حقوق الإنسان.

حقوق الإنسان في الإسلام تقوم على دعامتين أساسيتين:

١ - عقيدة التوحيد:

الدعامة الأولى: هي عقيدة التوحيد، كلمة «لا إله إلا الله»، هذه الكلمة إيذان بعالم جديد، بميلاد للإنسان من العبوديّة، وخصوصاً من عبوديّة البشر للبشر، لم يعد هناك إنسان يستعبد إنساناً، ولم يعد هناك حقّ لإنسان أن يؤلّه إنساناً.

كيف تؤلّه من هو مثلك، من خُلق من تراب مثلك؟ ويعود إلى التراب مثلك؟ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

كيف تؤلّه إنساناً أنت مثله؟ أو كيف تستعبد إنساناً هو مثلك؟!

إنّما هي الأخوة العامّة، النّاس جميعاً إخوة، أبناء أب واحد، وعبيد لربّ واحد، وهذا ما أعلنه النّبي ﷺ على الملأ، على مرأى ومسمع من الجموع المحتشدة، التي تطهّرت ولبست ملابس إحرامها لله، في تلك الساحة المقدّسة في حجة الوداع.

أعلن النّبي ﷺ ميثاق حقوق الإنسان الأولى، حينما نادى في الشهر الحرام والبلد الحرام: أيّها النّاس: «فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»^(١). لا يحلّ لأحد أن يعتدي على دم أحد، على حياة أحد، على مال أحد، على عرض أحد.

«يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلّا بالتقوى»^(٢)، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقِمُ﴾ [الحجرات: ١٣].

في حجة الوداع، وأمام هذه الجموع الهائلة، أبلغ النّبي بلاغه الأخير للنّاس، قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى: إنّ الربّ واحد، والأب واحد، وإنّ الدماء والأعراض والأموال مصونة، لا يجوز أن يعتدي عليها، وإنّ النّاس سواسية كأسنان المشط.

قرّرت حقوق الإنسان بناءً على أنّ النّاس عبيد لربّ واحد.

عقيدة التوحيد إذن هي الأساس الأوّل لتقرير حقوق الإنسان، لم يعد هناك مجال لفرعون من الفراعنة، يقول للنّاس: أنا ربكم الأعلى، ولا لنمروذ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكر.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٤.

من النمرايز يقول: أنا أحيي وأميت، ويقتل رجلاً بغير حقّ ويقول: قد أمّته، ويحكم على رجل بالإعدام ثمّ يعفو عنه ويقول: هذا قد أحييته.

لم يعد هناك مجال لفرعون ونمرود، إنّما المجال الآن للراكعين الساجدين الموحّدين، الذين يعلنون في كلّ حين: أشهد أن لا إله إلاّ الله، الألوهية لله وحده.

هذه الحقيقة هي بداية تحرير للإنسان، من ظلمات القرون وظلم القرون. كان النبي ﷺ يختم رسائله إلى الملوك والأمراء - قيصر والنجاشي والمقوقس، وغيرهم من ملوك النصارى ورؤسائهم - بهذه الآية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ليس هناك أحد يمكن أن يكون ربّاً لأحد، ولا لأحد أن يكون عبداً لأحد، العبوديّة المدنية المعروفة لا تعني الخضوع المطلق، لا، العبوديّة الحقيقية إنّما هي لله وحده.

هذا هو التوحيد الذي جاء به الإسلام.

٢ - تكريم الإنسان:

ثم كانت هناك الدعامة الثانية: وهي تكريم الإنسان.

الإسلام كَرَّم الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] من حيث هو آدمي، من حيث هو إنسان، كَرَّمه بعدة أشياء:

أ - استخلفه في الأرض، جعله الله في الأرض خليفة، وهي منزلة رنت إليها الملائكة، وشاربت إليها أعناقهم، وتمنّوا أن يكونوا هم

أصحاب هذا المنصب، فقال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿[البقرة: ٣٠، ٣١]، وهيَّاه ليقوم بهذا الدور: الخلافة في الأرض.

ب - كَرَّمَ اللهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ صَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمُوهَا أَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٨].

ج - ثُمَّ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بَشِيءَ أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ وَأَعَمَّقَ، هُوَ أَنَّهُ مَيَّزَ الْإِنْسَانَ بِذَلِكَ الْعَنْصَرَ الرُّوحِيَّ، الَّذِي جَعَلَهُ مَخْلُوقًا مُتَفَرِّدًا مُمَيِّزًا عَلَى غَيْرِهِ.

الإنسان ليس هو هذا الغلاف الطيني، ليس هو هذا الهيكل من العظام والدماء واللحم والأعصاب والخلايا والأجهزة، هذه يشترك فيها مع الحيوان، إنما هو ذلك السرُّ المخبوء داخل هذا الغلاف، الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢].

نفخة الرُّوح هي الَّتِي جَعَلَتْ الْإِنْسَانَ إِنْسَانًا، وَاسْتَحَقَّ بِهَا أَنْ تَسْجُدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ.

هذا هو العنصر الرُّوحِي.

الإنسان حيوان عند الغربيين:

ولذلك ليس الإنسان حيوانًا كما يقول الغربيون من قديم؛ اليونانيون من قديم قالوا: الإنسان حيوان ناطق، أي: مفكّر، والاجتماعيون المُحَدِّثُونَ يقولون عنه: حيوان اجتماعي، والماركسيون يقولون: هو حيوان منتج، والتطوريون يقولون: حيوان متطوّر.

على أي حال هو حيوان عند هؤلاء وأولئك، وإن كان حيوانًا موصوفًا بصفة من الصفات.

الإنسان مخلوق متفرد، ليس حيواناً ولا إلهًا:

ولكن الإنسان في الإسلام ليس حيواناً، كما أنه ليس إلهًا.

هناك من أله الإنسان، وهناك من هبط به إلى دَرَك الحيوانية.

الإنسان ليس حيواناً، وإن اشترك مع بعض الحيوانات في الصفات، كما أن الحيوان يشترك مع النَّبات في بعض الصفات، ولكننا لا نعرِّف الحيوان فنقول: هو نبات متطور.

لا؛ فالحيوان غير النَّبات، والإنسان غير الحيوان، والنَّبات غير الجماد، وإن كان الجميع يشترك في صفاتٍ بعضها تتميز عن بعض.

الإنسان مخلوق متفرد:

ومن الأشياء التي ميَّز الله بها الإنسان وكرَّمه: أنه سَخَّرَ له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه.

سَخَّرَ له كلَّ ما في الوجود: العالم العلوي، والعالم السفلي، والشمس والقمر والنُّجوم، والبحار والأنهار، والجبال والأشجار، كلُّ هذا الكون مسخَّر لخدمة الإنسان، لمنفعة الإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٣، ٣٤].

الكون مسخَّر للإنسان، وهذا يفيد فائدتين:

الفائدة الأولى: أنَّ الطاقات الكونية كلّها مبذولة للإنسان، يستطيع أن يسخَّرها لخدمته: الطاقة الشمسية، الطاقة الترابية، المائية، المعدنية، الهوائية، الضوئية، كلّها مسخرة للإنسان.

الفائدة الثانية: أنَّ هذا الكون المسخَّر للإنسان، لا يجوز أن يعبد الإنسان، كما فعلت شعوبٌ وأمَمٌ قديمًا وحديثًا، تعبد قوى من الطبيعة هي مسخَّرة لها، قلبوا الحقائق، الإنسان المخدوم أصبح خادمًا، والمتبوع أصبح تابعًا، والسيد أصبح عبدًا، الذي سُخِّرَت له هذه الأشياء أصبح يعبد هذه الأشياء!

الإنسان - بهذا المفهوم الإسلامي - أصبح جديرًا أن تكون له حقوق، وأن تكون له مكانة، وأن تكون له كرامة تُرعى، فلا يجوز لأحد مهما يكن قدره أن يهين هذا الإنسان، أو يستعبد هذا الإنسان.

حقوق الإنسان منذ المرحلة الجنينية:

الإسلام جاء ليحترم الإنسان، وليكرّم الإنسان، من حيث هو إنسان، منذ يولد وإلى أن يموت، بل قبل أن يولد له حقوق تُرى وهو جنين في بطن أمّه.

من أجل ذلك حرّم الإسلام الاعتداء على الجنين، حتّى الأم التي تحمل هذا الجنين ليس لها أن تتصرف في جنينها بالإجهاض ونحوه، كما ينادي بذلك كثير من الغربيين المعاصرين وتلاميذهم في ديارنا.

لم يُجزِ الإسلام للأب - بحال من الأحوال - أن يقتل ابنه أو ابنته من إملاق، أو خشية إملاق، كما كان يفعل العرب في الجاهليّة، وخصوصًا مع البنات، فقد كانوا يتخلّصون منهم بالوَأَد «دسّها حية في التراب» ألا ساء ما يحكمون! ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩].

ولم يُجزِ الإسلام للأم أن تُجهض جنينها ولو جاء من حرام.

المرأة الغامدية المعروفة التي جاءت تطلب من النبي التطهير بإقامة

الحدّ عليها، بعد أن ارتكبت الفاحشة، وتقول: يا رسول الله، طهرني، أقم عليّ حدّ الله؛ فأنا حُبلى من الزنى. فلم يرضَ النبي ﷺ أن يقيم عليها الحدّ وقال: «فاذهبي حتّى تلدي». أي أنّه إن كان لنا سبيل عليك، فليس لنا سبيل على ما في بطنك، ما ذنب هذا الكائن الحي؟ إنّهُ مخلوق محترم، لم يجن ولم يُذنب، ولا يحمل وزر غيره.

ثم تذهب وتأتي به بعد الولادة فيقول: «اذهبي فأرضعي حتّى تطفميه»^(١).

هذا هو الإسلام، يرفع الإنسان منذ هو جنين في بطن أمّه، كما يرعاه بعد موته، حيث يوجب غسله وتكفينه والصلاة عليه، ودفنه، وتنفيذ وصاياه، وقضاء ديونه قبل توزيع تركته، وحرّم التمثيل بجثته «تشويهها» ولو في الحرب، كما حرّم كسر عظمه^(٢)، وأمر ألا يُذكر الموتى إلّا بخير؛ فقد أفضوا إلى ما قدّموا^(٣).

رعاية الإنسان من حيث هو إنسان:

الإسلام يرفع الإنسان من حيث هو إنسان، في أيّ أرض كان، فلا اعتبار بالأقاليم، من أي لون كان، أبيض أو أسود؛ فالقيمة للإنسان من داخله وليست بلون جلده ووجهه.

- (١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، وأحمد (٢٢٩٤٩)، عن بريدة بن الحصيب.
- (٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «كسر عظم الميت ككسره حيّاً». رواه أحمد (٢٤٦٨٦)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات. وأبو داود (٣٢٠٧)، وابن ماجه (١٦١٦)، كلاهما في الجنائز، وصحّح إسناده النووي في المجموع (٣٠٠/٥)، نشر دار الفكر، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣١٠)، عن عائشة.
- (٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدّموا». رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

يرعى الإنسان بأي لغة يتكلّم: ﴿وَمَنْ أَيْنَهُ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْنَلُ السِّنَنُكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الرّوم: ٢٢].

يرعى الإنسان من أي طبقة كان، من طبقة الأغنياء أم من طبقة الفقراء، من طبقة الخاصة أم من طبقة العامة.

بل ليس في الإسلام طبقات، كما كان الناس في أوربا قديمًا - هناك طبقة النبلاء، وطبقة الفرسان، وطبقة رجال الدين إلخ، طبقات ثورث، ولكل منها حقوق تظل ثابتة لا تتغيّر - وكما كان الناس في فارس، وفي الهند قديمًا وإلى اليوم، ليس في الإسلام شيء من ذلك.

الناس سواسية، من حيث الكرامة الإنسانية الكلّ سواء، حتّى اختلاف الدّين لا يؤثّر في الكرامة الإنسانية العامة، وقد روى البخاري، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد، أنّ النّبي ﷺ مرّت به جنازة فقام، فقبل له: إنّها جنازة يهودي (أرادوا أن يعرفوه أنّه ليس بمسلم) فقال: «أليست نفسًا؟»^(١). بلى، ولكلّ نفس في الإسلام حرمة ومكان.

من هنا رعى الإسلام كرامة الإنسان حيًا وميتًا:

رعى الإنسان حيًا: بحفظ ماله، وحفظ دمه، وحفظ عرضه، لا يجوز أن يهان في حضرته، أو يتكلم عنه بسوء في غيبته.

ورعاه ميتًا فقال: «لا تذكروا هلكاكم إلّا بخير»^(٢)، «لا تسبّوا الأموات؛ فإنّهم أفضّوا إلى ما قدّموا»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١) كلاهما في الجنائز.

(٢) رواه النسائي في الجنائز (١٩٣٥)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧١)، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٥٥.

حقوق الإنسان في الإسلام.. فرائض وضروريات:

جاء الإسلام ليحافظ على حقوق الإنسان كلّها، حقوقه الماديّة والمعنويّة، الدّينيّة والدنيويّة، العقليّة والجسميّة، واعتبر هذه الحقوق من الضروريات الخمس أو الست التي جاءت الشريعة للمحافظة عليها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنّسل، والمال، والعرض.

إنّ ما يعده الغرب حقوقاً يعده الإسلام واجبات وفرائض، وهذا أوثق وأؤكد، فحقّ الإنسان يمكنه أن يتنازل عنه، أمّا واجبه المفروض عليه من ربّه، فيلزمه أن يراعيه ويقوم عليه ولا يفرّط فيه.

إذا كان التعلّم حقّاً للإنسان في الغرب، فهو واجب على الإنسان المسلم، الذي يعلّمه الإسلام أنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة.

وإذا كان نقد المخطئ أو المنحرف حقّاً للإنسان في الغرب، فهو واجب على الإنسان المسلم، فهو يدخل في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحقّ، كما يدخل في باب النصيحة التي جعلها الرسول الكريم الدين كلّ، لأئمة المسلمين وعامتهم.

وإذا كانت مقاومة الظلم حقّاً للإنسان في الغرب، فهي واجبة على الإنسان المسلم وعلى المجتمع المسلم: «إنّ النّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده»^(١).

(١) رواه أحمد (٣٠)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٣٠٥٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤). عن أبي بكر الصديق.

وإذا كان لجوء المضطهد المظلوم من بلده إلى بلد آخر يأمن فيه حقاً للإنسان في الغرب، فهو واجب على الإنسان المسلم إذا استطاع إليه سبيلاً، اسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلِّكَ ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿[النساء: ٩٧ - ٩٩].

يوجب الإسلام على المسلم أن يدافع عن حقه، ولا يرضى بهوان نفسه، ولا يفرط في كرامته وكرامة أهله، ولا يستسلم للظلم إلا من عجز وضعف، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وفي الحديث: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه». قالوا: يا رسول الله، وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق»^(١).

بهذا ارتقى الإسلام بحقوق الإنسان وحمل الفرد والمجتمع المحافظة عليها، والمحاماة عنها، وحمل الأمة المسلمة عبء الدفاع عن المستضعفين المضيعه حقوقهم، ولو كان ذلك بإعلان الحرب، وشن القتال، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

بين النظرية والتطبيق:

هذا ما جاء به الإسلام، وطبقه المسلمون تطبيقاً عملياً، ولم يكن

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٩٧)، عن حذيفة.

مجرد فلسفة مجردة، أو أفكار نظرية، أو أحلام طوباوية، كجمهورية أفلاطون ومدينة الفارابي!

في المسجد نجد الكلّ سواسية، في الحج الجميع سواسية، أذاب الإسلام بشعائره كلّ الفوارق التي تميّز الناس بعضهم من بعض.

الراشدون من حكام المسلمين لم يفرقوا بين أحد وأحد؛ فالنبي ﷺ وضع لهم القاعدة: «وايّم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها»^(١).

عمر والأمير الغساني:

هذا عمر بن الخطاب يسوّي بين أمير وسوقة، حينما وطئ الأعرابي ثوب ذلك الأمير الغساني - جيلة بن الأيهم - وهو يطوف بالكعبة، وقد أسلم حديثاً، فلما داس على طرف رداءه التفت إليه ذلك الأمير - وكان لا يزال به شيء من كبر الجاهليّة - فلطمه على وجهه، فذهب الرجل إلى الخليفة عمر يشكو ذلك الأمير، فقال عمر: لطمه بلطمة، أو يعفو ويصفح.

قال: يا أمير المؤمنين، أتسوّي بيني وبينه وأنا ملك وهو سُوقَة؟!

فقال له: إنّ الإسلام قد سوّى بينكما، إما أن يلطمك كما لطمته، وإما أن ترضيه. قال: سأحاول أن أرضيه^(٢).

ولكنّ الرجل بيّت في نفسه أمراً وفراً بليلاً، وخرج من المدينة إلى بلاد أخرى مرتدّاً، والعياذ بالله، أثر أن يبقى على عنجهيته، وإن عاد إلى الكفر، ولم يقبل أن يُقتَصَّ منه، ولم يُبالِ عمر رضي الله عنه به.

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/٧٢).

بعض الناس يقول: ألم يكن من الأولى أن يتساهل عمر في هذه القضية ونكسب هذا الأمير؟

لا، خسارة شخص ولا خسارة مبدأ، ليذهب إلى الجحيم، يعوّض الله الإسلام غيره آلاف وآلاف، ولكن مبدأ المساواة - وأنّ لكلّ إنسان أن يطالب بحقه إذا ظلم - أعظم من ذلك الأمير الذي ارتدّ وكفر.

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

وكُلُّنا يعرف تلك القصة، قصّة عمر مع عمرو بن العاص وابنه الذي ضرب ذلك القبطي المصري بغير حقّ، وذهب الرجل وابنه من مصر إلى المدينة - كم عانى وكم تعب حتّى وصل إلى هناك؟! - وشكا عمرًا وابنه إلى عمر.

وأحضر عمر عمرًا وابنه، وقال للرجل: اضرب ابن الأكرمين - لأنّ ابن عمرو بن العاص كان يقول لابن القبطي وهو يضربه: أنا ابن الأكرمين! - ثمّ قال له: أدرها على صلعة عمرو، فما ضربك ابنه إلّا بسلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين: إنّما أضرب من ضربني، ثمّ التفت عمر إلى عمرو وقال له كلمته التاريخية التي نحفظها ويحفظها التاريخ: متى استعبدتم الناس يا عمرو، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً^(١)؟!

كلمة عمر - التي قالها على البديهة - أصبحت تفتح بها مواثيق وإعلانات حقوق الإنسان اليوم: إنّ الناس يولدون أحرارًا متساوين^(٢).

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٢) نقلًا عن حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة للشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٢٤، نشر الدار التوفيقية، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

العبرة الكبيرة هنا: ما الذي جعل هذا القبطي يجوب الفيافي والقفار،
راكبًا جملة أو دابته حتى يصل إلى المدينة؟

لقد كان هو ومواطنوه والآلاف من أمثاله في مصر - في عهد الرومان
المسيحيين أمثالهم - يُضربون ويُهانون ويُحبسون ويُقتلون وتُراق الدماء
أنهارًا، في عصور سُميت: عصور الشهداء، ولم يكن يرفع أحد رأسه.

ما الذي حرّك هذا الرجل حتى قطع هذه المسافة الطويلة؟

لا شيء إلا اعتقاده أن هذا دين جديد، جاء ينصف الناس، ويقيم
عدل الله بينهم، ولا يقيم فوارق بين العباد، اعتقاده هذا هوّن عليه
المتاعب وبُعد الشُّقة، فلم يعبأ بالمعاناة ووعثاء السَّفر، وفراق الأهل
والوطن، من أجل أن يأخذ حقّه.

هذا ما جاء به الإسلام، وهو غرّة في جبين الإنسانية.

الحضارة الغربيّة وحقوق الإنسان:

الحضارة الغربيّة اليوم تُعلن حقوق الإنسان، وهي حقيقة تُعنى
بحقوق الإنسان في ديارها، الإنسان هناك محترم أي احترام له حقوق، له
كرامة، كلُّ إنسان يعرف حقوقه التي ينصُّ عليها الدستور، ويحافظ عليه
القانون، وتقوم على رعايتها السلطة.

في داخل بلادهم كلُّ الحقوق مرعيّة - فيما عدا قضية التمييز
العنصري، واحتقار الملّونين - ولكنهم إذا خرجوا من تلك البلاد
لا يراعون لأحد حقًا.

في هذه الأربعين سنة التي مضت على إعلان حقوق الإنسان، كم
انتهكت حرّمات، كم سُفكت دماء؟ كم انتهبت أموال؟ كم شُرّد أناس

من أوطانهم وخصوصًا في أوطاننا نحن المسلمين؟ ما أكثر الذين أُوذوا وشُردوا، شُرد شعب بكامله من أرضه في فلسطين، شُردت شعوب إسلاميّة من أوطانها.

هناك من المسلمين ملايين وعشرات الملايين مشرّدين في أنحاء العالم، من بورما، من إريتريا، من الصومال، من أقطار شتّى يحكمها طغاة مستبدّون ظالمون.

الغرب وراء هذه المظالم كلّها:

أليس هؤلاء هم الذين يؤيدون غارات ما يسمى «إسرائيل» على لبنان إلى العهد الأخير؟ ومظالم تلك الدولة المغتصبة مع أطفال الحجارة، مع أولئك الأشبال الأطهار؟

أليس هؤلاء وراء كلّ مظلمة؟

نحن المسلمين أصبحت دماؤنا أرخص الدماء في الأرض، وأصبحت أرضونا نهبًا لكلّ طامع.

حقوقنا أين هي؟

الإنسان في عصر حقوق الإنسان أصبح في كثير من البلاد مضيّعًا. لقد أعلنت منظمة العفو الدوليّة أنّ حوالي ثلث العالم يعيشون مضطهدين من حكومات ظالمة لا ترعى حقوقهم، وهذه مصيبة كبرى.

أناس يُحكمون بغير إرادتهم، أناس سلّطوا على أناس لا يستطيعون التخلص منهم، هذه هي مصيبة العالم الذي يدّعي حقوق الإنسان.

كم في السجون من أبرياء؟ كم هناك من أناس تمزّق أجسادهم



السياط؟ كم هناك من أناس يُعانون من مظالم الفراعنة الجدد، في عصر يُحتفل فيه بحقوق الإنسان؟

ونحن المسلمين كم نعاني ونعاني من جرّاء هذه المظالم؟ ولا يمكن أن ننال حقوقنا إلّا أن نتزعها من براثن الوحوش، من أيدي أولئك المغتصبين.

لا يستطيع أحد أن ينال حقّه إلّا بالكفاح، إلّا بالجهاد، فما أخذ بالقوة لا يُسترد إلّا بالقوة، ولا يفلّ الحديد إلّا بالحديد.

في عصر حقوق الإنسان نبكي نحن المسلمين على ديار وأوطان هنا وهناك مُضيّعة، وعلى إخوة لنا يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء، كما كانوا يعلموننا قديمًا في علم الإنشاء.

نبكي على إخوة لنا هنا وهناك، يطالبون بحقّهم ولا يجدون نصيرًا. لو أنّ إنسانًا غربيًا أصاب ظفره شيء، أو اختطف، أو سُرق، لقامت الدُّنيا ولم تقعد، ولكن الملايين منّا - نحن العرب والمسلمين - يُعانون ولا يكاد يلتفت إليهم أحد.

أهذا هو عالم حقوق الإنسان؟

أين حقوق الإنسان أيُّها النَّاس، في عصر يأكل الأقوياء فيه الضعفاء، غابة يفرس القوي فيها الضعيف، بحر يأكل السمك الكبير فيه السمك الصغير؟ لا مكان إلّا لمن يأخذ حقّه بيده، فلنقو أنفسنا، ولنعدّ العُدّة، ولنحرص على أن نكون - نحن المسلمين - في ديارنا مثلًا للحقوق التي يجب أن تُرعى.

كم في ديار المسلمين من حقوق تُهضم بأيدي المسلمين؟!

لا يجوز أن نعيب على الغرب أنه يضيّع حقوقنا، ونحن في ديارنا مضيعو الحقوق، أكلها مواطنون لنا، كلُّ إنسان يقول: نفسي نفسي، يقول: لي، لي، ولا يقول يوماً ما: عليّ!

هذه هي الآفة، وهذه هي الكارثة، ولا نجاة لنا إلا بالعودة إلى الإسلام، التزام بالحقوق، والتزام بالواجبات، كما شرعها الله، وكما جاء بها مُحَمَّد رسول الله ﷺ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

فلنذكر ضعف الإنسان:

إذا كنّا تحدثنا عن حقوق الإنسان، فينبغي أيضًا أن نذكر هذه الأيام ضعف الإنسان، الإنسان الذي طغى في هذا العصر، وظنَّ أنّه يسيطر على كل شيء ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِآ﴾ [يونس: ٢٤]، ثم تأتي الأحداث وراء الأحداث، لتعلم الإنسان أنّه مخلوق ضعيف: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

أيُّها الإنسان ما أنت؟ أنت حفنة من التراب، تتغذى ممّا يخرج من التراب، ثم تُوارى أخيرًا في التراب، ترابٌ يمشي على تراب.

أيُّها الإنسان المتأله ما أنت؟ لو أنّ السماء تمسك أمطارها عنك هل تستطيع أن تفعل شيئًا؟ ماذا تستطيع إذا لم تنزل عليك قطرات الماء؟

كان النَّاس قديمًا يقولون: النيل عندنا في مصر يغينا عن أمطار السماء، فلما شحَّت الأمطار في إفريقيا لم يستطع النَّاس أن يفعلوا شيئًا، ثمّ لما زادت الأمطار أصبح النَّاس يشكون الفيضان، الفيضان يُغرق ويدمر في السودان، في باكستان، في بنغلاديش.

ماذا تصنع أنت أيُّها الإنسان؟

ثم انظر أخيرًا إلى ضعف الإنسان في الاتحاد السوفيتي الذي يملك القدرات العلمية، والإمكانات التكنولوجية، والصواريخ والأقمار الصناعية، والسفن الفضائية، رغم هذا كلّهُ، ماذا صنع السوفيت أمام هزة

أرضية، زلزلة استمرت ثواني معدودات؟! فإذا بها تجعل عالي المدن سافلها! ثمان وأربعون قرية دُمّرت على من فيها!

أين العلم؟ أين الصواريخ؟ أين الأقمار؟ أين سفن الفضاء؟ أين المخزونات النووية؟ أين، أين؟

الإنسان ضعيف أمام هذا كله.

اعتبر أيُّها الإنسان، واذكر بهذا أنَّ هناك زلزلة أكبر من هذه الزلزلة: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

اللهم نبِّهنا من سكرتنا، وأيقظنا من غفلتنا، وتب علينا توبة نصوحًا.

اللهم أعِنَّا على شهوات أنفسنا، وأصلح فساد قلوبنا.

اللهم ارع أوطاننا وديارنا.

اللهم ردِّنا إلى الإسلام ردًّا جميلًا.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا.

اللهم اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجِرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.



اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين، وفي أفغانستان، وفي إريتريا، وفي الفلبين، وفي كل مكان من أرض الإسلام. اللهم أيد إخواننا المضطهدين والممتحنين، اللهم أفكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وفلّ حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

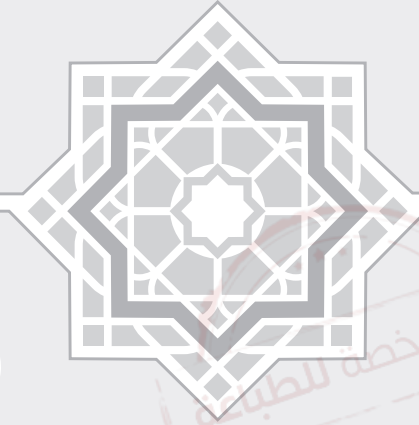
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٢١٨ ، ٣٩
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٢١٨ ، ٤٠
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	١٣٩ ، ٤٠
سورة البقرة		
﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٣٠	٣٥٢
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾	٣١	٣٥٢ ، ٣٢٩
﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٣٢	٣٢٩
﴿قَالَ يَتَّخِذُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَاسْمَاءِهِمْ﴾	٣٣	٣٢٩
﴿وَقُلْنَا يَتَّخِذُ آسَافُ الْأَوَّلِينَ﴾	٣٥	٢٧٨
﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ﴾	١٢٦	٨
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	١٨٧
﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٧٣	٣٣٩
﴿وَالْيَتَمَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾	٢١٥ ، ١٧٧	١٣٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾	١٨٥	٣٣٩
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٢٣٧، ٦٨
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾	١٨٧	٣١٤، ٢٣٧
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٥	٦٨
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْ لَفَعٌ لِلنَّاسِ﴾	٢١٩	٦٨
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾	٢٢٠	٢٥٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٦٩
﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾	٢٢٣	٢٣٧
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾	٢٢٨	٢٩٨، ٢٨٢، ٢٧٦
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرَّضَاعَةُ﴾	٢٣٣	١١٢، ١١٣، ١٣٠، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ٢٩٨، ٢٧٧
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾	٢٣٥	٣٣
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾	٢٥٦	٢٤٣
﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾	٢٨٢	٢٩٣
سورة آل عمران		
﴿ذُرِّيَّةٌ مِنْ بَعْضِ﴾	٣٤	١٦٥، ١٢٥
﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾	٣٦	٢٧٣
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٣٥١، ٢٤٤
﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٣١٩، ٨٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٢١٦
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	١٨٧
﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾	١٤٦	٢٨٧
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا﴾	١٤٧	٢٢، ٧٩، ٩٤، ١٨٣، ٣٦٤، ٣٦٧
﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾	١٥١	١٢، ٤
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٥٩	١٩٢
﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾	١٨٥	٢٤
﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾	١٩٥	٢٧٢، ٢٩٢
سورة النساء		
﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾	٣، ٢٤، ٢٥	٣٣٧
﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾	٤	٢٩٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾	١٠	١٣٤
﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾	١١	٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٥
﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾	٢١	٣١٢
﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٨٢، ٢٣٥، ٣٦٥
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾	٣٢	٢٩١
﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ سُوءَ هَيْبَةٍ فَعِظُوهَا وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾	٣٤	٢٧٦، ٣٠٢، ٣١٧
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوَالِدِينَ إِحْسَنًا﴾	٣٦	٩٧، ١٣٥
﴿أَوَلَمْ يَسْمُحُوا لِلنِّسَاءِ﴾	٤٣	٢٣٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	٤٨	١٩١، ٧٣
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	٥٨	١٨
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾	٧٥	٣٥٨
﴿قُلْ مَنَعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ انْقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ قَلِيلًا﴾	٧٧	٢٦٢
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾	٨٠	٢٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾	٩٧ - ٩٩	٣٥٨
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾	١٢٢	٣٠٣
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٢٤	٢٩٢، ٢٧٩
﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُعِنْهُ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾	١٣٠	٣١٨
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾	١٤٠	٨٧
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾	٢	٢١٦
﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	٨٥
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٣٠٣
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾	٩٠	٢٦٣
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾	٩١	٢٦٣
﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٩٨	٣٣
سورة الأنعام		
﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾	٨١	١١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	٨٢	١١، ٢٦٧
﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	١٢٢	٢٤
﴿وَلَا تَقُولُوا أُولَدُكُمْ مِنِّي وَلَقَدْ نَحْنُ نَزُّقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾	١٥١	١٠٦، ١٣٠
﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾	١٥٢	١٣٤
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٦٤	١٢٧، ١٤١، ١٥٤
سورة الأعراف		
﴿لَا يَنْبَغُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾	١٧	٥٢
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	٩٢
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٢٥٩
﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾	٥٨	٢٦٨
﴿يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾	٥٩	٣٢، ٢٤٣
﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	٨١	٢٣١
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾	٨٤	٢٣١
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٥١	٥٤
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾	١٨٩	٣١٤
﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ﴾	٢٠٥	٤، ٥٩
سورة الأنفال		
﴿وَالْيَتَمَّىٰ وَالْمَسْكِينُ وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾	٤١	١٣٥
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾	٦٠	٢٢٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة		
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾	٣١	٣٩
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ ﴾	٣٢	٣٠٧
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ ﴾	٣٣	٣٠٧
﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾	٤٣	٣٢٧
﴿ وَالْعَرَمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾	٦٠	١٣٥
﴿ الْمُتَنَفِقُونَ وَالْمُتَنَفِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ﴾	٦٧	٣٠٠
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	٧١	٣٠٠، ٢٨٣
﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	٧٢	٢٦١
﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾	٧٩	٢٠٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾	١١١	١٧٠
﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾	١١٨	٧٦، ٧١
﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾	١٢٢	٢٥
سورة يونس		
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰهَا ﴾	٢٤	٣٦٥
﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾	٨٣	١٧٠
﴿ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٩٠	٢٠١
﴿ ءَاكُلْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾	٩١	٢٠١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة هود		
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكَ فِيهَا﴾	٦١	٢٣٠
﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾	١١٤	٧٣
سورة يوسف		
﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبُوبَ وَقَالَتِ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾	٢٣ - ٣٥	١٦٦ - ١٦٨ ، ٢٤٠
﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾	٣٢	٢٤٠
﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	٣٣	٢٤٠
﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	٨٧	٢١٢
﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾	٩٩	٨
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	٢٥ ، ١٩٨
سورة الرعد		
﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتُ فِي الْأَرْضِ﴾	١٧	٢٢٥
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	٨٩
سورة إبراهيم		
﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	٤٨
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٤	٢٦٨
﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	٢٦٨
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾	٣٣	٣٥٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾	٣٤	٣٥٣
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	٣٩	١٦٥
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾	٤١	٥٣
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٢٠٥
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾	٢٦	٣٢٨
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٢٩	٣٥٢، ٣٢٨، ٢٤
﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٣٩	٥٢
﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾	٤٦	٩
﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّيَ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾	٥٦	٢١٢
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٣، ٩٢	٢٦٠
سورة النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	٢٤٣، ٣٢
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٥٨	٢٩٥، ٢٨١، ١٢٩
﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾	٥٩	٢٨١، ١٢٩، ٢٩٦، ٢٩٥
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٧٢	٣١٥، ٣٠٩
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	٢٥٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٢٧٠، ٩٤
﴿وَلَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٩٣	٢٦٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾	٩٦	٢٦٢
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	٩٧	٢٧٩، ٢٩٢
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾	١١٢	٩١، ٩، ٤
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	١٩٨، ١٩٣، ١٩٢
سورة الإسراء		
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	٢٣	٢٨٢، ٩٩، ٩٧
﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾	٢٤	٢٨٢، ١٠٠، ٩٩
﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾	٢٥	٧٢
﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾	٢٦	٣٣٧، ١٥٥، ١٣٥
﴿ وَلَا تَقْلُوبُوا أُولَدَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيتُمْ نَجْنًا نَزَّلَهُمْ وَايَاكُمْ ﴾	٣١	١٣٠، ١٠٧
﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٢٣٠
﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾	٣٤	١٣٤
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٣٨	٢١٠
﴿ لَا تَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٦٢	٥٢
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾	٧٠	٣٥١، ٣٢٩، ٢٧٩
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٢٢٥
﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾	٩٣	٣٢٦
سورة الكهف		
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾	١٣ - ١٥	٢٥٤، ٢٥٣، ١٦٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَتَحْسَبُهُمْ آتِكَاءَ ظَنًّا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾	١٨	١٦٩
﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	٢٢	١٦٩
﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾	٢٨	٥٩
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾	١٠٣	٢٥
﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	١٠٤	٢٥
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾	١١٠	٣٢٦، ٣٢٧
سورة مريم		
﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا	١٢ - ١٤	١٦٩
سورة طه		
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾	٥٥	٣٤٩
﴿إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾	١٢٣ - ١٢٦	١٣٨
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	١٣١	١٨
سورة الأنبياء		
﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾	٨	٣٢٦
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	٢٢٥
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	٢٥	٢٤٣، ٣٢
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشِّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَهْمٍ لِلْخَالِدُونَ﴾	٣٤	١٩٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿	٥٢ - ٦٩	١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٤٩
﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴾	٥٧	٢٤٩
﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	٥٩	٢٥٠
﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾	٦٠	٢٥٠
﴿ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾	٦١	٢٥٠
﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾	٦٢	٢٥٠
﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾	٦٣	٢٥٠
﴿ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	٦٤	٢٥٠
﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾	٦٥	٢٥٠
﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾	٦٦	٢٥٠
﴿ أَفِ لَكُمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٦٧	٢٥٠
﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾	٦٨	٢٥١
﴿ يَنَارُ كُوفٍ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾	٦٩	٢٥١
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٩٥
سورة الحج		
﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾	١	٣٦٦
﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾	٢	٣٦٦
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩	٣٩
﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾	٤٠	٣٨ ، ٣٩ ، ٤٩
﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾	٥٤	٤٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	٥ - ١	١٩٤
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾	٧ - ٥	٢٣٤
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	٩ ، ٨	١٩٤
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾	١٠١	٣٣٢
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٠٢	٣٣٢ ، ٢٦٠
﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾	١٠٣	٣٣٢ ، ٢٦٠
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾	١١٥	٢٤٨
﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾	١١٦	٢٤٨
سورة النور		
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾	٤	١٥٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	١١ - ١٥	١٥٨
﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾	٣٠	٢٣٢
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	٣١	٨٠ ، ٦٢ ، ٥٢ ، ٢٣٢ ، ٨٧ ، ٨١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠ ، ٢٣٥
﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾	٣٢	٢٣١
﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾	٤٠	٤١
﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾	٦١	١٥١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفرقان		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾	٢٠	٣٢٦
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾	٥٤	٣١٥
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾	٦٢	٥٩
سورة الشعراء		
﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾	٤١	٢٥٤
﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	٤٢	٢٥٤
﴿وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فَزَعُونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾	٤٤	٢٥٤
﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾	٤٥	٢٥٤
﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾	٤٧ - ٤٨	٢٥٥
﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٧ - ٨٩	٢٤
﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٥	٢٣١
﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾	١٦٦	٢٣١
سورة النمل		
﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾	٥٥	٢٣١
سورة القصص		
﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ﴾	٢٣	٢٧٥
﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾	٢٤	٢٧٥
﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾	٥٧	٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾	٣٠	٢٣١
﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾	٤٥	٢٢، ٩٤، ١٨٣، ٢٧٠
﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾	٦٤	٢٤٩
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْحَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾	٦٧	٨
سورة الروم		
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾	٢١	٣١٣، ٣١٤
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكْمُ ﴾	٢٢	٣٥٦
﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾	٢٨	٣٣٧
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	١٠٩
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾	٥٤	١٣٢، ١٤٠، ١٦٢
سورة لقمان		
﴿ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	١١
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ ﴾	١٤	٩٧، ١٠١، ٢٩٩
﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾	١٥	١٠٦
سورة الأحزاب		
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾	٧	٣١٣
﴿ وَتَخَفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾	٣٧	٣٢٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	٢٢، ٧٩، ١٦١، ٢٧٠، ٣٦٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٩	٣٤٣
سورة سبأ		
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾	١٨	٨
سورة فاطر		
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	٦	٥١، ٨٨
﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾	٨	٢٥، ٥٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾	٢٩	٢٠٤
﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٣٠	٢٠٤
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾	٣٢	٥٩
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٢٢٢
سورة الصافات		
﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٥ - ٩٦	٢٥١
﴿يَبْنِي إِلَهِي أَرَى فِي السَّمَاءِ آتِيًا ذُبْحَكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى﴾	١٠٢	١٦٥
سورة ص		
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾	٣٥	٥٤
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٧٢	٢٦١، ٣٢٨، ٣٥٢
﴿فَاعْبُدْكَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَيْنِ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾	٨٢، ٨٣	٥٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾	٣٠	١٩٣
﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	٣٤٠
سورة خافر		
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾	٢٦	٣٩
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾	٢٨	٣٩
﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾	٨٤	٢٠٢
﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَّا اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾	٨٥	٢٠٢
سورة فصلت		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾	٦	٣٢٦، ٣٢٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾	٣٠	١٣، ٣٨
﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٣١	١٣، ٣٨
﴿نُزِّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾	٣٢	٣٨
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	١٩٨
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾	٤٢	٢٠٥
سورة الشورى		
﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَجِّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾	٣٦	٢٦٢
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً﴾	٤٩	١١١، ٣١٦
﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾	٥٠	١١١، ٣١٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ ﴾	٨٠	١٥
سورة الأحقاف		
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	١٣	٨٩
﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾	١٥	٩٧، ١٠١، ٢٧٩، ٢٩٩
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾	٣٥	٢٢٢
سورة محمد		
﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	١٩	٣٣
سورة الفتح		
﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾	١٧	١٥٠
سورة الحجرات		
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾	١١	٥٢، ٦٢
﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾	١٣	٣٣٢، ٣٥٠
سورة ق		
﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾	١٨	١٥
﴿ مِّنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾	٣٣	٢٤
﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾	٣٤	٢٤
سورة الذاريات		
﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾	٤٩	٣١٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	٥٠	٥١
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٣١٥
﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	٥٨	٢٥٩
سورة الطور		
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾	٣٥	٢٤٦
﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوفِقُونَ﴾	٣٦	٢٤٦
سورة النجم		
﴿وَأَنِّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْهَىٰ﴾	٤٢	٣٢
﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾	٤٥	٢٩٤، ٢٧٣
سورة الرحمن		
﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	١ - ٤	٣٢٩
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾	٧ - ٩	١٩٠
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾	٦٠	١٠٠
سورة الواقعة		
﴿وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١٠، ١١	٥٩
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾	١	٢٨٣
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾	٦	١٦
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٧	١٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾	٧	٢٩، ٣٣٧
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾	١٠	٢٢، ٧٩، ٩٤، ١٦١، ١٨٣
سورة الممتحنة		
﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾	٤	٢٢٣
﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	٥	٢٢٣
﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُفُّوا أَلْمُومِينَ مَهْجَرَتٍ فَأَمْتَحِنُوهُمْ ﴾	١٠	٢٨٣
سورة المنافقون		
﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٨	١٨٦
سورة التغابن		
﴿ وَصَوِّرْهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾	٣	٣٥٢
﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾	١١	٨٩
﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾	١٥	١١٤
سورة الطلاق		
﴿ وَأُولَئِ الْأَمْحَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ ﴾	٤	١٢٦
﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ ﴾	٦	١٢٦
﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ ﴾	٧	٢٧٦
سورة التحريم		
﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا فَأَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾	٦	١٢٣، ١٤٨
﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾	٨	٦١، ٦٦، ٨٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٢٤٧
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٢٥٧
سورة القلم		
﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٣٣٠
سورة المعارج		
﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	٢٤، ٢٥	٣٤٨
سورة نوح		
﴿جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا﴾	٧	٣٠٧
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	٢٨	٥٣
سورة المدثر		
﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	١ - ٧	١٩٤
سورة القيامة		
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾	٢٠	٢٦٢
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾	١ - ٤	٣٢٧
سورة التكويد		
﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾	٨ - ٩	١٠٦، ١٢٩، ٢٨١، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٥٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الانفطار		
﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿	٨ ، ٦	٣٥٢
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿	١٣ - ١٩	٣٣ ، ٤
سورة المطففين		
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿	١٤	٥٦
سورة الفجر		
﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿	١٧ ، ١٨	١٣٤
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿	٧ - ١٠	٣٤١
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿	٩ ، ١٠	٥٠
سورة الضحى		
﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾	٩	١٣٣ ، ١٥٢
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٣٢٩ ، ٣٥٢
سورة العلق		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿	١ - ٥	٣٢٩ ، ١٩٤ ٣٣٠ ، ٣٤٩
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿	٣ ، ٤	١١٦
سورة القارعة		
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿	٦ - ١١	٣٣٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٣ - ١	٢١٧
سورة قريش		
﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ * إِلَّا لَفِهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾	٤ - ١	٩ ، ٧
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾	١	١٥٢ ، ١٣٣
﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾	٢	١٥٣ ، ١٣٣
﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾	٣	١٥٣ ، ١٣٣
﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	٥ ، ٤	٨٥
سورة الكافرون		
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	٣٤٥



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
أ	
٣٣٥	أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ يَا أُسَامَةَ؟ إِنَّمَا هَلِكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
١٢١	اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ
٦٦	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ
٢٩٧	أَجِيزِي مَا صَنَعَ أَبُوكَ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَِّّي لَهُ كَارِهَةٌ
١٠٣، ١٠٢	أَحْيِي وَالِدَاكَ؟. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ففِيهِمَا فَجَاهِد
٢٣٢	إِذَا أَتَاكُمْ مِنْ تَرْضُونَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَرُوجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ
٥٠، ٢٣	إِذَا صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ
٤٥	إِذَا لَمْ تَسْتَخْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ
٣٣١	اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ
١١١	أَذِّنْ فِي أُذُنِي الْحَسَنِ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ
٢٨١	إِذْنَهَا صَمَاتُهَا
١٤١، ١٢٧، ١١٠	اذهبي حتَّى تلدي... اذهبي فَأَرْضِعِيهِ حتَّى تَقْطُمِيهِ
٣١٤	أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح
١٥٧	أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ



رقم الصفحة	الحديث
١٠٣	ارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فقابل الله ببرهما
١٠٣	ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما
١٣٣	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
٢٤٤	أسلموا تسلموا
٣٣٨	أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه
١٨٥، ٣٤	اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك
٥٣	أفلا أكون عبدا شكورا
١٢١	أكلٌ وَلَدِكْ نَحْلَتَهُمْ مِثْلَ هَذَا؟. قال: لا يا رسول الله
٩٨	ألا أدلكم على أكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله
١٩١	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
٢٩٩، ٢٨٢، ١٠٣	ألك أم؟ قال: نعم. قال: اذهب فالزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْهَا
٥٤	اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري
٥٤	اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وسره وعلانيته، وأوله وآخره
٥٤	اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ
١٧	اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمَّن سواك
٨٣	اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت! خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك
٨	اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربِّي وربُّكَ الله
٨٣	اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب
١٦٨	اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا
١١	ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه
٣٥٦، ٣٣٦	أليست نفسا

رقم الصفحة	الحديث
١٩٧	إمالة الأذى عن الطريق صدقة
١٩٧	أمرٌ بمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكر صدقة
٢٩٩، ٢٨٢	أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ
١٤٣، ١٤٢، ١١٤	إِنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ ارْتَحَلَنِي - رَكْبَنِي، اتَّخَذَنِي رَاحِلَةً وَمَطِيَّةً، رَكُوبَةً -
٣٤٠، ٦٨	إِنَّ اللَّهَ وَجَّلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ
٢١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ
٢٦٥	إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَدَنِي لَصَغُرَ سَنِي، وَأَجَازَ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ
١٩٢	إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ
٢٢٠	إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
٢٠٦	إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ
١٠٥	إِنْ مِنْ أَبْرِ الْبَرِّ أَنْ يُوَدَّ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِ أَبِيهِ
٩٨	إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ: أَنْ يَطِيعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَيَعْقُ أُمَّهُ، وَأَنْ يُدْنِيَ صَدِيقَهُ
٩٨	إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
١٠٥	إِنْ مِنْ الْبَرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ إِخْوَانَ أَبِيهِ
٣٥٧	إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ
١٥٣	أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تَبَادِرُنِي
١٥٣، ١٣٤	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ
١٣٢	أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكَحِي
١٠٥	أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ
١٩٦	إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ
١٧١	إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مَسِيرِينَ، وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسِرِينَ



رقم الصفحة	الحديث
٣٣٧	إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ
٢٣٧	إِنَّمَا حُبُّ إِلَهِ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ، وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ
١٠٤	أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ
١١٥، ١٣١، ١٤٤	أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ
١٩٠	إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ
٥٧	إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا
٦٤	إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَهْلِكَ
١٢٢	أَيَسِّرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟. قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ
٣٧	الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شَعْبَةً أَعْلَاهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ
٢٤٤، ٣٣٢	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لَأَدَمَ، وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ
٢٩١	أَيُّهَا النَّاسُ. وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ أُمَ سَلَمَةَ تُمَشِّطُهَا جَارِيَتُهَا
ب	
٦٠	بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ
ت	
٥٥	التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
١٩٧، ٥	تَبَشُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ
١٢٥، ١١٠	تَخَيَّرُوا لِنُطْفِئِكُمْ
٣١٥	تَنَاحُوا تَنَاسَلُوا تَكْثَرُوا
١١٠	تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِحَسْبِهَا، وَلِمَالِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا

الحديث	رقم الصفحة
ث	
ثلاثٌ مُهْلِكَات: شحٌّ مطاع، وهوى متَّبَع، وإعجاب المرء بنفسه	٨٤، ٦٠
ح	
الحج عرفة	٧٠
حديث الثلاثة الذين خُلِّفُوا	٧١
حديث الرجل الذي قتل مائة نفس	٧٢
حديث المرأة الغامدية التي طلبت من النبي ﷺ أن يقيم عليها الحد	٣٥٥، ٣٥٤، ٣١١
حذر من محَقَّرات الذنوب	٦٤
خ	
خير بيتٍ في المسلمين بيت فيه يتيمٌ يُحسن إليه	١٥٤
خيركم مَنْ تعلم القرآن وعَلَّمه	٢٠٦
د	
الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة	٣١٤
ر	
الراحمون يرحمهم الرحمن	١٤٤
رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله	٨٣
رجل استأجر أجيّرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره	٣٣٨
رجل له درهمان، فأخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير	٢٠٧
رحم الله والدًا أعان ولده على برّه	١٢١، ١٢٠
رضا الله من رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد	١٠٢
رَغِمَ أنْفُه، ثم رَغِمَ أنْفُه، ثم رَغِمَ أنْفُه	١٠١



الحديث	رقم الصفحة
ز	
زملوني، زملوني	٢٩٢
س	
سبق درهم مائة ألف	٢٠٧
ش	
شاور أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية	٢٩٨ ، ٢٧٧
الشرك في أمتي أخفى من ديب النمل. فقال أبو بكر	٥٤
الشیطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد	٢١٧ ، ٢١٦
ص	
صارع النبي ﷺ ركاة	١١٦
صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب	٣٣٩
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٦٣
صلّي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ	١١٤
ط	
طلب العلم فريضة على كل مسلم	٢٧٤
العينان تزنيان، وزناهما النظر	١٢٨
ف	
فاذهبي حتّى تلدي... اذهبي فأرضعيه حتّى تفتطيه	٣٥٥
فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا	٣٥٠
فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه	٥٨



رقم الصفحة	الحديث
ق	
٩٠، ٣٨	قل: آمنت بالله، ثم استقم
ك	
٩٨	الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس
٣٥٥، ٣٣١	كسر عظم الميت ككسر عظم الحي
٢٥٢، ٢٥١	كغشاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم
٨٢	كل ابن آدم خطاء
٦٥	كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً
١٨٩	كلُّ بدعة ضلالة
١٤٥	كلُّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه
١٧٦، ١٤٤، ١٠٩	كلُّكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته
١٩٧	الكلمة الطيبة صدقة
ل	
٣٥٦، ٣٣١	لا تذكروا هلكاكم إلا بخير
٢٢٦	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض
١٦٢	لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربّه حتّى يُسأل عن خمس
٣٥٦، ٣٥٥	لا تسبوا الأموات، فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدموا
٤٦	لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليدًا
١٠٢	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
٦٠	لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
١٣١	لا يرحم لا يرحم



رقم الصفحة	الحديث
٧٥	لا يقبل الله صدقة من غلول
٣٥٨	لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه. قالوا: يا رسول الله، وكيف يذل نفسه؟
٣٤٤	لتتبعن سنن من كان قبلكم - طرائقهم - شبرا بشبر وذراعا بذراع
٢١٤	لنفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش
٨٦	لقد قلت كلمة؛ لو مزجت بماء البحر لمزجته
٦٩	لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة
٣٠٢	لم يضرب امرأة، ولم يضرب خادما، ولم يضرب دابة
١١٦	لن تراعوا، لن تراعوا. وهو على فرس لأبي طلحة عزي ما عليه سرج
٢٣٨	لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان
م	
٢٠٤	الماهر بالقرآن - الذي يتقن تلاوته ويحسنها ويجودها - مع السفرة الكرام البررة
١١٧، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٧	مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ
١٧، ٥	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس
٢٠	المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله
١٠١	من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة
٣٣٣	مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ
١١٥، ١١٦	من حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي
١٩	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه
١٥٩	مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْءودَةً فِي قَبْرِهَا
١٩٢	من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا
١٠٧	من عق والديه لا ينظر الله إليه يوم القيامة



رقم الصفحة	الحديث
٦٤ ، ٦٣	من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه
٢٠٤	من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، لا أقول: الم حرف
١٤٣ ، ١١٥	مَنْ لَا يُرْحَمَ لَا يُرْحَمَ
٩٧	مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ
١٨٨ ، ٢٥	من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين
١٩٩ ، ١١٦	المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف
٢١٦ ، ٢٠	المؤمن للمؤمن كالبنیان يشدُّ بعضه بعضًا
٦٥	المؤمن يرى ذنبه كالجبل، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب
ن	
٧٠	الندم توبة
١٠٤	نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما
٣٠٣	نهى النبي ﷺ أن تُضرب المرأة في الوجه
هـ	
١٥٥	هل تُنصرون وتُرزقون إِلَّا بضعفائكم
١٠٥ ، ١٠٤	هل لك من أم؟ قال: لا. قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرّها
٦٩	هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟
١٩٠	هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون
١٣٠	هو الواؤد الخفي
و	
٧٣	وأَتبع السيئة الحسنة تمحها
٢٣٧	والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد



رقم الصفحة	الحديث
٣٠٢، ١٣٦	والله لولا خشية القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السّواك
٣٥٩	وأيّم الله لو أنّ فاطمة بنت مُحمّد سُرقت لقطعتُ يدها
٢٣٣	ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله
٢٣٨	وفي بُضْعِ أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته
٢٢٠	ولا تكثر من الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب
٣٠٢، ١١٨	ولن يضرب خياركم
١٤٣	ونعم الفارسان هما
١٧٤	وهل تُنصرون وتُرزقون إلّا بضعفائكم
ي	
١٤٣، ١٣٦	يا أبا عُمَيْر، ما فعل التُّغَيْر
٣٥٠	يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي
٨٢، ٥٣، ٥	يا أيّها النّاس، توبوا إلى الله فإنّي أتوب إليه في اليوم مائة مرّة
٣٣٣	يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب
١٩٣	يا عائشة، إنّ الله يحبُّ الرفق في الأمر كلّ. قالت: أو لم تسمع ما قالوا
٢٢٨	يا عبد الله، يا مسلم؛ هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله
٢٣٢	يا علي، لا تُتبع النظرة النظرة؛ فإنّ لك الأولى، وليست لك الآخرة
١٠٩	يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ وما حقُّ العبادِ على الله؟
٣١٥، ٢٣١، ٢١٩	يا معشر الشباب، مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوَّج؛ فإنه أغضُّ للبصر
٢١٦	يُدُّ الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار



فهرس الموضوعات

- ❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤
- ❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥
- ❖ ١ - الإيمان باعتباره مصدرًا للأمن والاطمئنان ٧
- حاجة الإنسانية إلى الأمن ٧
- الإيمان مصدر الأمن الداخلي ١٠
- الرقابة الذاتية مصدر أمن المجتمع ١٤
- المؤمن مصدر أمن المجتمع ١٩
- ❖ ٢ - حدّد مصدر معرفتك بدينك ٢٣
- تزكية النفوس لا تكون إلا بإصلاح القلوب ٢٣
- محطّتنا السابقة «العلم» ٢٤
- حدّد مصادر معرفتك بدينك ٢٦
- أفكار بعض الصوفيّة المنحرفة ٢٦
- أدعياء لتضليل عقل المسلم ٢٩
- المبالغة في الإيمان بالعقل تضرّ ٣٠
- البرمجة العصبية وما وراءها ٣١
- الغاية هي الله ٣٢



- ٣٢..... لا بدّ من توحيد الألوهية
- ٣٣..... المستقبل الحقيقي هو الجنّة
- ٣٥..... اكسب رضا الخالق تسترح وتُرح
- ٣٧..... الطريق واحدة لا تتعدد
- ٣٨..... قل آمنت بالله ثم استقم
- ٣٨..... «ربي الله» منهج حياة
- ٣٩..... الاستقامة أن تسلك الصراط المستقيم
- ٤٠..... العلم إمام والعمل تابع
- ٤٢..... ذكرى سقوط بغداد ومذبحة الفلوجة
- ٤٢..... أكذوبة أسلحة الدمار الشامل
- ٤٣..... أمريكا دخلت بقرار فرعوني
- ٤٤..... العراقيون ليسوا في حاجة إلى أوصياء
- ٤٨..... تحية لشعب العراق الباسل
- ٥٠..... ❖ ٣ - التوبة إلى الله
- ٥١..... التوبة إلى الله
- ٥١..... الانتصار على الشيطان
- ٥٢..... التوبة مطلوبة من جميع الناس
- ٥٥..... التوبة مطلوبة على الفور
- ٥٦..... التوبة مطلوبة من جميع الذنوب
- ٥٧..... ١ - التوبة من الكبائر
- ٥٧..... ٢ - التوبة من الصغائر
- ٥٨..... ٣ - التوبة من الشبهات
- ٦٠..... ٤ - التوبة من معاصي القلوب



- ❖ ٤ - التوبة وأركانها ٦٢
- من لم يتب فقد ظلم نفسه ٦٢
- كفارات الذنوب ٦٣
- إياكم ومحقرات الذنوب ٦٤
- التبجح والمجاهرة بالذنوب ٦٥
- الاستهانة بالمعاصي ٦٥
- الذنوب صغائر وكبائر ٦٦
- التوبة النصوح ٦٧
- التوبة علاقة بين العبد وربّه ٦٧
- إنَّ الله يحب التوابين ٦٩
- أركان التوبة النصوح ٧٠
- العنصر الأول الندم ٧٠
- العنصر الثالث الإقلاع عن الذنب ٧٢
- رد المظالم إلى العباد ٧٣
- التعامل يوم القيامة بالحسنات والسيئات ٧٤
- التطهر من المال الحرام ٧٥
- قبول التوبة ٧٦
- أحداث تونس ٧٧
- أحداث طرابلس اللبنانية ٧٨
- ❖ ٥ - استقبال العام الجديد بتوبة نصوح ٨٠
- معنى التوبة ٨٠
- الإنسان غير معصوم من الذنوب ٨١
- ضعف الإنسان أمام المعصية ٨٢
- كل الناس في حاجة إلى التوبة ٨٢



- الشعور بعدم الحاجة إلى التوبة نوع من المعاصي ٨٤
- المؤمن بين الخوف والرجاء ٨٤
- ضرورة المحاسبة ٨٥
- كثرة معاصي الجوارح ٨٦
- خطر المعاصي وشؤمها ٨٧
- خطر الذنوب على الفرد ٨٧
- خطر المعاصي على صحة الفرد ٨٨
- خطر المعاصي على نفسية الفرد ٨٩
- العالم الغربي يفتقد السعادة ٩٠
- المعاصي خطر على الأسرة ٩٠
- ❖ ٦ - بر الوالدين ٩٥
- تمزق الأسرة عند الغربيين ٩٥
- فرضية بر الوالدين ٩٧
- عقوق الوالدين ٩٨
- بر الوالدين لا ينقطع بموتهما ١٠٤
- أنت ومالك لأبيك ١٠٥
- البر بالوالدين ولو كانا مشركين ١٠٦
- الأسرة أساس المجتمع ١٠٦
- ❖ ٧ - حقوق الأبناء في الإسلام ١٠٨
- حقوق الأبناء على الآباء ١٠٩
- ١ - حسن اختيار الأم ١٠٩
- ٢ - رعاية الحمل ١١٠
- ٣ - أحكام المولود ١١١
- ٤ - الغذاء المادي ١١٢

- ٥ - الغذاء العاطفي ١١٣
- ٦ - التعليم النافع ١١٥
- ٧ - التأديب والتهديب ١١٧
- المصاحبة والمعاشية ١١٩
- التدليل المفسد ١١٩
- القسوة المرعبة ١٢٠
- العدل بين الأبناء ١٢١
- الوقاية من سوء المصير ١٢٢
- تدمير الشباب ١٢٣
- ❖ ٨ - رعاية الطفل في الإسلام ١٢٥
- اختيار الأم الصالحة ١٢٥
- رعاية الحامل ١٢٦
- تحريم الإسلام الإجهاض ١٢٦
- إباحة الغرب الإجهاض ١٢٧
- العناية بالمولود ١٢٨
- تحريم وأد الأنثى ١٢٩
- تحريم قتل الأولاد ١٢٩
- القول بتحريم العزل ١٣٠
- الغذاء المادي للطفل ١٣٠
- الغذاء العاطفي للطفل ١٣١
- حضانة الطفل ١٣٢
- العناية بالطفولة الضعيفة ١٣٢
- التحذير من قهر اليتيم ١٣٣
- رعاية اليتيم ١٣٤



- العناية باللقيط ١٣٤
- ابن السبيل ١٣٥
- التربية المتكاملة للطفل ١٣٥
- موقف الأمم المتحدة من الطفل ١٣٧
- ماذا نريد من الأمم المتحدة؟ ١٣٧
- الطفولة المستضعفة والمُعذبة ١٣٨
- ❖ ٩ - الطفولة المَعْوَقَة ١٤٠
- قانون التعويض ١٥١
- عناية الإسلام بالطفولة اليتيمة ١٥٢
- عناية الإسلام باللقيط ١٥٤
- مذابح ومجازر بشرية في كوسوفو المسلمة ١٥٦
- الفجور في الخصومة في اختلاف رئيس وزراء ماليزيا مع نائبه ١٥٧
- ❖ ١٠ - شباب الأمس وشباب اليوم ١٦٢
- نماذج شبابية في القرآن الكريم ١٦٣
- نموذج الشاب المؤمن بربه إبراهيم عليه السلام ١٦٣
- نموذج الشاب المضحّي بنفسه طاعة لربه إسماعيل عليه السلام ١٦٤
- نموذج الشاب العفيف يوسف عليه السلام ١٦٦
- نموذج الشاب الناشئ في طاعة ربه يحيى عليه السلام ١٦٨
- نموذج الشباب الرافض للباطل فتية أهل الكهف ١٦٩
- نموذج أصحاب النبي مُحَمَّد ﷺ ١٧٠
- قضية كوسوفو ١٧٧
- تركيا تهدد سوريا ١٧٨
- الدعاء ١٨٢

❖ ١١ - واجبات الشباب المسلم (١) ١٨٤

الإنسان مكلف مسؤول ١٨٤

لماذا نركز على الواجبات قبل الحقوق؟ ١٨٤

واجبات الشباب المسلم ١٨٥

١ - الشعور بالمسؤولية ١٨٥

٢ - الاعتزاز بالإسلام ١٨٦

٣ - حسن فهم الإسلام ١٨٧

٤ - التزام المنهج الوسط ١٨٩

فقه الأولويات ١٩٠

فقه الدعوة ١٩٢

٥ - مصاحبة العمل للعلم ١٩٣

٦ - العمل لخدمة المجتمع ١٩٦

٧ - الدعوة إلى الإسلام ١٩٧

أفريقيا والإسلام ٢٠١

دعم الإسلام في أفريقيا ٢٠٢

مشروع مصحف أفريقيا ٢٠٣

الكفاية من المصاحف ٢٠٥

ترجمة القرآن باللغات الأفريقية ٢٠٥

أداء واجب العون ٢٠٦

❖ ١٢ - واجبات الشباب المسلم (٢) ٢٠٩

٨ - التسلح بالعلم والثقافة ٢٠٩

علوم الدين والدنيا ٢١٠

٩ - التسلح بالثقة والأمل ٢١١

محمد الفاتح ٢١٤



- ١٠ - التعاون مع إخوانه ٢١٦
- مخاطر ومحاذير ٢١٨
- ١ - الاستجابة لنداء الغريزة ٢١٩
- ٢ - الاسترسال في اللهو ٢١٩
- ٣ - الثقافة المسمومة ٢٢٠
- ٤ - التسرع والاستعجال ٢٢٢
- ٥ - تزييف الوعي ٢٢٢
- فلسطين واتفاق واي بلانتيشن ٢٢٤
- ❖ ١٣ - الشباب هم أغلى الثروات ٢٢٩
- الثروة التي لا تقدر بثمن ٢٢٩
- الشباب والمشكلة الجنسية ٢٢٩
- ❖ ١٤ - التربية الإيمانية للشباب ٢٤٢
- غرس العقيدة السليمة ٢٤٢
- العقيدة الصحيحة أساس الكرامة والأخوة ٢٤٣
- رسالة تحرير من عبودية البشر ٢٤٤
- الإيمان أساس التربية ٢٤٥
- الأسئلة المصيرية ٢٤٦
- الإنسان لم يُخلق عبثًا ٢٤٦
- انتقال من دار إلى دار ٢٤٧
- رسالة الإنسان في الحياة وغايته ٢٤٧
- عدالة الله والحساب والجزاء ٢٤٨
- عقيدة الإسلام قوة لا تقهر ٢٤٩
- محااجة قوم إبراهيم ٢٥٠

٢٥١..... منطق القوة عند غياب قوة المنطق

٢٥١..... الإيمان يصنع هذه القوة

٢٥٣..... فتية آمنوا بربهم

٢٥٤..... إيمان سحرة فرعون

❖ ١٥ - تربية الشباب على الإسلام الصحيح..... ٢٥٦

٢٥٦..... المنهج الإلهي علاج لمشكلاتنا

٢٥٧..... تربية الشباب على الإسلام

٢٥٨..... تعاون مؤسسات المجتمع في توجيه الشباب

٢٥٨..... غرس معاني التوحيد

٢٦٠..... الإيمان بالآخرة

٢٦٠..... الإيمان يسمو بصاحبه

٢٦١..... أثر الترغيب والترهيب في التربية

٢٦٢..... استعلاء أصحاب النبي على مآلوفاتهم

٢٦٣..... عجز القوانين والتشريعات بدون إيمان

٢٦٤..... الإيمان صانع البطولات والفضائل

٢٦٤..... معرفة أهدافنا في الحياة

٢٦٥..... نماذج من شباب الصحابة

٢٦٦..... المسؤولية الجماعية عن تربية الشباب

٢٦٧..... التغييرات السلبية للمجتمعات المعاصرة

٢٦٧..... حقيقة السعادة

❖ ١٦ - موقف الإسلام من التمييز ضد المرأة..... ٢٧١

٢٧١..... رفض التمييز المعادي

٢٧٢..... رفض المساواة التامة



- ٢٧٣.....التكوين الجسدي للمرأة
- ٢٧٣.....تعليم المرأة
- ٢٧٤.....عمل المرأة
- ٢٧٥.....قوامة الرجل
- ٢٧٦.....مشاورة المرأة
- ٢٧٧.....رعاية الإسلام للمرأة
- ٢٧٨.....رعاية المرأة إنساناً
- ٢٧٩.....رعاية المرأة أنثى
- ٢٨١.....رعاية المرأة بنتاً
- ٢٨٢.....رعاية المرأة زوجة
- ٢٨٢.....رعاية المرأة أمّاً
- ٢٨٣.....رعاية المرأة عضواً في المجتمع
- ٢٨٤.....رعاية الحقوق بأداء الواجبات
- ٢٨٤.....الالتزام بالقطعيّات
- ٢٨٦.....وفاة الأستاذ عادل حسين
- ❖ ١٧ - تكريم المرأة في الإسلام..... ٢٨٩
- ٢٩٠.....وضع المرأة في الجاهليّة
- ٢٩١.....معالم تكريم المرأة في الإسلام
- ٢٩١.....١ - تكريم المرأة إنساناً باعتبارها
- ٢٩٣.....شهادة المرأة
- ٢٩٤.....ميراث المرأة
- ٢٩٥.....٢ - تكريم المرأة باعتبارها أنثى
- ٢٩٧.....٣ - تكريم المرأة باعتبارها زوجة
- ٢٩٩.....٤ - تكريم المرأة باعتبارها أمّاً

- ٣٠٠..... (٥) تكريم المرأة باعتبارها عضوًا في المجتمع
- ٣٠١..... الانحراف عن الإسلام في شأن المرأة
- ٣٠١..... إكراه البنت على الزواج بمن تكره
- ٣٠٢..... ضرب الزوجات
- ٣٠٣..... براءة الإسلام من ظلم المرأة
- ٣٠٤..... الدم الإسلامي بين الأمس واليوم
- ٣٠٥..... أقول هذا بمناسبتين
- ٣٠٥..... قتل العمال الفلسطينيين
- ٣٠٦..... الاعتداء على كوسوفو

❖ ١٨ - مؤتمر الدوحة العالمي للأسرة..... ٣٠٨

- ٣٠٨..... طبيعة المؤتمرات السابقة
- ٣٠٩..... ١ - إنشاء الأسرة البديلة
- ٣١١..... ٢ - إقرار الإباحية
- ٣١١..... ٣ - إباحة الإجهاض
- ٣١٢..... ٤ - منع الآباء من تربية أولادهم
- ٣١٢..... مؤتمر الدوحة للأسرة
- ٣١٢..... الزواج ميثاق غليظ
- ٣١٣..... الزواج من آيات الله
- ٣١٥..... أهداف الزواج
- ٣١٦..... نعمة الأولاد
- ٣١٧..... احترام الخصوصية الدينية
- ٣١٨..... الترحيب بالإصلاحات المعتبرة
- ٣٢٠..... فوز بوش الابن في الانتخابات
- ٣٢٠..... اغتيال الرئيس ياسر عرفات



٣٢١..... مآسٍ فلسطينية

٣٢١..... العدوان على الفلوجة

❖ ١٩ - رعاية الإنسان في الإسلام..... ٣٢٥

٣٢٦..... عناية الإسلام بالإنسان

٣٢٦..... الرسول الإنسان

٣٢٦..... اجتهاد الرسول

٣٢٧..... تكامل عناية الإسلام بالإنسان

٣٢٨..... الجانب الروحي والجسدي

٣٢٨..... الجانب العقلي والوجداني

٣٢٩..... تكريم الإنسان

٣٢٩..... القدرة على التمييز

٣٣٠..... القدرة على البيان

٣٣٠..... القدرة على التعلم

٣٣٠..... حفظ كرامة الإنسان

٣٣١..... تقرير المساواة وإذابة الفوارق

٣٣٢..... التفاضل في الإسلام

٣٣٢..... رفض التفاضل بالأنساب

٣٣٣..... رفض التفاضل الطبقي

٣٣٥..... المساواة في الفرائض والعقوبات

٣٣٦..... رعاية الإنسان في كل أحواله

٣٣٦..... العناية بالضعفاء

٣٣٨..... الدفاع عن الضعفاء

٣٣٨..... رعاية الضعف الجسمي

٣٣٩..... رعاية الضعف النفسي

- معالم ومناارات ٣٤٠
- حملة وزير الثقافة على الحجاب ٣٤٢
- مصر تُصدّر الخير والشر ٣٤٢
- حركة الحجاب ٣٤٣
- فرضية الحجاب ٣٤٣
- أصالة لا رجعية ٣٤٣
- تخلف لا تقدم ٣٤٤

❖ ٢٠ - حقوق الإنسان في الإسلام ٣٤٧

- المسلمون أولى الناس بحقوق الإنسان ٣٤٧
- الإسلام يوازن بين الحقوق والواجبات ٣٤٧
- إذا أدّيت الواجبات فقد رعت الحقوق ٣٤٨
- تقرير الحقوق لأهلها دون مطالبة منهم ٣٤٩
- حقوق الإنسان في الإسلام تقوم على دعامتين أساسيتين ٣٤٩
- ١ - عقيدة التوحيد ٣٤٩
- ٢ - تكريم الإنسان ٣٥١
- الإنسان حيوان عند الغربيين ٣٥٢
- الإنسان مخلوق متفرد، ليس حيواناً ولا إلهاً ٣٥٣
- الإنسان مخلوق متفرد ٣٥٣
- حقوق الإنسان منذ المرحلة الجنينية ٣٥٤
- رعاية الإنسان من حيث هو إنسان ٣٥٥
- حقوق الإنسان في الإسلام .. فرائض وضروريات ٣٥٧
- بين النظرية والتطبيق ٣٥٨
- عمر والأمير الغساني ٣٥٩
- متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ ٣٦٠



- ٣٦١..... الحضارة الغربيّة وحقوق الإنسان
- ٣٦٢..... الغرب وراءه هذه المظالم كلّها
- ٣٦٢..... حقوقنا أين هي؟
- ٣٦٣..... أهذا هو عالم حقوق الإنسان؟
- ٣٦٥..... فلنذكر ضعف الإنسان
- ٣٦٥..... ماذا تصنع أنت أيُّها الإنسان؟
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٣٧٠
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... ٣٩٢
- فهرس الموضوعات..... ٤٠٢

* * *

فهرس كتب المجلد

١٨٢ - خطب الشيخ القرضاوي (١٩) ٥

١٨٣ - خطب الشيخ القرضاوي (٢٠) ٣٩٥

* * *

